قسم الأدب والنقد

١- الأستاذ الدكتور/ يوسف محمد فتحي عبد الوهاب
أحمد عبد المجيد الشاعر الإنسان

٢- الأستاذ الدكتور/ عبد الرازق عبد الحميد حويزي
جماليات التشكيل البديعي
في القصيدة العربية في القرن الخامس الهجري
شعر أبي الجوائز الواسطي أنموذجًا

٣- الدكتور / محمد محمد بظاظو
فن التعزية النثرية
دراسة في المضمون والنسق

٤- الدكتور / محمد عبد الجواد خليل
محنة السجن في شعر "المعتمد بن عباد"
دراسة فنية

جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
بإيتاي البارود

أحمد عبد المجيد
الشاعر الإنسان

دكتور
يوسف محمد فتحي عبد الوهاب

أستاذ الأدب والنقد المساعد
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمة

أحمد الله العظيم، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن سلك طريقهم، واهتدى بهديهم، وسار على دربهم إلى يوم الدين، وبعد:

فتاريخ الأدب العربي يحتاج أول مايحتاج إلى توثيق نصوصه وتحريرها، لأنها مادة هذا التاريخ في عرض مباحثه واستخلاص نتائجه، وقد شهد عصرَنا الحديثَ أعلامٌ من الأدباء الذين أخلصلوا لفنهم وانشغلوا به دون أن يُعنوا بنشره، ويجب علينا نحن الباحثين الكشف عنهم وعن إبداعهم الفني وتحريره ليكون مادة ثرية لأدبنا العربي الحديث.

وقد علمتُ في مصر كثيراً من هؤلاء الأدباء الذين عاشوا دون أن يشعر بهم أحد على الرغم من علو منزلتهم وسمو إبداعهم، ثم ماتوا دون أن يشعر بهم أحد أو يعمل على نشر تراثهم، على حين نجد غيرهم ممن يسعون إلى الشهرة من كل طريق يشغلون الناس في حياتهم وبعد مماتهم.

وقد التقيتُ واحداً من هؤلاء المخلصين الذين عاشوا وماتوا دون أن يشعر بهم أحد، سمت نفسه إلى آفاق إنسانية رحبة، وتطهر فؤاده من أدران المادة، وكان صاحب رسالة سامية في التعليم، كما كان صاحب رسالة إنسانية في الحياة والإبداع، وساعده على ذلك تاريخ حافل له ولأسرته التي أحبت العلم وأنفقت في سبيله الغالى والنفيس، وقد ائتمنني على قدر لابأس به من إبداعه حين التقيته، وتقطعت بي السبل عندما أردت الكتابة عنه بعد أكثر من عشرين عاماً أن أصل إلى بقية نتاجه الذي لم يجد من يعرف قدره أويحافظ عليه، بل إن ما أعرضه من شعره في هذه الدراسة قد لايكون له وجود في مكان آخر، ولاحول ولاقوة إلا بالله.

ومنذ أن التقيته دون معرفة سابقة، وكان يومها شيخاً طاعناً في السن، ومع أن لقائي به لم يتعد المرات المعدودة، إلا أنني مازلت أذكر هذا الرجل، وانفعل بما رأيته وسمعته منه وعنه، وقد تركتْ سيرتُه وشعرُه في نفسي آثاراً لاتمحى، ولايزيدها كر الجديدين إلا مزيداً من التعلق والرسوخ والعنفوان.

مازلت أذكر هذا الرجل وهو يتكلم عن تاريخه في العلم والتعليم، ومازلت أذكر نظرياته في العلم التي لم تقتصر على تعليم العلوم وإنما بلغت حد تعليم الأدب والشعر وجميع الفنون، أذكره عندما أقارن أخلاقه وقيمه في العلم والتعليم وإغداقه على طلابه من العطايا مقتدياً بجده الذي أنشأ مدرسة لأبناء قريته «البستان» ومانشاهده هذه الأيام من حيتان الدروس الخصوصية الذين يبتلعون الأموال دون أن يُعلِّموا علماً أو يغرسون خلقاً، أذكر هذا الرجل الذي كان يجود على طلابه بكل مايملك، ويوثق ذلك شعراً تتغنى به الأجيال:

وَمَنْ رَفَعَ الأَوْطَانَ مِثْلُ مُعَلِّمٍ ... إِذَا سَارَ يَحْدُوهُ الضَّمِيرُ وَوَاجِبُهْ

لَقَدْ آذَ هَدْيُ النَّشءِ كاهِلَ غَيْرِهِ ... فَهَمَّتْ به أَعْضَادُهُ وَمَنَاكِبُهْ

يَجُودُ علي الطُّلَّابِ مِنْ ذَوْبِ قَلْبِهِ ... وَلَوْ سَأَلُوهُ قَلْبَهُ، فَهْوَ وَاهِبُهْ

وقد أردت من خلال دراستي هذه إبراز مكانة هذا الشاعر الكبير، وتوضيح مدى قصور الدراسات الأدبية عن استيعاب شعراء العصر الحديث على الرغم مما بُذل في سبيل ذلك، وهذا الأمر يحتاج إلى مزيد من الجهود المخلصة للكشف عن أمثال هؤلاء الشعراء المنسيين الذين تنطوي أشعارهم على كثير من القيم الفنية والمعاني الإنسانية، لأنه لابد للدراسات الأدبية ألا تقتصر على الشعراء المشهورين، فالشهرة لاترتبط بمكانة الشاعر الإبداعية في كثير من الأحيان، وإنما تتحكم فيها كثير من العوامل التي لاتخفى على كل ذي عقل سليم.

وقد جاءت دراستي هذه بعنوان: «**أحمد عبد المجيد الشاعر الإنسان**»، قسمتها إلى: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، وملحق.

أما التمهيد فجاء بعنوان: لقاء على غير موعد، ألقيت فيه الضوء على كيفية لقائي بالشاعر دون معرفة سابقة، ومالمسته فيه من قيم سامية وأخلاق نبيلة وإنسانية عالية وإبداع أصيل، كانت كلها دافعي الأبرز للكتابة عنه وعن إبداعه الذي حمل لنا تلك القيم الإنسانية العالية.

وجاء الفصل الأول بعنوان: أحمد عبد المجيد، سيرته وإنسانيته، عرضت فيه حياة الشاعر من خلال ماكتبه عن نفسه، ومن خلال ماعرفتُه عنه عندما التقيته، ومن خلال ماكُتب عنه في بعض المجلات، موضحاً مفهوم الإنسانية في اللغة والاصطلاح الأدبي، كما عرضت بعض الدراسات التي تناولت هذا الجانب في أشعار المحدثين، مع الإشارة إلى روافد الإنسانية في حياة شاعرنا ومكانتها في إبداعه.

وجاء الفصل الثاني بعنوان: اتجاهات الإبداع في شعر أحمد عبد المجيد، عرضت فيه المعاني والأغراض الشعرية التي شاعت فيما وصلنا من شعره، والتي تمثلت في: الشعر الديني، والشعر الاجتماعي، وشعر الرثاء، بالإضافة إلى بعض الأغراض الأخرى التي لم تصل حجم الأغراض السابقة، كشعر الوصف، والشعر المترجم، وشعر المدح، والشعر الفكاهي، وشعر الغزل.

وجاء الفصل الثالث والأخير بعنوان: خصائص التعبير الفني في شعر أحمد عبد المجيد، عرضت فيه جوانب الدراسة الفنية، فدرست في سبيل ذلك: العواطف والأفكار، والألفاظ والأساليب، والخيال والتصوير، والإيقاع الموسيقي، موضحاً بطريقة موجزة طبيعة دراسة كل جانب من هذه الجوانب الفنية، مع تطبيق ذلك على ماوصلنا من إبداع شاعرنا، مكتفياً في ذلك بالإشارات الدالة لصعوبة إطلاق الأحكام الإحصائية الدقيقة قبل جمع أشعاره.

ثم جاءت الخاتمة بعنوان: أهمية جمع أشعار المنسيين، أوضحت فيها مايجب القيام به تجاه الشعراء المنسيين أو المجهولين أو المغمورين الذين لم ينالوا ماهم جديرون به من الدرس والتحليل، مع ضررة جمع نتاجهم ودراسته، وعدم اقتصار الدراسات الأدبية على الشعراء المشهورين، للوصول إلى تأريخ دقيق لأدبنا العربي في العصر الحديث.

وختمت ذلك بملحق بعنوان: وثائق ونماذج من سيرة الشاعر وأشعاره، عرضت فيه وثائق من سيرة الشاعر ونماذج من قصائده المخطوطة بعد تحريرها، وقد نوعت هذه القصائد المختارة لتغطي جميع المعاني والأغراض الشعرية التي أبدعها شاعرنا.

وبعد... فقد أردت من خلال دراستي هذه إبراز الجانب الإنساني في شعر أحمد عبد المجيد، وهو من الشعراء المنسيين في العصر الحديث، فلاتكاد الساحة الأدبية تعرف عنه شيئاً، وكلي أمل أن تقوم يد باحثة طُلعة بجمع ديوانه من خلال أسرته ومعارفه، لأن ماوصلنا من شعره يدل على موهبة فذة وشخصية متميزة، أرادت غرس القيم الإنسانية والأخلاق النبيلة من خلال الشعر حيناً، ومن خلال التعليم أحياناً، ويعلم الله وحده مدى صعوبة قراءة بعض أشعاره التي صورتها منذ زمن بعيد، أسأل ربي سبحانه أن يتغمده بواسع رحمته، جزاء ماقدم في حياته من ترسيخ للقيم والأخلاق الفاضلة معلماً وشاعراً وإنساناً، والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

دكتور

يوسف محمد فتحي عبد الوهاب

التمهيد
لقاء... على غير موعد!!!

التقيت الرجل... وياليتني ماعرفته!! كنت يومها حديث عهد بالتخرج في كلية اللغة العربية بالمنوفية، وأنهيت الدراسات التمهيدية للماجستير على يد أعلام قل الزمان أن يجود بمثلهم علماً وفضلاً ونبلاً، وكان لأمانتهم وشدتهم في العلم وتفانيهم فيه أبلغ الأثر في أبنائهم الذين أحبوا العلم، كما أحبوا من ربطهم بالعلم بأسباب قوية، فكان ومايزال لهم في القلب محبة الذات أو أشد، وفي القلب من هؤلاء كان والدي وشيخي وأستاذي: كاظم الظواهري، الذي غرس فينا كل الشيم الفاضلة والأخلاق النبيلة، ومنها حب العلم والتفاني في طلبه وتحصيله، وبذل النفس والنفيس في سبيل ذلك، كلفنا شيخنا عمل بحث جماعي في السنة التمهيدية الأولى للماجستير عن تاريخ المؤلفات النقدية للشعر منذ مطلع التأليف إلى الآن، وأراد (حفظه الله) أن نتعاون ونعمل بروح الفريق، وأن نتفانى في إتمام هذا العمل وننسى ماقد يكون بين الزملاء المتنافسين من أشياء، وأن يفيد كل منا مجموعة البحث بما يجده من معلومات في المدة الزمنية المخصصة له أو لأحد من زملائه؛ لأن ذلك سيعود بالخير على العمل كله في نهاية الأمر.

ونجحتُ بفضل الله في الاختبار؛ لأنني استشعرت إخلاص أستاذي وتفانيه في غرس تلك القيم النبيلة في أبنائه، وتأمله الشديد للتنافس بين أبنائه الباحثين؛ لأنه يقودهم في بعض الأحيان إلى التحاسد والتباغض، ظنًّا منهم أن الإنسان لن تقوم له قائمة إلا على أنقاض الآخرين، ودخلت عالم البحث بروح جديدة لم أعهدها من قبل، قوامها التجرد والإخلاص والعمل بروح الفريق.

وفي السنة التمهيدية الثانية طالبنا (حفظه الله) بتحقيق نصٍّ تراثيٍّ، فذهبت أجمع مايصلح للتحقيق من شتى الفهارس والمكتبات، فتجمع لدي كم هائل من أسماء

المخطوطات، وعرضتها عليه فاختار لي منها رسالة: الحث على طلب العلم، لأبي هلال العسكري، وقمت بتحقيقها، وبذلت في ذلك جهداً كبيراً لم يكن لي منه إلا الدأب وبذل الجهد، وإن كان الفضل كل الفضل يرجع لله (سبحانه وتعالى) ولأستاذي الذي كان دائم النظر إليَّ والثناء عليَّ، وكنت أحاول بكل ما أوتيت أن أكون عند حسن ظنه بي، وحاولت أن أكمل مشوار التحقيق في رسالة الماجستير لكنه رفض، كما رفض أن أسجل موضوعاً تقليدياً بأي حال من الأحوال.

وبدأت أطوف على جامعات مصر ومكتباتها للإعداد لتسجيل درجة (الماجستير) في الأدب والنقد، وكان من بين المدن التي زرتها مدينة المنصورة الساحرة، وفي يوم من أيام الصيف خرجت من كلية الآداب بعد إنهاء مهمتي بها، وفي أثناء مروري بشارع الثانوية عرجت إلى إطفاء حرارة هذا اليوم القائظ بمشروب بارد يلطف هذه الأجواء، فلفت نظري أن مقدم المشروب يتعامل مع أدواته بحرص بالغ وخوف شديد، وكأنها طيور ستتفلت من بين يديه!! وأغراني هذا بسؤاله عن نفسه، فتعرفت عليه، وعلمت أنه الأستاذ: عبد الحميد الحبيبي، من شعراء العامية وله ديوان مطبوع في الهيئة المصرية العامة للكتاب، ويعمل خياطاً في محله المجاور لمحل المشروبات، ويقف مكان جاره الذي ذهب لقضاء بعض حاجياته، وبعد أن علم سبب زيارتي إلى كلية الآداب، طلب مني أن أجلس معه بضع دقائق في محله كي يُسمعني بعض أشعاره، وفي أثناء إلقائه دخل علينا شاعرنا الأستاذ: أحمد عبد المجيد، وكان رجلاً طاعناً في السن وألقى علينا السلام وجلس إلى أقرب كرسي وهو يُنصت إلى ما يدور بيننا من حوار، وعندما أعجبتني الأشعار العامية للأستاذ: عبد الحميد الحبيبي، طالبته أن يكتب شعره باللغة الفصحى؛ لأن الشعر الفصيح يخلد على مر الزمن، فتعلل بعدم معرفته العروض، فأخبرته أن جل ديوان شوقي في بحر واحد هو البحر الكامل، وكم من أناس لايعرفون العروض ويكتبون الشعر العمودي، وماالبارودي عنا ببعيد،

وتشعب الحديث بيننا وطال بعض الوقت إلى أن تدخل الأستاذ: أحمد عبد المجيد موجهاً كلامه إليّ: لقد صدقت، إن معظم ديوان شوقي في بحر الكامل، لقد استعرضت الديوان الآن وأنا أحفظ معظمه فوجدت كلامك صحيحاً، فنظرت إلى الأستاذ: عبد الحميد الحبيبي لأعرف الرجل، وبدأ التعارف بيننا، ومازالت أصداء هذا التعارف إلى الآن تهز أعماقي كلما تذكرتها، علمت أنه معلم من جيل الرواد، أحيل إلى التقاعد منذ ثلاثين عاماً وكان يوم إحالته موجهاً بالتعليم الثانوي، وهو يكتب الشعر العمودي، ثم أخرج الأستاذ: عبد الحميد الحبيبي، مجلة سلسلة الإبداع الشعري التي يصدرها صالون المنصورة الثقافي، وفيها بعض قصائدهما، وطلبت منه السماح لي بتصوير قصيدة لكل منهما، وكتبَ كلٌّ منهما إهداء لي على قصيدته.

فكتب الأستاذ: عبد الحميد الحبيبي: «بسم الله الرحمن الرحيم، رُبَّ صدفة خير من ألف ميعاد، مع هذا اللقاء الخاطف والصدفة البحتة التي جمعتني بك في هذا اليوم السعيد الذي سعدت فيه بلقائك وإعجابي بثقافتك الرفيعة، ودأبك على مواصلة العلم والتعلم، أرجو قبول هديتي المتواضعة، وهي قصيدتي من شعر العامية المصرية بعنوان: قبر الشمس، مع حبي وإعزازي، إلى أخي وصديقي الأديب: يوسف عبد الوهاب، أخوك: عبد الحميد الحبيبي، عضو جمعية المؤلفين والملحنين».

وكتب الأستاذ: أحمد عبد المجيد: «إلى صديقي الساعة الأديب: يوسف عبد الوهاب، مع حداثة العهد بمعرفتك، حداثة لم تتجاوز هذه الساعة إلا أنني أشعر من قلبي كأنني قديم العهد بمعرفتك، بل بصداقتك، والإعجاب بك؛ لما لمسته في حديثك من رحابة الأفق، وسعة الاطلاع والإلمام بالأدب ومذاهب الأدب، لذا أهدي إليك قصيدتي التي راقتك، وأنا فخور بذلك، وأود أن ألقاك دائماً، أحمد عبد المجيد».

والقصيدتان هما، قصيدة: قبر الشمس، للأستاذ: عبد الحميد الحبيبي، وقصيدة: ذكراك ياطه سنا الأعياد، للأستاذ: أحمد عبد المجيد، ومازلت أحتفظ بهما إلى الآن.

وفي أثناء عودتي فكرت في دراسة شعر الأستاذ: أحمد عبد المجيد، وماهي إلا أيام واتصلت بالأستاذ: عبد الحميد الحبيبي، وكان قد كتب لي هاتفه، وأخبرته عن رغبتي تلك، فرحب غاية الترحيب، وكان مما ذكره عن شعر الأستاذ: أحمد عبد المجيد ماشجعني على هذا الأمر، فعدت إلي زيارة المنصورة مرة أخرى، ولكن في هذه الزيارة اصطحبني الأستاذ: عبد الحميد الحبيبي إلى منزل الأستاذ: أحمد عبد المجيد، وأخذت من الشاعر باقة لابأس بها من أشعاره، وطلبت منه السماح لي بتصويرها فوافق، وعرضت شعره على مجلس القسم إلا أنه رفض الموضوع وطلب مني دراسة قضية نقدية وعدم الانغلاق على دراسة شخصية أدبية أو شعرية.

فعدت إلي الأستاذ: أحمد عبد المجيد بما معي من أشعاره، ودراسة نثرية له عن شعر شوقي، وأخبرته رفض مجلس القسم التسجيل في هذا الموضوع، وأن القسم لايقلل من مكانة شعره وإنما يفضل في الوقت الحالي دراسة قضايا النقد الأدبي بعد أن شاعت الدراسات العلمية حول الأدباء والشعراء، ولأن دراسة قضايا النقد يكون لها أثر محمود في بناء الباحثين؛ حيث توسع مداركهم وترسخ أقدامهم في الدراسات الأدبية والنقدية، ثم طلبت منه المحافظة على هذه الأشعار التي كانت في معظمها مكتوبة بخطه لم تطبع في ديوان أو تنشر في دورية أو صحيفة من قبل، وأخبرته أنني (بمشيئة الله) سأكتب عنه يوماً، لكنه لم يعبأ كثيراً بما أقول، وانصرفت من هذا اللقاء وأنا لاأعرف هل ألقاه مرة أخري أم يكون الفراق الذي ليس بعده لقاء في دنيا الناس!!

كان الرجل يعيش في غربة تامة عن الحياة والناس بعد أن أفنت يد المنون كل أصدقائه تقريباً، ولم تكن غربته هذه بسبب فقدانه الأصحاب والرفقاء فحسب، بل كانت (أيضاً) بسبب فقدانه من يتذوقون شعره حتى من أقرب الأقربين من أسرته وأهله، وعندما جالسته في غرفته الخاصة، وكانت بعيدة عهد بالطلاء على عكس بقية المنزل؛ لصعوبة طلائها مع مابها من كنوز الكتب التي اقتناها الشاعر طوال عمره

المديد، كان أكثر ألمه ألا يجد من أبنائه من يتخصص في اللغة العربية ويتذوق الأدب والشعر؛ ليحافظ على مكتبته وينشر إبداعه، وطلبت منه أن آخذ بعض نتاجه الشعري فوافق بأريحية تامة مع علمه أنني لم أسجل درجة (الماجستير) في شعره، وليتني كنت اقتنيت أشعاره كلها في هذا اليوم قبل أن تذهب أشعاره ومكتبته إلى طريق مجهول!!

وانشغلت ببحث (الماجستير) مايقرب من خمسة أعوام، وبعد المناقشة ودخولي في مرحلة (الدكتوراه) تذكرت المنصورة ومن بها، وكلي أمل أن ألقى الرجل وأعرف أخباره، ودخلت على الأستاذ: عبد الحميد الحبيبي، وخشيت أن أسأله عن الأستاذ: أحمد عبد المجيد في أول الأمر لخوفي أن أسمع عنه ما لاأرجوه بعد أن غابت عني أخباره زمناً طويلاً، إلي أن علمت خبر وفاته (رحمه الله)، وياله من خبر، وسألت عن شعره، ولكن لم أسمع مايسرني، فطلبت زيارة أبنائه، فهاتفهم لاستقبالنا، وذهبت إلى المنزل بعد غيابه، كان المنزل في قمة أناقته لاسيما غرفة مكتبته، ولكن غاب عنها أجمل مافيها، غاب عنها صاحبها، كما غابت عنها تلك الكنوز التي كانت تحيط به من كل جانب، هنا يمد يده فيخرجُ باقة من قصائده، ويمدها هنالك فيخرج كتاباً مخطوطاً من تأليفه، أو ديواناً من مقتنياته، لقد رأيت في هذه الغرفة من قبل كنوزاً لاتقدر بثمن، جمعها صاحبها منذ مايقرب من قرن من الزمان، في العهد الملكي والجمهوري، أين ذهبت تلك الكنوز؟ وكيف تم التخلص منها بأبخث الأثمان؟!!

وانصرفت مع الأستاذ: عبد الحميد الحبيبي، وأنا أجر أذيال الخيبة، ليتني صورت كل نتاج الرجل، ليتني تمكنت من المحافظة عليه، وازدادت رغبتي في الكتابة عنه بما لدي من نتاجه، ولكن الحياة شغلتني عن الكتابة عنه ولكنها ماشغلتني عن التفكير فيه، كنت أذكره دائماً عندما أرى معلمي هذا الزمان، الذين احترفوا الدروس الخصوصية واعتادوا عليها، ودفعهم جشعهم إلى التقصير في رسالتهم العلمية تجاه

أبنائهم؛ وأصبح بعضهم كالحيتان يطلبون أكبر عدد من الطلاب في دروسهم الخصوصية؛ ليحصلوا منهم الأموال الطائلة دون أن يغرسوا فيهم حب العلم أو قيم العلماء، مما أذهب هيبتهم وحال دون نفعهم في كثير من الأحيان.

وعندما أخرجت مالدي من شعره وأردت دراسته منذ عام ذهبت إلى المكان الذي التقيته فيه، فإذا به أطلال ليس فيها إلا ذكريات عزيزة على النفس، بعد أن توفي (أيضاً) الأستاذ: عبد الحميد الحبيبي (رحمه الله)، ولم يبق إلا اسمه على محله الذي ظهرت عليه عوامل الزمن، وحاولت جاهداً الوصول إلى أحد من أسرتيهما أو معارفهما دون جدوى، فذهبت إلى قصر ثقافة المنصورة وقابلت مديره الأستاذ: سامح العطروزي، كما التقيت عدداً كبيراً من رواده عَلِّي أجد لديهم من يعرف الرجل، أويعرف أحد أفراد أسرته، ووعدني كثير منهم بالبحث عن أبنائه، وظلت اتصالاتي ببعضهم مايقرب من عام دون جدوى، فانعقد عزمي على الكتابة عنه بما لدي من أشعاره إلى أن يكشف الزمان عن بعض كنوز هذا المربي الكبير والشاعر الإنسان.

الفصل الأول
أحمد عبد المجيد
سيرته وإنسانيته

يظهر بوضوح من خلال معرفتي بالشاعر وسماعي بعض آرائه العلمية والثقافية والاجتماعية، ومن خلال ماكتبه عن نفسه، أنه كان يتمتع بالأخلاق الفاضلة والشيم النبيلة والإنسانية العالية التي اكتسبها من روافد عدة، لعل من أبرزها أسرته المحبة للعلم والفضائل لاسيما والده وجده، كما اكتسبها (أيضاً) من بيئته العلمية والاجتماعية، يضاف إلى ذلك فطرته السليمة وتكوينه الذاتي الذي انطوى على حب العلم والعمل، والنبل والوفاء، وظهر هذا بوضوح في سيرته الذاتية وإبداعه الشعري.

- **سيرته:**

يقول شاعرنا في سيرته الذاتية التي خطها بيده: «في صباح اليوم الرابع من يناير سنة تسع وتسعمائة وألف من الميلاد (٤/ ١/ ١٩٠٩م)، وُلِدْتُ في أكبر بَيْتٍ من بيوت «البستان»، وكانت من أعمال «فارسكور»، «مديرية الدقهلية»، وفي سن الطفولة بدأت أتعلم في المدرسة التي بنيناها للقرية، ومن شدة حرص والدي على تعلُّمنا أذكر وأنا قبل سن الخامسة أنه في صباح يوم وجدني لمَّا أذهب إلي المدرسة، ومع أنه كان رفيقاً بنا ومحبًّا لنا، فقد ظهر عليه الغضب، وحملني فوق يده كأَنَّني شيء من الأشياء، وذهب بي إلى المدرسة، وقبل أن يقف «العرِّيفُ» له ألقى بي أمامه، وهو يقول: **«لقد أتيت بنفسي لأُسلِّمه إليك، على أن تُسلِّمه إلينا في إحدى حالتين: إما متعلِّماً، وإمَّا ميِّتاً، ولا وسط بينهما»**، وكان هذا أولُ كلامٍ حازم يصكُّ سمعي في حياتي، ولعله (أيضاً) كان أول كلام انفعلتُ به، ومع أن والدي توفي (رحمة الله عليه) وأنا صغير في سن الخامسة، فإني ما أزال منفعلاً به.

ثم انتقلت إلي مدرسة «شمس الفتوح» بدمياط، ثم إلى المعهد الديني بها وأنا لازلت صغيراً، ذلك بأَنَّ مفتش التعليم الشيخ: «عبد الحميد الأنصاري»، بعد أن أدرك تفوُّقي على مَنْ هم أكبر مني، راح معي إلى منزلنا، وقال عنِّي لجدِّي: «إن ابنكم هذا أَهلُ علمٍ، وإِنَّ مكان العلم بحقٍّ ليس إلاَّ في الأزهر»، وقد كان، ولبست «الكاكولة» و«العمامة» وأنا صغير، وحدث أن استوقفتْني في الطريق سيدةٌ معها صاحبتها، وقالت لي في حُزْنٍ وشفقةٍ، وهي تنظر إلى كاكولتي وعمامتي: «مسكين؛ كسروا نفسك وأنت صغير»، ولمَّا حصلتُ على الشهادة الابتدائية، انتقلت إلى القسم الثانوي بالزقازيق، وبعد نجاحي في آخر العام الدراسي، كانت قد أعلنت وزارة المعارف عن افتتاح تجهيزيةٍ لدار العلوم والقضاء الشرعي؛ فتقدمت لامتحان المسابقة، وكنت أحد اثنين ناجحين فقط من كل الذين تقدَّموا معي من الناحية، وانتظمت بالتجهيزية، حتى إذا كنا في أوائل السنة الدراسية الخامسة والأخيرة، خرجْنا في إحدى المُظاهرات الوطنية، وحملني بعض الزملاء على الأكتاف لأهتف لهم، فصحت فيهم بحماسة وبأعلى صوتي:

يا شبابَ الحِمَى وَخَيْرَ الشَّبابِ أَنْقِذُوا مِصْرَ مِنْ نُيوبِ الذِّئابِ

وفوجئت في اليوم الثاني بقرارٍ بفصلي فصلاً نهائيًّا أنا وثلاثة، ولم تُجْدِ المساعي والمحاولات في إعادتنا، وأخيراً وبعد لَأْيٍ سُمِحَ لنا في أُخريات العام الدراسي بالتقدم من الخارج لشهادة «البكالوريا»، وتقدمنا، ونجحت وانتظمت بمدرسة دار العلوم العليا وتخرجت فيها، وكانت الجمعية الخيرية الإسلامية قد درجتْ على أن تختار مدرسين لمدارسها من أوائل المتخرجين، وتأْبى الوساطة حتى من الباشوات، فَعُيِّنْتُ بإحدى مدارسها، إلى أَنْ ضُمَّتْ مدارسها إلى الوزارة، ثم أَعْلَنَتْ الوزارة عن امتحان مسابقة للترقية إلى التدريس بالمدارس الثانوية، واجتزته ورُقِّيت إليها، وهنا حسبت

أنني سأستريح من كثرة أوامر التنقلات، وإذا بهم يستأنفون ليتموا تطوافي في جميع مدارس القطر من «بور سعيد» إلى النفي إلى «الواحات» وأقصى «الصعيد»...وهكذا:

تَقاذَفُني هذا الزَّمانُ كأَنَّني سفينٌ جرتْ في الموج فاشتدَّ صاخبهْ
وَغَرَّبْتُ حتى لم أَجِدْ رِيْحَ مَشْرِقٍ وشَرَّقْتُ حتى أنكرتني مغاربهْ

وصرت كأَنَّني مُوَكَّلٌ بفضاء الأَرض أَزْرَعُهُ، وطالما بحثتُ لهم عن سببٍ فلم أعثر على سبب، ويعلم الله ما كان من ذنبي إلاَّ كبريائي عن الصَّغار، واعتزازي بالكرامة!!

وسئمت من كثرة كتابة اسمي على كراسات التحضير في كل مدرسة، وبدأتُ بدلاً من أن أكتبه أكتب في مكانه بيت المتنبّي:

يقولونَ لي: ما أنتَ في كل بَلْدَةٍ؟! وما تبتغي؟! ما أبتغي جلَّ أن يُسْمى

ولمَّا كان المتنبي في هذا البيت قد سأل سؤالين، وأجاب فيه عن سؤال واحد، فقد رأيت أَنْ أُزاول فيه رياضةً شعريةً لاستكماله بتشطيره على هذا النحو:

يقولون لي: ما أنت في كل بلدة؟! فقلت لهم إِنِّي لكم مَثَلٌ أَسْمَى
وقالوا: وماذا تبتغي ؟! قلت وَيْحَكُمْ فما أبتغي يا أُمَّةً جَلَّ أن يُسْمى

ثم اخْتِرْتُ مدرساً بالمعاهد الخاصة لتخريج المدرسين، ثم مفتشاً للتعليم، وأَرْسَلَتِ الوزارةُ تسألني إلى أين أُحِبُّ أن أُنْقَلَ؟ وكتبتُ إليهم: «إما إلى القاهرة، وإما إلى الآخرة»، وكأَنَّما أصبح فيهم من يعرفون أحقيَّتي، فنقلوني إلى الأولى، أو لعلهم عجزوا عن الآخرة.

ثم اختاروني لأكون عضواً في البعثة للتأهيل للوظائف الفنيَّةِ العليا، واختبروني، وقُبِلْتُ، وكان لي بين أعضاء البعثة قدرٌ ومنزلةٌ.

وأخيراً انتهى بي المطاف إلى أن أكون مراقباً للتعليم، ورئيساً لقسم الصحافة المدرسية، إلى أن بلغتُ السنَّ وأُطلق سراحي من

الوظـــائف، واســـتمرَّ بي المقـــام هنـــا في المنصـــورة، واســـتمرَّ عطـــائي الأدبي يُسهم في مجال الأدب، وحتى الآن لا زلت في كل مناسبة:

أطيرُ على قصرِ الثقافةِ بُلْبُلاً ورغمَ ارتفاعِ السنِّ أشدو فأُطربُ

هذا...وكان مما حبَّبني في الأدب وشجعني عليه اثنتان:

إحداهما: أَنَّ أحد كبار المفتشين من علماء الأزهر، وهو صاحب الفضيلة الشيخ: «عبد المجيد اللبَّان»، كان قد اطلع على كراسات الإنشاء في زيارة لمعهد دمياط، وكتب لي في كراســـتي مـــن دون الكراســـات جميعـــاً: «أَيْ بُـــنَيَّ أحمـــد: لقـــد راقـــني أسلوبك...وأعجبني فكرك ونظامك...وإِنِّي لأتمنى لك مستقبلاً أدبيًّا زاهـراً، فاعمـل على أن تكون من الأدباء».

والأخرى: أَنَّ ناظر مدرسة شمس الفتوح بـدمياط، وهـو الأسـتاذ: «عـلي العـز بي» (رحمه الله)، كان شاعراً لا يُشَـقُّ له غُبـار، وفارسـاً يَجْـرِي ولا يُجْـرى معـه، وكان مـن أصدقاء شاعر النيل «حافظ إبـراهيم»، ويماثلـه في حسـن إلقـاء الشـعر، وكانـت لنـا محفوظات كثيرة منه في مدرسته، ومن هنا بدأتُ أَتذوَّق عذوبة الشعر، ولَمَّا كنتُ طالباً في القاهرة، وبوصفي تلميذه وخال أولاده؛ فقد أَرْجَيْـتُ إليـه في العيـد بطاقـة شـعريَّةً بالتهنئة، أقول فيها:

يا أبانا الرُّوحِيَّ أُوليتَ حَمْداً مِنْ غِرَاسٍ تعلو بريِّـــكَ مَجْداً
كُلُّ يوم لنا على الدهر عيدُ طالما عشتَ، عشتَ فينا المُفَدَّى
فابقَ عمرَ الزَّمانِ حتى نُؤَدِّي شُكْرَ معروفكم، وَأَنَّى يُؤَدَّى؟!

وما أَنْ قرأَها حتى أسرع يقول لأهله: «أَبْشِري فإِنَّ أخاك قد شَعَرَ»، بيد أَنَّه لمَّـا كان جَدِّي قد منعني (وأنا صغير) من قول الشِّعْرِ، وقال لي: **«بحسبك منـه أَنْ يمـدحنا بـه النازلون علينا، ألم تقرأه أو شيئاً منه في جريدة البصير؟»، فقد أَمْسَكْتُ عنه حيناً من الدهر، وما كنت أقرضه إِلَّا بإلحاح وفي الكُبْرَياتِ، وأَيًّا ما كان فَإِنِّي لم أتخذه مُتَكَسَّباً،**

ولا اشتريتُ به ثمناً قليلاً ولا كثيراً، بل وما أحببتُ في يومٍ أن يُقال عَنِّي إنِّي شاعرٌ، وأَيَّدني في هذا الموقف أن وقعتْ عيني على أول شعر يُعَزِّزُ هذا الرأي، وكان أول ماأعجبني منه فحفظتُهُ، قصيدة الشاعر: «عليّ بن الجهم»، التي مطلعها:

عيونُ المَها بين الرُّصافَةِ والجِسْرِ جَلَبْنَ الهوى من حيثُ أدري ولا أدري

والتي يقول فيها:

صِليهِ لعلَّ الوصل يُحيـيهِ واعلمي بأَنَّ أسير الحبِّ في أعظم الأَسْرِ

فقالت: كأَنِّي بالقوافي سوائراً يَرِدْنَ بنا مِصْراً ويَصْدُرْنَ عن مِصْرِ

فقلتُ: أسأتِ الظنَّ بي لست شاعراً وإن كان أحياناً يجيشُ به صدري

وللشِّعْرِ أَتْباعٌ كثيرٌ ولم أَكُنْ له تابعاً في حالِ عُسْرٍ ولا يُسْرِ

وما أنا مِمَّنْ سَيَّرَ الشعرُ ذكرَهُ ولكنَّ أشعاري يُسَيِّرُها ذكري

وبعد... فهاأنذا (ونزولاً على دعوة كريمة) أُسْهِمُ فَأُدْنِي إلي سفينة الإبداع الثقافيّ ببعض ما يروق ربَّانُها وملَّاحيها مِنْ عطاء، لتجري به في أمواج الحياة الثقافية، وليُبْحِرَ بها سعياً في نشر المعرفة إلى آفاق وآفاق، والله يُوَفِّقُ، والله يُعين، والله يهدي إلى سواء السبيل»[1].

- **إنسانيته:**

الإنسانية فى اللغة: خلاف البهيمية، و هي جملة الصفات التي تميِّزُ الإنسان عن غيره من المخلوقات، وتطلق على جملة أفراد النَّوع البشريّ التي تَصْدُق عليها هذه

(١) من كلمة بخط الشاعر أرسلها إلى قصر ثقافة المنصورة في نوفمبر١٩٨٦م، وهي مصورة في ملحق الوثائق في آخر الدراسة.

الصفات، والإنسان: هو الكائن الحي المفكر، والإنسان المثالي: الإنسان الراقي ذهناً وخلقاً، وهو يفوق الإنسان العاديَّ بقوًي يكتسبها بالتطور[1].

ومصطلح الإنسانية من «المصطلحات التي تخف على الألسنة في كثير من المواقف والمناسبات، وله في لغة التخاطب البشري إيقاع يحرك في النفس دواعي الفطرة، ويستدعي فيها الشعور بمعاني الإخاء والمساواة بين البشر، ولعل هذا المفهوم الأخلاقي هو أول ما يتبادر إلى الذهن عند إطلاق كلمة الإنسانية اعتماداً على أن المرجعية التاريخية لهذه الكلمة قد قررت وحدة الخلق منذ الأزل، وأن البشر جميعاً ينتمون إلى أصل واحد»[2].

والنزعة الإنسانية تعني: «الميل إلى حب الإنسانية، واعتبار الخير العام للإنسان هو الهدف الأسمى»[3].

وتقوم الإنسانية في ديننا الإسلامي على العلاقات بين الأفراد أو الجماعات أو الدول، ولا ريب أن شعورها بالارتباط من حيث المنشأ والمصير يدعوها إلى أن تكون العلاقات بينها علاقات وثيقة العرى وطيدة الدعائم مما يقوي الأواصر ويدعم الروابط في شتى المجالات[4].

يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾[5].

(١) المعجم الوسيط: ١/ ٢٩-٣٠، مادة: أنس ، والاتجاه الإنساني في أدب المنفلوطي: ٢٣٩، بتصرف.

(٢) عالمية الأدب وإنسانيته في إطار التوجه الغربي: ٢٤٨

(٣) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: ٢٢٥

(٤) آداب العلاقات الإنسانية في الإسلام: ٣٧، بتصرف.

(٥) سورة الحجرات: ١٣

يخاطب سبحانه وتعالى الإنسانية جمعاء بإنسانيتهم، وعندما يخطابهم بإنسانيتهم فإنما يخاطبهم بأكرم مافيهم؛ ليُذَكِّرهم بوحدة الخلق والخالق وعراقتهم في الإنسانيته، وتتميز هذه القيم الإنسانية بأنها قابلة للارتقاء الروحي والجسدي معاً، وتقوم على احترام حرية الإنسان وكرامته، وحرماته وحقوقه، وصيانة دمه وعرضه وماله[1].

وتأتي السنة النبوية (أيضاً) مؤكدة لهذا الأمر، يقول ﷺ : «أَيُّها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربيٍّ على أعجميٍّ فضل إلاَّ بالتقوى»[2].

نجده ﷺ « إنسانيًّا قبل أن يكون نبيًّا، فلمَّا أظلته نبوته لم تبرحه إنسانيته، بل لقد زكت وتوهجت، وبقي إنساناً في جوانب حياته، تتصل أرومته بأرض البشر، وتسمو روحه إلى الملأ الأعلى... خالط عشيرته، ودامج بيئته، فكان منها كما كان لها، أحب وأبغض، وأثاب وعاقب، وعامل الناس كما يجب أن يعاملوا»[3].

ندرك بهذا أن الحق (سبحانه وتعالى): «خلق الناس متساوين من أصل واحد هو آدم وحواء، وصيرهم بالتكاثر جموعاً عظيمة وقبائل متعددة؛ ليتم التعاون والتعارف وإن تباعدت ديارهم وأوطانهم وتباينت عاداتهم، واختلفت لغاتهم وأجناسهم»[4].

ولا يمثل مصطلح الإنسانية قيمة في الفكر والثقافة والأدب إلا في إطار أخلاقي، يتجسد فيه شعور الإنسان الفطري بالانتماء الواحد، فإذا عريت الكلمة عن هذا المفهوم فإنها تفقد خصوصيتها في الإيحاء بمعنى المساواة، وتفقد بالتالي مصداقيتها في

---

(١) ينظر في ذلك: منهج التربية الإسلامية أصوله وتطبيقاته: ١١٠، بتصرف.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، ينظر فتح الباري: ٦/ ٥٢٧، وورد في الترغيب والترهيب: ٣/ ٢٧٥، ومجمع الزوائد: ٣/ ٢٦٦، وكنز العمال: ٣/ ٤٢، حديث رقم: ٥٦٥٢.

(٣) النبي الإنسان ومقالات أخر: ١٤- ١٥، بتصرف.

(٤) معالم العلاقات الإنسانية في الإسلام: ٩٩، د. أحمد عبد الرحيم السايح.

حركة الشعوب والمجتمعات، ومن قبيل المغالطات أن تتحول الإنسانية إلى مذهب فكري يُخفي وراء ظاهره البريء سياسة الاحتواء والتغريب، ومعاول الهدم والإبادة[1].

وفي ميدان الدراسات الأدبية والنقدية نجد الجانب الإنساني هو ذلك الجانب الذي يُعنى بقضايا الإنسان أيًّا كان جنسه أو لونه أو عقيدته، وأدبنا العربي غني في عصورنا كلها بالعناصر الإنسانية، لأن الشعراء يمتازون عن غيرهم بفارق الحساسية والصدق والعاطفة القوية، والشعر ينبع من هذا كله، مما يجعله يلعب بأوتار القلوب، «ويعتبر درس الأدب، أو الاشتغال بالفنون مغذِّياً لهذه الطبائع الإنسانية ومنمِّياً لها»[2].

يقول أبو تمام في رحلة بحثه عن إنسان يتمتع بإنسانية عالية؛ ليفضي إليه بذات نفسه:

من لي بإنسان إذا أغضبته وجهلت، كان الحلم رد جوابه

وإذا طربت إلى المدام شربت من أخلاقه وسكرت من آدابه

وتراه يصغي للحديث بقلبه وبسمعه ولعله أدرى به[3]

وقد تعددت الدراسات التي تناولت الجانب الإنساني في شعرنا العربي القديم والحديث، من ذلك دراستهم للقيم والنزعات الإنسانية والاجتماعية في الشعر العربي في عصوره المتعددة[3] ومن أبرز الدراسات التي تناولت الجانب الإنساني لدى شعراء العصر الحديث دراسة: أنور المعداوي، وهي بعنوان: علي محمود طه الشاعر والإنسان[4]، أظهر فيها أن الأدب العربي في الربع الأول من القرن العشرين متشح

---

(١) عالمية الأدب وإنسانيته في إطار التوجه الغربي: ٢٤٩، بتصرف.

(٢) المعجم الأدبي: ٣٧

(٣) ينظر في هذه الدراسات وغيرها: ببليوجرافيا الرسائل العلمية في الجامعات المصرية.

(٤) طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ودار الشؤون الثقافية العامة بغداد ١٩٨٦م

بأثواب الرومانسية تأليفاً وترجمة، وكان ذلك بمثابة ثورة شعورية فنية على مضمون الأدب الكلاسيكي، أي ثورة العاطفة على العقل، والخيال على الواقع، والانطلاق الحر على التزمت والوقار.

وفي ميدان الترجمة نجد أدباءنا يترجمون عن الفرنسية في الأدب الروائي، وكان أمامهم كل الأعمال الفنية للكتَّاب الفرنسيين وغيرهم، وهي تمثل مختلف المذاهب والاتجاهات، ومع ذلك نراهم ينبذون الكلاسيكية والواقعية والطبيعية، ويقصرون مختاراتهم المترجمة على الأدب الرومانسي وحده.

وفي ميدان الإبداع الشعري لانكاد نسمع إلا نغمات حزينة ملتاعة، ينظر أصحابها إلى الوجود بمنظار قاتم، وهم في النهاية ككل الرومانسيين الصادقين يهربون من قسوة الواقع إلى رحمة الخيال، ثم مالبث في الربع الثاني من القرن العشرين أن تحول الإبداع الشعري إلى إبداع واقعي إيجابي، وكان علي محمود طه في النصف الأول من عمره نتاجاً حقيقيا للفترة الأولى، كما كان في نصف عمره الأخير انعكاسا أصيلاً للفترة الثانية، ثم طبق هذه النتيجة على شعر علي محمود طه، مع مقارنته بكثير من الظواهر الشعرية.

ومن أبرز الدراسات التي تناولت شعراءنا في العصر الحديث (أيضاً) دراسة الأستاذ: أحمد عبد المجيد، (سَمِيُّ شاعرنا وهو غيره) وهي بعنوان: أحمد شوقي الشاعر الإنسان[1]، أوضح فيها الكاتب مكانة الإبداع الشعري عامة، وأنه ينبع في حقيقته من الشعور الإنساني، لذا تتفاوت درجات الحساسية والتأثر العاطفي عند تناول الشعراء للقضايا الإنسانية، كما أظهر أن أمير الشعراء: أحمد شوقي كان مفعماً بالإنسانية في كل ماينظم من أشعار، إذا خاطب حجراً فإنه يخاطبه كما لو كان إنساناً تجري في عروقه

(١) طبع دار المعارف، بلا تاريخ.

الدماء، يقول في بقايا أحجار معبد «أنس الوجود» و«فيلة» وهي توشك أن تنقض، ولكنه حولها إلى آية ساحرة من آيات الجمال:

قف بهذي القصور في اليمِّ غرقى ممسكاً بعضها من الذعر بعضاً

كعذارى أخفين في الماء بضًّا سابحات به وأبدين بضا

فشوقي يصور الأحجار بصورة إنسانية فريدة، وذلك من خلال تصوير هذه القصور المترنحة بالعذارى التي تُخفي بعض جمالها في اليم وتُظهر بعضه الآخر.

وكان هذا ديدن شوقي في جميع أشعاره، يحب الإنسانية في كل أحوالها، يشارك بالتهنئة في موضعها، ويهرع إلى الرثاء في حينه، ويمسح عن اليتيم عبراته، ويكفكف دموع الشعوب المظلومة المقهورة التي تطلب التحرر والسيادة، ولم تكن تكفيه ظواهر الأشياء، ولايقف على البادي من الأمور، بل نجده يتغلغل في حشايا النفس البشرية، يستخلص منها ماتنطوى عليه؛ ليدفع صاحبها إلى مايحب أن يكون عليه الإنسان.

لقد كان قلبه الكبير ينبض بحب الإنسانية كلها أينما وجدت، ففي العشرينيات وقع زلزال عنيف في طوكيو، وما إن بلغ نبؤه مسامع شوقي الإنسان، واطلع على فداحة الكارثة، حتى بادر بنظم قصيدة طويلة عن النكبة، لأنه لم يكن يرى الناس ناساً، بل أرواحاً تنطوي صدورها على الخير والمحبة والإنسانية، كلهم عنده سواء، لأنهم أبناء الإنسان الأول آدم (عليه السلام)، ولم يكن يرى الأشجار أشجاراً ولا الأحجار أحجاراً بل يراها مخلوقات تسري فيها نسمات الحياة.

وهذا ماجعل شعره مفعماً بالمشاعر الإنسانية في جميع أغراضه ومعانيه، إنسان في شعره الديني، وإنسان في مديحه ورثائه، وإنسان في وصفه، وإنسان في وطنياته، وإنسان في مواكبته الأحداث الكبرى، وإنسان في روابطه بين أصدقائه، وإنسان في كل مايصفه أو يقع عليه أو يصدر عنه.

ومن الصور الإنسانية العالية لأمير الشعراء التي تدل على ارتباطه بوطنه بكل مافيه ما أرسله من منفاه في الأندلس إلى صديقه شاعر النيل حافظ إبراهيم:

ياساكني مصر إنا لانزال على ... عهد الوفاء وإن غبنا مقيمينا

هلا بعثتم لنا من ماء نهركم ... شيئاً نبل به أحشاء صادينا

كل المناهل بعد النيل آسنة ... ماأبعد النيل إلا عن آمانينا

ويرد عليه شاعر النيل بهذه الأبيات الصادقة النبيلة:

عجبت للنيل يدري أن بلبله ... صاد ويسقي رُبا مصر ويسقينا

والله ما طاب للأصحاب مورده ... ولاارتضوا بعدكم من عيشهم لينا

لم تنأ عنه وإن فارقت شاطئه ... وقد نأينا وإن كنا مقيمينا[1]

وقد شاعت كثير من القيم الإنسانية في حياة شاعرنا أحمد عبد المجيد وفي شعره، عرفت ذلك يقيناً عندما التقيته، حيث كان يفيض علماً وخلقاً ونبلاً في كل مايصدر عنه من أقوال وأفعال ومواقف، كما ظهر ذلك واضحاً في شعره، وقد أردت من خلال دراستي هذه توضيح الجانب الإنساني فيما استطعت الوصول إليه من إبداعه؛ وذلك عن طريق دراسة أفكاره ومعانيه وأغراضه، مع دراسة خصائص التعبير الفني في شعره الإنساني.

(١) أحمد شوقي الشاعر الإنسان: ١١- ١٢.

الفصل الثاني
اتجاهات الإبداع
في شعر أحمد عبد المجيد

تعددت المعاني والأغراض الشعرية التي كتب فيها أحمد عبد المجيد بصورة واضحة، بل إنه تفرد ببعض الأغراض التي ميزته وميزت شعره، لاسيما تلك الأغراض المرتبطة بالعلم والتعليم، وكذا قصائده على لسان أولاده وتلامذته لإلقائها في المناسبات التعليمية المختلفة، وقد ظهر في هذه القصائد كثير من القيم الإنسانية النبيلة التي تميز بها شعره، كما تميزت بها أخلاقه وأخلاق كثير من رواد هذا الجيل الفريد من المعلمين الأفذاذ.

١. الشعر الديني:

اعتاد الدارسون الابتداء بالشعر الديني في تحليلهم نتاج شاعر ما، وعندما ننظر في نتاج أحمد عبد المجيد الذي تيسر لي الوقوف عليه نجده يمتلئ بكثير من الشعر الديني الذي يعبر عن القيم الإيمانية والروابط الإنسانية التي تربى عليها منذ نعومة أظفاره، والتي ظهرت لها الغلبة في كل ماكتبه الشاعر من أغراض.

ويعد شعر المديح النبوي من أبرز الأشعار الدينية حيث ظل الشعراء على مدى أربعة عشر قرناً من الزمان يصوغون أشعارهم حول شخصيته ﷺ باعتباره النبي الخاتم، والمثل الإنساني الكامل، وتنحصر ملامح الشخصية المحمدية في «قسمين أساسيين، أولهما: يتعلق بكشف الملامح الخاصة لشخصية محمد ﷺ وثانيهما: يرتبط بالملامح العامة في هذه الشخصية الكريمة، ويمكن لنا أن نكتشف الملامح الخاصة من خلال تعامل الشعراء مع شخصه الكريم كنبيٍّ مبعوث من لدن العناية الإلهية، ومن خلال الأحداث الهامة التي وقعت في حياته ﷺ والأماكن ذات الصلة بهذه

الأحداث، أما الملامح العامة فيمكن رؤيتها في صورة المنقذ القومي ورسول الإنسانية ورمز التفوق والحضارة، وفي كل الأحوال فإنه لابد من التأكيد على أن عملية الفصل بين الملامح الخاصة والملامح العامة للشخصية المحمدية لاتعني بالضرورة أن الشاعر يقف شعره أوقصيدته كلها على ملمح بذاته، بل إن الأمر غالباً مايكون مجتمعاً لدى الشاعر الواحد في القصيدة الواحدة، فنراه يتناول الملامح العامة والخاصة لدرجة يصعب معها أحياناً الفصل بينهما»[1].

وأكثر المدائح النبوية قيل بعد وفاة الرسول ﷺ ومايقال بعد الوفاة يسمى رثاءً، ولكنه في الرسول ﷺ يسمى مدحاً، كأنهم علموا أن الرسول ﷺ موصول الحياة، وأنهم يخاطبونه كما يخاطبون الأحياء؛ للتقرب إلى الله بنشر محاسن الدين، وشمائله ﷺ في أرجاء الأرض[2].

وقد كان للأستاذ: أحمد عبد المجيد، باع كبير في هذا الغرض الجليل، ومن قصائده التي عرضت للملامح الخاصة والعامة للنبي ﷺ قصيدته: في ذكرى الهجرة[3]، التي عرض فيها سيرة الرسول ﷺ منذ بداية دعوته، وتبدأ هذه القصيدة بذكر يوم الهجرة

---

(١) محمد ﷺ في الشعر الحديث: ١١٢

(٢) ينظر في ذلك: المدائح النبوية في الأدب العربي: ١٧ بتصرف

(٣) للقصيدة نسختان مخطوطتان بخط الشاعر لديَّ، إحداهما تقع في خمس صفحات، وعنوان القصيدة فيها: محمد رسول الله ﷺ وخاتم النبيين في ذكرى الهجرة في أفراح الذكرى، والأخرى في أربع صفحات وعنوان القصيدة فيها: محمد رسول الله ﷺ وقد اعتمدت عليهما في تحرير النص، مع الإشارة إلى بعض الخلافات بينهما في الهامش، واخترت لها عنوان: في ذكرى الهجرة.

وماحدث فيه من جهاد لنصرة شريعة الإسلام التي يدعو لها خير الأنام محمد ﷺ لاقتلاع صور الفساد من المجتمع، ثم يسرد الشاعر أحداث السيرة العطرة بقوله:

بُعِثَ النَّبيُّ بِدَعْوَةٍ عُلْوِيَّةٍ ... لقبيلةٍ فيها الغَوِيُّ المُلْحِدُ
فَدَعاهُمُ لعِبادَةِ اللهِ الَّذي ... هُو ربُّ كُلُّ الكَوْنِ وهُوَ الصَّمَدُ
فاستنكَروا أن يَتْرُكُوا أَصْنامَهُمْ ... وهي التي من قَبْلُ كانَتْ تُعْبَدُ
كيف التَّحَوُّلُ والعبادةُ عَادَةٌ ... والمرءُ مَرْهُونٌ بما يَتَعَوَّدُ ؟!

ثم بدأت رحلة الترهيب والترغيب له ﷺ فاحتمل ذلك بتجلد وعزيمة وصبر:

آذَوْهُ فاحْتَمَلَ الأَذَى بِتَجَلُّدٍ ... وعَزِيمَةٍ مِنْ عَزْمِهِ تَتَوَقَّدُ
صَبَرَ النبيُّ فما استكانَ لِشِرْكِهِمْ ... بل ظَلَّ يَدْعُو للسَّدَادِ ويُرشِدُ
حتَّى إِذَا ضَاقُوا به ذَرْعاً ولَمْ ... يُجْدِ الأَذى عَادَ الأَذى يَتَوَدَّدُ
إِنْ كُنْتَ تَبْغِي المالَ فاحْظَ بمالنا ... حَتَّى يَكُونَ لَكَ الغِنَى والسُّؤْدَدُ
أو كنتَ تبغي المُلْكَ فامِلِكْ دُوْنَنا ... ليكونَ فيكَ العاهلُ المتفرِّدُ
أَوْ كان يَسْتَدْعِي الأَطِبَّةَ عِلَّةٌ ... جِئْنا بهمْ إِنْ أَتْهَموا أو أَنْجُدُوا

ولكن جاء الرد حاسماً منه ﷺ:

فَأَجَابَهُمْ يا قَوْمَنا لا تُبْعِدُوا ... شَأْنِي لَدَيْكُمْ فَوْقَ ذَاكَ وَأَبْعَدُ
قالوا: نُدَاوِلُ بَيْنَنَا أَدْيَانَنَا ... وبِدِينِنَا وبِدِينِكُمْ نَتَعَبَّدُ

يا أَيُّها الكفَّارُ: ما أَنَا عابدٌ ما تعبدو ... ن وأَنتُمُ لن تَعْبُدوا ما أَعْبُدُ[1]
اللهُ رَبُّ الخَلْقِ جَلَّ جلالُهُ ... هُوَ مَقْصِدي الأَسْمى ونِعْمَ المَقْصِدُ
اللهُ لا الصَّنَمُ الجَمادُ هُوَ الَّذِي ... عَنَتِ الوجوهُ لهُ وخَرَّتْ تَسْجُدُ

ولما لم يجدوا سبيلاً لإثنائه عن دعوة الإسلام تآمروا عليه، وجمعوا من كل قبيلة شاباً ودبروا مكيدتهم؛ ليضيع دمه بين القبائل:

قالوا: تَعِيبُ إلهنا ! وتَوَاعَدُوا ... غدراً به متجمِّعينَ وأَوْعَدوا
في ضَرْبَةٍ مِنْ كُلِّ جَلْدٍ بينهم ... دَمُـهُ يَضِيعُ وثَأْرُهُ يَتَبَدَّدُ
أَيَخافُ من غَدْرِ الضِّعافِ ومَكْرِهِمْ ... مَنْ كان بالله القَوِيِّ يُؤَيَّدُ؟![2]
أَوْحى إِليهِ اللهُ أَنْ قُمْ فاغْتَرِبْ ... وإِلى المَدِينَةِ سِرْ فَأَنْتَ مُسَدَّدُ

أعد العدة ﷺ للهجرة إلى المدينة، بعد أن ظلمه أهله أشد الظلم، وتآمروا عليه وعلى دعوة الإسلام، فاستقبله الأنصار وتوافد المسلمون عليه من كل مكان:

خرج النبيُّ من البلاد مُهاجراً ... قد ضَمَّهُ غارٌ وأَمْسَكَ فَرْقَدُ
فاستقبلَ الأنصارُ مَقْدِمَهُ كما ... يُسْتَقْبَلُ الأَمَلُ المُعَزُّ المُسْعَدُ
وتوافدوا من كُلِّ صَوْبٍ نحوَهُ ... وَفْدٌ يَحُـفُّ به وَوَفْدٌ يُرْفِدُ
قال النبيُّ: دعوا الزِّمامَ لناقَتي ... فَهِيَ الدَّليلُ، وحيثُ تَقْصِدُ أَقْصِدُ
يا ناقتي سيري مناخُكِ منزلي ... وعلى طَهُورِ ثَراهُ يُبْنَى المَسْجِدُ
يا أَحمدَ الخيراتِ صِرْتَ بِمَأْمَنٍ ... مِنْ مُشْرِكينَ تَوَعَّدُوكَ وهدَّدوا

(١) في رواية: ويقول ما أنا عابد.
(٢) في رواية: غدر اللئام... مؤيد.

وكانت الصولات والجولات بين الحـــق والباطل، حتى نصـر الله الحق، وأعز دينـــه، ونصـر نبيه ومن تبعه من المؤمنين، ودخل ﷺ مكة فاتحاً، وضرب الأمثال للناس للصفح عن كل من أساء وظلم وتجبر:

ودخلتَ مكةَ فاتحاً فاستبشرتْ ... والكعبةُ اعتـزَّتْ وَعَـزَّ المسجدُ

جَنَّدْتَ من أقطار عَزْمِكَ ثُلَّةً ... خَفَّتْ إليهِ وَحَطَّمَتْ ما يُعْبَدُ

وازدان كالفردوس كُلُّ رحابه ... وجَنَـابُهُ مُتَطَهِّرٌ مُتَجَدِّدُ

دَوَّتْ به «اللهُ أَكْبَرُ» رُكَّعٌ ... خَرُّوا بها عِنْدَ الصَّلاةِ وسُجَّدُوا

دَوَّتْ فزلزلتِ العروشَ جميعَها ... وَغَدَا طريدَ القَوْمِ وهُوَ السَّيِّدُ

وَسَمَتْ إلى جَوِّ السَّماءِ مآذنٌ ... ورَسَتْ على رَحْبِ الفَضَاءِ قَوَاعِدُ

ثم يعرض لبعض صـور الإيـذاء الـتي تعـرض لهـا المسـجد الحـرام في العصـر الحديث، وهي صورة تفرض نفسـها على المبـدع عنـدما يقـارن بـين يـوم فـتح مكـة وماشاهده المسلمون من عزة ونصرة ومنعة، وبين مايحدث من قلة من النـاس تحـاول النيل من هذه الأماكن المقدسة.

وينتقل الشاعر إلى وصف جانب من الملامح العامة للرسول ﷺ في القصـيدة ذاتهـا؛ بما يؤكد تـداخل الملامـح الخاصـة والعامـة في الإبـداع الأدبي، يقـول الشـاعر مسـتنجداً برسول الله ﷺ:

لكَ يا رسولَ اللهِ حُبٌّ غامرٌ ... وَلَكَ الثَّناءُ الدَّائمُ المتردِّدُ

أَعْليتَ دينَ المؤمنينَ، وإِنَّهُمْ ... لك يحمدون وإنَّني لك «أحمدُ»

. . . . . .

وإذَا غَزَوْتَ فإِنَّ بَأْسَكَ في الوَغَى ... سَهْمٌ إلى صَدْرِ العَدُوِّ مُسَدَّدُ

وإذا غَضِبْتَ فَسَيْفُ بَطْشِكَ مُصْلَتٌ ... وإذا عَفَوْتَ فَنَصْلُ ثَأْرِكَ مُغْمَدُ
وإذا استعاذَ بِكَ العِدَا عوَّذْتَهُمْ ... فإذا العَدَاءُ مَحَبَّةٌ وَتَوَدُّدُ
وإذا نهارُ النَّاسِ دُنْيَا، كُنْتَهُ ... دينًا مع الدُّنْيَا، بِهِ تَتَقَيَّدُ
وإذا فَرَغْتَ مِنَ النَّهارِ لليلهِ ... أَمْسَيْتَ في ظَلْمَائِهِ تَتَهَجَّدُ

ويختم الشاعر قصيدته بقوله:

مهما مَدَحْتُكَ يا رسولُ فَمِدْحَتي ... دُونَ المَقامِ وإِنْ عَكَفْتُ أُجَوِّدُ
مابَعْدَ قَوْلِ الوَحْيِ فِيـــكَ تَزَيُّدٌ ... لبلاغَـةٍ يأتي بهـــا مُتَزَيِّدُ
اللهُ أَثْنَى والمَلائِكُ أَيَّدُوا ... واللهُ صلَّى والخلائقُ ردَّدوا
واللهُ نادى مَنْ هَدَاهُمْ هَدْيُهُ ... صلُّوا عليه وسلِّموا يا مَنْ هُدُوا
تَتْرَى عليكَ صلاتُنا وسلامُنا ... مالاح نجمٌ أو تألَّـقَ فَرْقَـدُ

ومن قصائده (أيضاً) في مديح المصطفى ﷺ قصيدة: ذكـراك ياطـه سـنا الأعيـاد [1]، وهي أول قصيدة سمعتُها منه وكان يلقيها من حفظـه بانفعـال شـديد بمـا يشـعرك أن أرجاء الكون تهتز من وقع إنشاده، وكم كانت قدرته عجيبة على تجسيد المعاني بصـوته، واختيار المواضع التي يحسن الوقوف فيها، وهي ملكة قل من يتقنها من الناس، يقول:

قُمْ حَيِّ ميلادَ النبيِّ المصطفى ... مِنْ أَشْرفِ الآباءِ والأجدادِ
وانظمْ له الدُّرَرَ الغَواليَ صُغْتَها ... مِنْ حُسْنِ طارِفَةٍ وخَيْرِ تِلادِ
أَسْمِعْ بها الآفاقَ من أطرافها ... في البيتِ أو في الحَفْلِ أو في النَّادي

(١) سلسلة الإبداع الشعري: ٢٧- ٣٠

فلطالما نادى بأفضلِ دَعْوةٍ صَفَتِ النفوسُ بها مِنَ الأحقادِ

ويخاطب المصطفى ﷺ موضحاً مالاقاه من عنت ومشقة في نشر دعوة الإسلام:

يا صفوةَ الرُّسُلِ الذين استُهدفوا لرذائلِ الأشرارِ والأوغادِ
جئتَ الجزيرةَ والقلوبُ نوافرٌ وعلى عُيونِ العُرْبِ شِبْهَ رُقادِ
تدعو، فإن صافاكَ منهم واحدٌ فوراءه بالكَيْـدِ أَلْفُ مُعادي
لكنَّـما جاهدتَهُمْ مُتَحَمِّـلاً وَصَبَرْتَ لم تَرَكَنْ إلى الإخلادِ
كنتَ الحكيمَ، عرفتَ من طبع الدُّنا أن تُمْسِكَ الأحرارَ في الأصفادِ
وعرفتَ أنَّ الصَّبْرَ خيرُ تجارةٍ تستتبعُ النُّعْمَى وخيرُ عَتَادِ
ودعوتَ يا ربي أَعِنِّي واهدني فإذا بها اخترقَتْ طِبَاقَ شِدَادِ
إن المحبَّ إذا دعا فدعاؤه لا ينثني إلا بنيلِ مُـرادِ

ويعدد بعض شمائله ﷺ :

اللهُ أكرمَ أُمةً بشمائـلٍ أُوتِيتَها تربو على التَّعْدَادِ
أدبٌ وإيمانٌ وقلبٌ مشفقٌ ويُريكَ قلبَ اللَّيثِ يومَ جلادِ
وأمانةٌ وقناعةٌ وتواضعٌ في هِمَّـةٍ وعزيمةٍ وسَدَادِ
نفدتْ بُحور المادحينَ خلالَهُ وخلالُهُ ظلَّتْ بغيرِ نَفَـادِ
قد حاول النُّقادُ تجريحاً لها فتمثَّلَتْ عذراءَ للنُّقادِ

ثم يقودنا الشاعر في قصيدته: يارب [1]، إلى مناجاة الله، يحلق في ملكوته يرجو عفوه وغفرانه عندما يشعر باقتراب أجله، ويتساءل عن مصيره يوم الحساب، وهذا موقف من أصدق المواقف التي تمر بالإنسان، عندما تتفلت الحياة من بين يديه دون أن يشعر، ولا يعرف المرء مكانته عند رب العالمين (سبحانه وتعالى)، يقول:

لَقَدْ لاحَ لي حَيْني و واللهِ ما أَدْري ... أَيَشْرَحُ صَدْري أَمْ يضيقُ به صَدْري؟
أَحِبَّاي عُـذْراً أَنْ أُفارِقْ فَإِنَّني ... لَأَخْوَجُ مِنْكُمْ في الفِرَاقِ إِلى العُذْرِ
وما كانَ أَمْري في يَدِيَّ فليسَ لي ... لدى حَادِثاتِ الدَّهْرِ شيءٌ مِنَ الأَمْرِ
أَلا مَنْ مُجيري؟ من مُجيري ومُنْقِذي ... مِنَ الدَّهْرِ واغوثاهُ مِنْ قَسْوَةِ الدَّهْرِ
وَكُنَّا كتاباً حافِلاً بِسُطُورِهِ ... فَصَيَّرنا سطراً وأَخْنَى على السَّطْرِ
وأَسْلَمْتُ وجْهي للمقاديرِ تاركاً ... أَعِنَّتَها تَجْري بنا كيفما تَجْري
مَتَى مِتُّ فانْعَوْني بما أَنا أَهْلُهُ ... فقد كان ذِكْري عِنْدَكُمْ أَطْيَبَ الذِّكْرِ
وشُقِّي عليَّ الجَيْبَ «يا أُمَّ أَمْجَدٍ» ... وقُولي أَيا عِزِّي وقُولي أَيا فَخْرِي
خُذُوني فَشُدُّوني بِثَوبي إِلى الثَّرَى ... فَقَدْ صارَ شَدِّي بَعْدَ عُسْرٍ إِلَى يُسْرِ
وهيَّا فَعُودوا لا تَخافوا على امْرِئٍ ... تُضِيءُ لهُ أَعْمَالُهُ ظُلْمَةَ القَبْرِ
دَعُونيَ مِنْ أُوْلَا ي للهِ إِنَّني ... أَرَى عِنْدَهُ أُخْراي تُشْرِقُ بِالبِشْرِ
وَإِنْ ضاعَ قَدْري في الأَنامِ فَإِنَّني ... لَدَى حَافِظِ الأَقْدَارِ يَحْفَظُ لي قَدْري
وَيَقْدِرُ لي سَبْقي وَفَضْلَ مَدَارِسي ... وَيَقْدِرُ لي شِعْرِي ويَقْدِرُ لي نَثْرِي

(١) تحت شمس الشعر: ٦٤- ٦٥

لقد أخلص الشاعر أَيَّما إخلاص في أداء رسالته التعليمية، وكان نموذجاً مثالياً للتفاني في ذلك دون سعي إلى منفعة مادية، بل إنه كان يُغدق على طلابه من عطاياه كما فعل جده من قبل عندما أنشأ مدرسة لتعليم أبناء قريته «البستان»، هذا التاريخ جعله يطمئن إلى حسن الثواب من رب العالمين، ولكن قلقه كان على أبنائه الذين وهبهم الله إليه بعد أن طعن في السن، وهذا دفعه إلى الخشية عليهم، لاسيما أنه لم يورثهم الأموال الطائلة كغيره من الناس، إنما ورثهم العلم، يقول:

أَتَقْضِي مَعِي إِنْ حَانَ حَيْنِي مَعَارِفي ... وما حُزْتُها إِلَّا بِصَبْرٍ على صَبْرِ
ويُحْزِنُنِي أَلَّا أُوَرِّثُها كما ... يُوَرَّثُ لِلأَبْناءِ ما حَازَهُ غَيْرِي
ويارَبِّ ماذا بَعْدَ هذا مَصِيرُنا؟ ... وحَقُّكَ ما أَدْرِي فَأَنْتَ الَّذِي تَدْرِي
وما مِنْ مَصِيري كانَ ذُعْرِي وَإِنَّما ... مَصِيرُ حَشاشاتِي يُسَبِّبُ لي ذُعْرِي
أَخافُ عليهم عَثْرَةً في حَياتِهِمْ ... بها خَيْلُهُمْ تَكْبُو على مَسْلَكٍ وَعْرِ
ويَهْدَأُ قَلْبِي بَعْدَ خَوْفٍ لِأَنَّني ... تَرَكْتُ إِلَيْكَ الأَمْرَ يا صَاحِبَ الأَمْرِ
وفي حُضْنِكَ الواقِي الحِمايَةُ فاحْمِهِمْ ... وَأَسْبِلْ عَلَيْهِمْ مِنْ عَطائِكَ بالسِّتْرِ
يُعِيدونَ أَمْجادَ الجُدُودِ بِعَزْمَةٍ ... ويُعْلُونَ للأَوْطانِ أَلْوِيَةَ النَّصْرِ

ويختم الشاعر قصيدته بمناجاة ربه (سبحانه):

وَمِنْ أَجْلِهِمْ أَدْعُوكَ «ياربِّ» فاستَجِبْ ... لِمَنْ عاشَ يسترضيكَ بالذِّكْرِ والشُّكْرِ
وعَلَّمْتُهُمْ «ياربِّ» دَعْوَةَ عَائِزٍ ... تُجَنِّبُهُمْ ما أَضْمَرَ الدَّهْرُ مِنْ غَدْرِ
ولا بُدَّ مِنْ «ياربِّ» في كُلِّ شِدَّةٍ ... فـ «ياربِّ» فيها راحةُ القَلْبِ والفِكْرِ

وإذا تتبعنا قصائده في الأغراض الأخرى نجد بها إيماناً عميقاً، وحسًّا دينيًّا راسخاً، وقيماً إنسانية عليا، وحسبي ماقدمته هنا بطريقة موجزة تلقي الضوء على الجانب الديني في شعره.

٢. الشعر الاجتماعي:

الشعر الاجتماعي هو الذي يعرض للقضايا العامة في المجتمع كالوطنية والقومية وجميع المناسبات العامة، أو القضايا الخاصة كالعلاقات بين الأفراد والجماعات والمجاملات في المناسبات الاجتماعية الخاصة، وهو يدعو إلى التحلي بالفضائل ونبذ الرذائل والعمل على تلافيها بشتى صورها وأشكالها.

وشاعرنا أحمد عبد المجيد كان معنيًّا غاية العناية بقضايا مجتمعه العامة والخاصة، وتميز شعره بجانب اجتماعيٍّ مهم هو جانب العلم والتعليم، فظهر شعره على لسان الأطفال معبراً أصدق تعبير عن القيم والأخلاق التي أراد غرسها في أبنائه الطلاب وكل المحيطين به من الأهل والأصدقاء والزملاء، كما كتب في التهنئة بالمناسبات الاجتماعية المختلفة، بالإضافة إلى ماكتبه عن بعض المؤسسات العلمية كجامعة عين شمس، أو ماأبدعه في ملحمته الفريدة «معلم قبول الغروب» التي سرد فيها رحلته العلمية وتجاربه الاجتماعية.

وأول ما أعرض له من شعره الاجتماعي ماكتبه في منظمات الشباب التي تقوم على ترسيخ قيم العمل والانتماء في نفوس الشباب، يقول[1]:

اليومَ يَنْهَضُ شِعْرِي بَعْدَ عَثْـرَتِهِ ... وَيَسْتَحِثُّ الخُطَا مِنْ بَعْدِ كَبْوَتِـهِ

كأَنَّهُ جامحٌ مازلتُ أَعْطِفُهُ ... حتَّى استَكَانَ وأَعْطَى مِنْ أَعِنَّتِهِ

(١) القصيدة مخطوطة، وهي بعنوان: في منظمات الشباب.

ثم يوضح مكانة الشباب وعزمه في حب الوطن والانتماء إليه لإعادة أمجاده، هذا الحب والانتماء يرهب كل أعداء الوطن ويجعلهم كأن بهم مسًّا من الجن من شدة خوفهم وفزعهم:

اللّهَ اللهَ في عَزْمِ الشَّبَابِ فَهُمْ ... للشَّعْبِ نِعْمَ المُرَجَّى عِنْدَ مِحْنَتِهِ

أَشْبَالُ مِصْرَ جُنُودُ اللهِ في وَطَنٍ ... كَكَعْبَةِ اللهِ أو قُلْ مِثْلُ جَنَّتِهِ

دَعَوا فَزُلْزِلَتِ الدُّنيا بِدَعْوَتِهِمْ ... اللهُ أَكْبَرُ للوادي وعِزَّتِهِ

فاستيقظَ الغَرْبُ مَذْعُوراً كَأَنَّ بِهِ ... مَسًّا مِنَ الجِنِّ يَهْذِي إِثْرَ دَعْوَتِهِ

ياغَرْبُ إِنَّ عَرِينَ الشَّرْقِ قَدْ نَهَضَتْ ... أَشْبَالُهُ كاشِفَاتٌ ليلَ غُمَّتِهِ

وفي العيد القومي للدقهلية يبدع الشاعر أنشودة بديعة كانت تُغنى في كل المناسبات الوطنية والقومية بالمحافظة، نرى في أنشودته امتزاج العاطفتين الدينية والوطنية، وكيف وظف الشاعر التاريخ الوطني المشرف في غرس قيم الانتماء في نفوس الشباب، يقول[1]:

باسْمِكَ اللّهُمَّ رَبَّ العالمينْ ... باسْمِكَ الأعلى وبالعَرشِ المَكِينْ

باسْمِكَ البارئُ كُلَّ النَّسَمِ ... باسْمِكَ المُبدِعُ شَقَّ النِّعَمِ

باسْمِكَ المَعبُودُ نَدْعُو مُخلِصينْ ... وبهِ لا بِسِواهُ نَسْتَعِينْ

أَنْتَ رَبُّ الرُّوحِ رَبُّ القَلَمِ ... عَلَّمَ الإِنْسَانَ مالَمْ يَعْلَمِ

فِضْ عَلَيْنَا بِفُتُوحِ العَارِفِينْ ... رَبَّنَا وَاكْتُبْ لنا النَّصْرَ المُبِينْ

(١) القصيدة مخطوطة، وهي بعنوان: في العيد القومي للدقهلية.

وبعد هذه المقدمة ينطلق الشاعر في عرض صور الفخر التي يتمتع بها إقليم الدقهلية في تاريخه القديم والجديد، بما يدفع الشباب إلي العزة والانتماء، من ذلك قوله:

نَحْنُ مِنْ أَعْوَادِ واديكَ الحَبِيبْ نَحْنُ مِنْ نَبْتِ ثَرَى مِصْرَ الخَصِيبْ
رِقَّةٌ في السِّلْمِ كالزَّهْرِ الرَّطِيبْ يَنْفُخُ العِطْرِيَّ مِنْ مِسْكٍ وطيبْ
وَلَدَى الجُلَّى سِباعٌ في الفَلا
ضَرَبَتْ بالصِّيدِ تُرْدِي المُعْتَدِينْ

وقوله:

نَحْنُ أَبْنَاءُ الشَّمَالِ السُّعَداءْ مُلْتَقَى البَحْرَينِ في غَيْرِ اعتداءْ
جَوُّنا صَحْوٌ بأَرْضٍ وَسماءْ في السَّحابِ السَّمْحِ في الرِّيحِ الرَّخاءْ
مُزْجِياتٍ كُلَّما قِيلَ هَلا
قالتا إِنَّا أَتَيْنَا طائعينْ

ويأتي من التاريخ ببعض صور البطولة لمدينة المنصورة وغيرها من المدن في مقاومة الاحتلال، منها في العصر الحديث مقاومة الاحتلال الفرنسي، وفي العصر القديم حكمة شجرة الدر التي أخفت نبأ وفاة زوجها حتى تعود جيوشه منتصرة على الأعداء، يقول الشاعر:

كانت المنصورةُ الجيشَ الخَمِيسْ اسألوا عنها الفرنسيسَ لويسْ
رامَ دَوْسَ الشَّرْقِ بالغَزْوِ فَدِيسْ وهْوَ في دارِ ابنِ لُقمانَ حَبِيسْ
سائِلُوها واسأَلُوا عَنَّا العُلا

فلديهـــا النبـــأُ الحـقُّ اليقيـــنْ

واذكـروا بالفَخْـرِ بيـنَ النَّيِّـراتْ شَجَـــرَ الدُّرِّ وشَمْسَ الملـــكاتْ

جَعَلَتْ من زَوْجِهَا وهْوَ رُفَاتْ مَلِـكاً حيـًّا يَحُلُّ المُعْضِلاتْ

وإذا الغـابُ من اللَّيـثِ خلا

فَلِأُمِّ الشِّبلِ أَنْ تَرْعى العَرِينْ

وبعد أن عدد كثيراً من أمجاد الوطن قديماً وحديثاً، وضع أقدام الشباب على طريـق العمل والجد بعيداً عن الركون إلى أمجاد الأجداد والاتكاء عليها، لأن الشـباب لابـد أن يستكملوا المسيرة ولا يتوقفوا عند مابناه الأجداد، يقول:

أَيُّها الثَّاوونَ بَيْـنَ الشُّهَـداءْ قَدْ بَنَيْتُـمْ ثُمَّ أَتْمَمْنا البِنَـاءْ

حَقَّقَ الشَّعْبُ الأَمانِيَّ الوِضَاءْ ثُـمَّ تَوَّجْنَـا الأَمـاني بالجَـلاءْ

سُوِّيَـتْ خَلْقًا وكانَتْ أملا

وعلى القَفْرِ جَرَى الماءُ المعينْ

ويزيد الشاعر تلك المعاني رسوخاً في نفوس الشباب في نشيد عيـد العلـم، الذي كتبـه لمنطقة المنصورة التعليمية[1]، وذلك في قوله:

يَوْمُنا يومٌ سَعِيدْ زَانَـهُ لِلْعِلْمِ عِيدْ

إِنَّهُ العيدُ المجيدْ جَدَّ في العَهْدِ الجَدِيدْ

(١) نشيد «عيد العلم» لمنطقة المنصورة التعليمية محافظة الدقهلية، كلمـات الشـاعر: أحمـد عبـد المجيد، موسيقى: محمد إبراهيم حسن، مطبعة ومكتبة النيل بالمنصورة ١٦/ ١/ ١٩٥٦م

مُشـرقاً لَألاءَ وَضَّـاءَ الجَبِـينْ

مَـجِّدي يا مِصْرُ جَهْدَ النَّابِغِينْ وارفَعِي يا مصرُ قَدْرَ النَّابِهِينْ
وَانْعَمِي يا مِصْرُ في العَهْدِ الأَمِينْ بالهُدى وَالعِلْمِ والفَتْحِ المُبِينْ
قَدْ بَلَغْنَا المَجْدَ مِنْ دُنْيَا وَدِينْ وَزَهَتْ أمجادُنا في العَالَمِينْ

ويعد شعره على لسان الأطفال الذي كتبه لإنشاده في المناسبات التعليمية المختلفة من أبرز الأشعار الاجتماعية لديه، من هذا الشعر مقطوعة السلام التي قيلت على مايبدو عقب مصالحة جرت بين زعيمين عربيين لم يرد ذكرهما، وإن كان المرجح أنها بين مصر وإحدى الدول العربية، يقول الشاعر في تقدمة نثرية للمقطوعة على لسان إحدى التلميذات: واسألينا يا أبلتنا الأم الحبيبة الغالية، كم كانت فرحتنا ونحن نرى العاهلين العربيين يتعانقان في تعاطف الأخوين الحبيبين، وتشنف آذاننا تصريحات الاتفاق على مسيرة مخططة لاستكمال السلام، وتحقيقه بكل وسيلة لإسعاد العالم العربي... لله ما أكبرها فرحة !! ويا سلام ما أزهى بشرياتك، وأرق نسماتك !! يقول[1]:

أَهَلَّتْ تباشيرُ نُورِ السَّلامْ وَرَفَّتْ بها نَسَماتُ السَّلامْ
فَهَيَّا ارتفعْ يالواءَ السَّلامْ وَرَفْرِفْ كَمِثْلِ حمامِ السَّلامْ
ويارَبِّ أَتْمِمْ علينا السَّلامْ وَسَدِّدْ خُطانا بِرُوحِ السَّلامْ
فَدِينُكَ يارَبِّ دينُ السَّلامْ وأَنت السَّلامُ ومنكَ السَّلامْ

وتتوالى أشعاره على لسان الأطفال، لاسيما في عيد الأم، من ذلك قوله[2]:

(١) القصيدة مخطوطة، وهي بعنوان: السلام.

(٢) المقطوعة مخطوطة، وهي بعنوان: أم.

أَلِفٌ ميمٌ يعني أُمْ وَمُعَلِّمَتِي هِيَ لِي أُمْ
قَدْ وَلَدَتْنِي أَحْنَى أُمْ وَتُعَلِّمُنِي أَسْنَى أُمْ
كَمْ فِي قَلْبِي لَهُمَا كَمْ لَهُمَا فيهِ حُبٌّ جَمْ

فإذا ماكتب الشاعر على لسان ابنته مزج بين ثنائية الأم المعلمة، والأم المربية، يقول في تقدمة نثرية لقصيدة عيد الأم: تلك عواطف ابنتي مترجمة على لساني نحو أُمَّيها، أمها التي ولدتها، وأمها التي علمتها، في عيد الأم عيد الربيع، يقول[1]:

العِيْدُ عَادَ وَإِنِّي كَكُلِّ عِيدٍ أُهَنِّي
وَلِلَّتِي عَلَّمَتْنِي مَعَ التَّهاني التَّمَنِّي
على هَوَايَ هَوَاها رُبِّيتُ مِنْ صُغْرِ سِنِّي
لِلأُمَّهَاتِ جميعاً أَشْدُو بِأَعْذَبِ لَحْنِ
في عِيْدِهِنَّ الأَغَرِّ عِيْدِ الرَّبِيعِ الأَغَنِّ

وبعد أن يعدد مظاهر الربيع ومظاهر الفضل للأمين، يتوجه بالدعاء لهما على لسان ابنته:

أُمَّايَ نُورُ حَيَاتِي فِي مُدْلَهِمِّ الدُّجْنِ
نُوْرَانِ لِكِنَّ نُوراً عَنْ صِنْوِهِ لَيْسَ يُغْنِي
فَتِلْكَ لي نُورُ عَيْنِي وَتِلْكَ لي نُورُ ذِهْنِي
كَمْ تَحْمِلانِ لأَجْلِي مِنْ وَهْنٍ في وَهْنِ

(١) القصيدة مخطوطة، وهي بعنوان: عيد الأم.

أَعِنْهُما يا إلهي ... مِنْ جَاهِكُمْ بالعَوْنِ
وَصُنْهُما يا إلهي ... في ضَافِيَاتِ الصَّوْنِ
يارَبِّ واحفظهُمَا لي ... مِنْ شَرِّ إِنْسٍ وَجِنِّ
يَارَبِّ أَنْتَ قَرِيبٌ ... مِنْ دَعْوَةِ المُـتَمَنِّي
هَذا دُعَاءُ التَّمَنِّي ... فَاقْبَلْهُ يارَبِّ منِّي

ويخصص إحدى الأمهات المعلمات ببعض قصائده على لسان ابنته «رشا»، وذلك مثل الأستاذة: «ثريا»، التي كتب لها عدة قصائد على لسان ابنته؛ لما بذلته هذه المعلمة من جهد في أداء الأمانة، وفي تعليم أبنائها أصول الدين الحنيف، يقول عنها الشاعر على لسان ابنته[1]:

أَبَرُّ تَحيَّاتِي وتَقْدِيرِيَ الأَسْمى ... لِـمَنْ فَضْلُها وَفَّى، وَمَنْ فَيْضُها عَمَّ
مُعَلِّمَتِي أُمِّي، تَوَلَّتْ رِبَايَتِي ... وَأَكْرِمْ بمَنْ رَبَّتْ، وَأَنْعِمْ بها أُمَّا
وَمَامَا «ثُرَيَّا» في السَّماءِ مَقَامُها ... تَعالى عُلُوَّ النَّجْمِ أَوْ جَاوَزَ النَّجما
مَذَاهِبُ تَرْشِيدِ الطُّفولَةِ كُلِّها ... أُمومَتُكِ المُثْلَى أَحَاطَتْ بها فَهْمَا
لَقَدْ سُسْتِنَا بالقِسْطِ ليناً وَشِدَّةً ... فآوِنَةً حِلْماً، وَآوِنَةً حَزْمَا
وحَبَّبْتِنَا في الدِّينِ وهْوَ فَضَائلٌ ... كَسَبْنَا بها الحُسْنَى ولم نَكْتَسِبْ إِثْمَا
ولَوْلَاكِ لم نَعْرِفْ صَلاةً ولا هُدًى ... ولَوْلَاكِ لم نعرف زَكَاةً ولا صَوْمَا

(١) القصيدة مخطوطة، وهي بعنوان: في عيد الأم.

وفي قصيدة أخرى بعنوان: «يا أُمَّنا ثريًّا» يقول الشاعر على لسان ابنته[1]:

يَـــا أُمَّنَـــا ثُرَيَّـــا ... يَـــا كَـــوْكَبًـــا دُرِّيًّـــا
تَحِيَّـــةً يَـــا أُمَّنَا ... يَـــا خَيْـــرَ مَـــنْ تُحَيَّا
فِي عِيْدِكِ الرَّبِيعُ فِي ... جَمَـــالِـــهِ تَهَـــنَّا

إلى أن يقول:

يَا حُسْنَهَا مَدْرَسَةٌ ... أَنْتِ بِهَـــا ثُرَيَّـــا
تَهْدِي البَنِينَ والـــ ... ـبَنَاتِ المَسْلَكَ السَّوِيَّا
وَإِنْ رَأَتْ شَيْطَانَةً ... فِي الفَصْلِ أو جِنِّيَّا
تَصُوغُهَا إِنْسَانَةً ... تَصُوغُهُ إِنْسِيَّـــا
وَرُبَّمَـــا قِدِّيسَةً ... وَرُبَّمَـــا تَقِيَّـــا
وَلَـــمْ تَعُـــدْ شَقِيَّةً ... وَلَـــمْ يَعُدْ شَقِيَّـــا
وَلَمْ تَعُـــدْ أُمِّيَّـــةً ... وَلَمْ يَعُـــدْ أُمِّيًّا
صَارَا بِفَضْلِ هَدْيِهَا ... مَرْضِيَّةً مَرْضِيًّا

وهي قصيدة طويلة يعدد فيها شيم هذه المعلمة الفاضلة التي غرست في أبنائها القيم الإنسانية، والأخلاق النبيلة.

ومن صور الشعر الاجتماعي قصيدته في تهنئة إحدى المعلمات النصرانيات بعيد القيامة، وقد استمعت إليه وهو يثني على هذه المعلمة الأستاذة: «ليلى زكي» لإخلاصها

(١) القصيدة مخطوطة، وهي بعنوان: ياأمنا ثريًّا.

الشديد في عملها، وتفانيها في متابعة المعلمين والمعلمات، حيث كانت تعمل مفتشة لمدارس البنات بالمنصورة، يقول في تهنئتها بعيد القيامة[1]:

عِيْدُ مِيْلادِكَ يا عيسى قِيامَهْ ... أَنْحَنِي مِنْ أَجْلِ ليلاكَ أَمَامَهْ

فيكِ يا ليلايَ مِنْ نُورِ المَسِيحْ ... عَقْلُكِ اللَّمَّاحُ والوَجْهُ المَلِيحْ

اسْطَعِي كالشَّمْسِ في الصُّبْحِ الوَلِيدْ ... واهْنَئِي يا شَمْسُ بالعامِ الجَدِيدْ

ومن صور شعره الاجتماعي ماقاله عن وسوسة الشيطان له بهجر العلم لأنه غُرم، ويذهب إلى جلب المال بطرقه المتعددة، وتعد ثنائية العلم والمال من المؤرقات التي تؤرق الناس في كل حين، لكنه ينتصر على نفسه كما ينتصر على إبليس في قوله[2]:

إِنْ قَلَّ مالي فَعِلْمِي أَسْتَعِينُ بهِ ... في بَعْثِ أُمَّتِيَ العُظْمَى مِنَ العَدَمِ

بالعِلْمِ والسَّيفِ يَحْمي النَّاسُ مُلْكَهُمُ ... والنَّصْرُ بالسَّيفِ بَعْدَ النَّصْرِ بالقَلَمِ

ما إِنْ نَدِمْتُ على مَالٍ وفي وَطَني ... ومَجْدُهُ صارفٌ عَنْ عَبْرَةِ النَّدَمِ

إذا دَعَتْ «مصرُ» حينَ البأْسِ قلتُ لها ... يا مصرُ لبَّيْكِ إِنِّي أَطْوَعُ الخَدَمِ

مِنْ أَجْلِ عِزَّتِها عُدْنَا تلامِذَةً ... مِنْ بَعْدِ مالاحَ نُورُ الشَّيْبِ باللَّمَمِ

ويصف كلية دار العلوم بالبيت الحرام، وهي الكلية التي تلقى فيها علومه، وعشقها في شبابه، وأبلغ العشق عشق اليافع النهم، يقول:

أُمِّي الجَدِيدَةُ عَفْواً إِنْ صُرِفْتُ إلى ... سِوَاكِ في لَفْتَةٍ مِنْ خَاطِرِي وفَمِي

فَفِي جِوَارِكِ أُوْلى الأُمَّهَاتِ لَنَا ... «دَارُ العُلُومِ» الَّتي فيها اسْتَوى قَلَمِي

(١) القصيدة مخطوطة، وهي بعنوان: تهنئة بعيد القيامة.

(٢) القصيدة مخطوطة، وهي بعنوان: في جامعة عين شمس، كنا بني الشرق للدنيا أساتذة.

عَشِقْتُها في شَبَابِي يا فعاً نَهِماً وأَبْلَغُ العِشْقِ عِشْقُ اليافِعِ النَّهِمِ

وأختم جوانب شعره الاجتماعي بدرة عرض فيها تاريخه وجهاده في طريق العلم والتعليم في ملحمة طويلة بعنوان «معلم قبل الغروب» يقول فيها[1]:

بَدَأْتُ حَيَاتِي في الحَياةِ مُعَلِّماً على أُسُسِ الأَخْلاقِ دُقَّتْ مَضَارِبُهْ
يُنَشِّئُ للأَوْطَانِ جيلاً شَبَابُهُ أَمَامَ بُحُورِ العِلْمِ رَاقَتْ مَشَارِبُهْ
شَبَابٌ كَزَهْرِ الرَّوْضِ إِمَّا بَدَا زَكَا وَرَاعَتْ عُيُونَ النَّاظِرِينَ عَجَائِبُهْ
هُمُ اليومَ في الوادي وُرُودٌ، وإِنَّهم غَدَاةَ غَدٍ أَجْنادُهُ وكَتَائِبُهْ
وَقُوَّادُهُمْ نَحْنُ الَّذِينَ تَعَقَّبُوا مِنَ الجَهْلِ جَيْشاً قَدْ تَرَامَتْ جَوَانِبُهْ
وَمِنْ عُدَّةِ العِلْمِ اتَّخَذْنَا سِلاحَنَا فَلَمَّا تَسَلَّحْنَا انْدَفَعْنَا نُحَارِبُهْ
وَمَنْ رَفَعَ الأَوْطَانَ مِثْلُ مُعَلِّمٍ إِذَا سَارَ يَحْدُوهُ الضَّمِيرُ وَوَاجِبُهْ
لَقَدْ آذَ هَدْيُ النَّشءِ كاهِلَ غَيْرِهِ فَهَمَّتْ به أَعْضَادُهُ وَمَنَاكِبُهْ
يَجُودُ على الطُّلَّابِ مِنْ ذَوْبِ قَلْبِهِ وَلَوْ سَأَلُوهُ قَلْبَهُ، فَهْوَ وَاهِبُهْ

ويوضح تجاربه التي مر بها في عمله، وماعاناه من مشقة في رحلته التعليمية بقوله:

وَعَلَّمَني دَهْرِي كَثِيراً وإِنَّما لأَكْثَرُ مِمَّا قَدْ عَلِمْتُ نَوَائِبُهْ
دَرَسْتُ طِبَاعَ النَّاسِ مِنْ طُولِ صُحْبَتِي مَعَ الدَّهْرِ حَتَّى عَلَّمَتْنِي تَجَارِبُهْ
تَقَاذَفُنِي هذا الزَّمَانُ كَأَنَّنِي سَفِينٌ جَرَتْ في المَوْجِ فَاشْتَدَّ صَاخِبُهْ
وَغَرَّبْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ رِيحَ مَشْرِقٍ وَشَرَّقْتُ حَتَّى أَنْكَرَتْنِي مَغَارِبُهْ

(١) القصيدة لها عدة روايات، وهي بعنوان: معلم قبل الغروب.

وبذلك ندرك غزارة شعره الاجتماعي الذي تعددت مظاهره وتنوعت أشكاله، ويعد شعره في العلم والتعليم من أبرز ألوان شعره الاجتماعي، لأنه عرض من خلاله تجاربه الإنسانية الخاصة في رحلته الشاقة الممتعة في مجال العلم والتعليم.

٣. شعر الرثاء:

الرثاء من الأغراض الشعرية التي تتسم بدرجة عالية من الصدق الفني، وكما هو مشهور أن العرب عندما سُئلوا عن أسباب جودة أشعارهم في الرثاء قالوا مقولتهم الخالدة: «لأننا نقولها وقلوبنا تحترق»، نعم تحترق لأن الرثاء يقترن بالموت، والموت هازم اللذات ومفرق الجماعات، ولا نجد أمة من الأمم لا تعرف شعر الرثاء، فهو موجود عند كل الأمم، يعبر من خلاله كل مفجوع عن حزنه وأساه لفقد من يصطفي من الناس.

والأمة العربية تحتفظ بتراث ضخم من المراثي، إذ طالما بكى شعراؤنا من رحلوا عن دنياهم وسبقوهم إلى الدار الآخرة، وذهب العلماء إلى أن شعر الرثاء يأتي في ثلاثة أنواع، هي: الندب، والتأبين، والعزاء.

أما الندب: فبكاء الأهل والأقارب والنفس ومن ينزلون منزلتهم كالأنبياء والرسل (عليهم السلام) والدول والبلدان.

والتأبين: الثناء على الموتى وذكر خصالهم الحميدة، ويكون للخلفاء والوزراء والقواد والأشراف والعلماء والأدباء والأجواد.

والعزاء: التفكير في حقيقة الموت والحياة، انطلاقاً من حادثة الموت الفردية[1].

وقد فرق أحد الباحثين بين هذه الأنواع بقوله عن شعر الرثاء: «وهو يتلوَّن بألوان مختلفة تبعاً للطبيعة والمزاج والمواقف، فإذا غلب عليه البكاء على الرَّاحل، وبثَّ اللوعة والحزن كان ندباً، وإذا غلب عليه تسجيل الخصال الحميدة التي تمتَّع بها

(١) الرثاء:٥، بتصرف.

الفقيد في حياته كان تأبيناً، وإذا غلب عليه التأمل في حقيقة الموت والحياة كان عزاءً، وقد يجتمع الندب والتأبين والعزاء في القصيدة الواحدة»[1].

وكان بنو مروان لايقبلون الشاعر إلا إذا كان راوية للمراثي ويقولون: «إن فيها ذكر معالي الأمور»[2].

وقد تنوع شعر الرثاء لدى أحمد عبد المجيد بصورة واضحة، وتميز بالصدق الفني والنزعة الإنسانية في أعلى درجاتها، يضاف إلى ذلك طول النفس في قصائد الرثاء، حيث تخطت بعض قصائده مائة وخمسين بيتاً، كقصيدته في رثاء أم كلثوم، واقتربت قصيدته في رثاء عبد الناصر من مائة بيت، عدد فيها جانباً من مآثره وإنجازاته، من ذلك قوله عن عبد الناصر[3]:

رجلٌ قد تمخَّضَتْ مصرُ عَنْهُ ... في زمانٍ قد قَلَّ فيه الرجالُ

جاءَ فِرْعَوْنُها فَجَلَّ كما قَدْ ... جلَّ قَبْلُ الفَرَاعنُ الأَبطالُ

واحتواهُ الأَسى على أَوْطَانٍ ... عاث فيه الإقطاعُ والاحتلالُ

لَفَّها الليلُ بالدُّجى فادلهمَّتْ ... في ظلامٍ نسيجُهُ أهوالُ

كلُّ حُرٍّ على ثَراها أَثيرٌ ... أَثْخَنَتْ في وَثَاقِهِ الأغلالُ

كما وصف مشهد نعشه الذي يحيط به الناس كالطوفان، وهو يتهادى بينهم كأنه سفينة نوح، يقول:

وتهادَى نَعْشٌ عليه جَلالٌ ... وَلَهُ في نُفُوسِنا إِجلالُ

---

(١) أروع ماقيل في الرثاء: ٥

(٢) المحاسن والمساوئ: ٢٤٦، للبيهقي

(٣) القصيدة مخطوطة وهي بعنوان: في رثاء جمال عبد الناصر.

في عُبابٍ كأَنَّما فُلْكُ نُوْحٍ ... بين طُوفَـانِ أُمَّـةٍ يَختـالُ
قَدْ أَحَطْنَا به كأَنَّ معيناً ... حَوَّمَتْ حول مائِهِ آجالُ
حُوَّمٌ حولَـهُ كأَعْذَبِ نَبْـعٍ ... فيه للظامئينَ ماءٌ زُلالُ

وفي قصيدته الطويلة في رثاء أم كلثوم يعبر عـن ألمـه وحزنـه، بـل وحـزن عشـاقها ولوعتهم لفراقها، من ذلك قوله[1]:

«أُمُّ كُلثومٍ» والفِـرَاقُ أَلِيـمٌ ... وعـزيــزٌ واللهِ أَلَّا نَــراكِ
كَمْ قُلُوبٌ من لوعةِ البَيْـنِ حَـرَّى ... وعُيــونٌ على ثَــوَاكِ بواكي
ونُفوسٌ وَلْهى عليكِ ستبقى ... ذاكراتٍ تحيـا على ذِكْـراكِ
عِشْنَ في مَأْتَمٍ عليك حَزَانى ... لا تحلُّ الذِّكرى ولا تَنْسَاكِ
ما اختلافُ النَّهارِ والليلُ يُنسي ... أُمَّــةٌ تَنْتَشي بِرَجْـعِ صَدَاكِ
وسنيــنٍ ثَويــتِ فيها ستبقى ... تستحثُّ الخُطَـا إلى مَثْـوَاكِ
والخميسُ الموعودُ في أَوَّلِ الشَّهْرِ ... حَــزِيــنٌ على طويـل نَــوَاكِ

ويربط بين هذا الصوت ونشأتها في ريـف مصر، ويتسـاءل عـن سر جمـال صـوتها الذي هز قلوب بني الأرض، وأطرب كل من فيها، حـتى الطيـور الـتي حاكـت صـوتها لسحره وجماله:

يا ابنةَ النِّيلِ كُنْتِ للجيلِ رِيًّا ... أَيُّ رِفْـدٍ في رِيفِـهِ أَرْوَاكِ؟
لَسْتُ أَدْري سَقَاكَ منهُ فُراتاً ... أَمْ تُرَاهُ مِنْ خَـمْرِهِ قد سَقَاكِ؟

(١) تحت شمس الشعر: ٥٤- ٦٣ في ذكرى شادية الجيل سيدة الغنـاء العـربي كوكـب الشـرق «أم كلثوم».

رَبَّةَ الصَّوْتِ من مَقَـامٍ عَلِيٍّ ... ما اعْتَلَتْـهُ صَدَّاحَةٌ إلاكِ
هَزَّ مِنْ بَعْدِهِ قُلُوبَ بني الأَرْضِ ... فَطَارَتْ وَحَوَّمَتْ في سَمَاكِ
نَغَمٌ كالشِّرابِ طابَ بلا غَوْلٍ ... وكالـوَرْدِ دُوْنَ ما أَشْـواكِ
نَغَمٌ أَطْرَبَ الطُّيورَ فحاكَتْهُ ... وَراحَتْ تَهْتَـزُّ منه المَزَاكِـي

ويعرض لحالها في العسر واليسر، حيث لم يضع الفقر منهـا لترفعهـا وعـزة نفسـها، كما لم يبطرها الغنى فتغتر وتزهو بغناها، وهذا يدل على جميل خلالها وحسن سيرتها:

قَدْ بَرَاكِ الإلهُ ذاتاً وصَوْتـــاً ... مِنْ جمالٍ جَلَّ الذي قَدْ بَرَاكِ
كُنْتِ في حالتيكِ عُسْرٌ ويُسْرٌ ... في ثِيَابٍ ضافي الجَلالِ كَسَاكِ
قَدْ تَرَفَّعْتِ ما هَوَى بِكِ فَقْرٌ ... في ابتزالٍ ولا غِنًى قَدْ زَهاكِ
سِيـرَةٌ زُيِّنَتْ بأَزْهَى خِلَالٍ ... وَزَكا عِطْرُها بِعَرْفِ شَذَاكِ

ويصف حالة الشرق الذي بكى يوم نعي شاديته بقوله:

أَجْهَشَ الشَّرْقُ يَوْمَ نَعْيكِ يَبْكي ... أَبَكَى الفَنُّ؟ أَمْ تراهُ بَكَاكِ؟
والهِزارُ الفَرِيدُ بَعْدَكِ يا أَيَّتُها ... الوَرْقاءُ انضوى مِـنْ نَوَاكِ
عبقريُّ الأَلحانِ «بتهوفـنُ» الشَّرْ ... قِ حَزِيـنٌ على نَواكِ وبـاكي
عِشْتُما تَصْدَحانِ للشَّرْقِ يُشْجِيهِ ... هَـواهُ كما هَـواهُ شَجَـاكِ
قَدْ قَضَى اللهُ أَنْ تُشَرَّفَ مِصْرُ ... فاجتباهُ فخراً لها واجتبـاكِ

ثم يختم قصيدته بالدعاء لها، والرجاء مـن الـرحمن الـرحيم أن تكـون جنـة الخـلد مثواها، حيث تلقى نعيم رب العالمين:

إِنَّ مَثْواكِ جَنَّةً من نَعيـــمٍ ... سِدْرَةُ المُنْتَهى بها مُنْتَهـــاكِ

كُلُّ طيـرٍ في أَيْكِهَا غَنَّـاكِ وصَبًا من نَسِيمِهـا حَيـَّـاكِ

وَرَعَــاكِ الرَّحْمَــنُ في دُنْيــاكِ وهو أيضاً يَرْعــاكِ في أُخْراكِ

وفي رثائه لأصدقائه نجد الإنسانية العالية والعاطفة المشبوبة والألم الشديد، فيعـدد في رثائه ماتمتع به هؤلاء الأصدقاء من القيم الإنسانية، والأخلاق العاليـة، والإيمـان الشديد، يقول في قصيدة «عبرة الإخلاص ودمعة الوفاء»، في رثاء صديقه الأسـتاذ: أبي بكـر الإبياري [1] :

يا عينُ وَيْحَكِ أَرْسِلي العَبَرَاتِ يا عيـنُ جُودي الدَّمْعَ في المَأْساةِ

يا عينُ إنَّ اليومَ يومُكِ فابعثي بالماء يُطفِـئُ من لظـى جَمَـراتي

يا عينُ قد طال السُّهادُ فَجَدِّدي بلواي من حُزْني ومِنْ أَنَّاتي

يا قلبُ صبراً، كيف بالصَّبْرِ إذا رُكْنُ الفَضِيلةِ دُكَّ في الظُّلُماتِ

ياللشَّبابِ الغَضِّ زالَ جمالُهُ وجلالُـهُ في أَيْسَـرِ اللَّمَحاتِ

ثم يعدد بعض فضائله بقوله:

قد كان عُنوانَ الفَضَائلِ والتُّقَى ومُطَهِّرَ الغَدَواتِ والرَّوَحاتِ

مُتَهَجِّدُ للهِ يَعْرِفُ حَقَّهُ جَمُّ التَّصَدُّقِ دائمُ الصَّلَواتِ

النُّورُ يَنْضَحُ من ضِياءِ جَبينِهِ طَلْقُ المُحَيَّا مُشْرِقُ القَسَمَاتِ

(١) وكان رحمه الله مدرساً بالمدرسة الواصفية الابتدائية ببور سعيد، وتوفى بمصر في الثامن من يناير يناير سنة ١٩٣٨م، وقد أقيمت حفلة التأبين له بدار المدرسـة في ٢٤ فبرايـر سـنة١٩٣٨م وقـد طبعت قصائد الرثاء في كتاب بعنوان: حفلة تأبين فقيد العلـم والشـباب، في مطبعـة القنـال ببور سعيد، وتقع هذه القصيدة في ص ص: ١٨- ١٩

. . . .

هَيْهَاتَ بَعْدَكَ أَنْ يَطِيبَ لجمْعِنا   عَيْشٌ وقدْ أَمْسَيتَ في الحُفُراتِ
الشَّمْلُ بَعْدَكَ يا صديقي والهٌ   يَبْكِي عليكَ بأَعْيُنٍ ودِقَّاتِ

أما رثاء أقاربه وذوي رحمه فإنه يعبر عن صور الترابط الإنساني بين ذوي الرحم، وقصائده في هذا الجانب من الكثرة بمكان، لذا سأكتفي برثائه لأفراد أسرة واحدة من ذوي رحمه، وهي أسرة ابنة عمته التي مات ابنها إسماعيل وكان طبيباً وله مع الشاعر ذكريات وذكريات، رثاه بدرة فريدة لا تحمل عاطفة الشاعر فحسب وإنما تحمل صوراً صادقة لحزن الأسرة بأكملها، ومالبثت أم أسماعيل أن لحقت بابنها بعد بضعة أعوام، فرثاها (أيضاً) وعدد ذكريات أيام حزينة للأسرة كلها، وظهرت في رثائه المشاهد الإنسانية في أسمى صورها وأصدق معانيها، كما ظهر الإيمان العميق بين أبياتها كما هو ديدن الشاعر دائماً في كل المواقف الصعبة، يقول شاعرنا في رثاء إسماعيل[1]:

وقالوا: ألا طِبٌّ؟ وهيهاتَ إِنَّني   بموتِ فقيدِ الطِّبِّ أَتَّهِمُ الطِّبَّا
دَعُونِي وخَطْبِي إِنَّنَا بعدَ نَأْيِهِ   لَنَسْتَصْغِرُ الجُلَّى ونَسْتَسْهِلُ الصَّعْبَا
وشوقاً إلى إسماعيلَ نستعجلُ الرَّدى   ونسعى إلى مَثْواهُ نَسْتَنْشِقُ التُّرْبا
ونَسْتَعْتِبُ الدُّنيا التي لَوَّحَتْ لنا   بِصِدْقِ المُنى ثُمَّ انثنى صدقُها كِذْبا
وندعو وفي الآفاقِ ذَوْبُ قُلُوبِنَا   فديناكَ من قَبْرٍ وإِنْ زِدْتَنا كَرْبا
ونَمْضِي ولمَّا ينطفي الشوقُ خُشَّعاً   وراءَ جَلالِ ... المَوتِ نَسْتَرْحِمُ الرَّبَّا

(١) وهي قصيدة مخطوطة، عنوانها: رثاء ابني إسماعيل، تاريخها سنة ١٩٦٦م

وبعد أن وصف مشاعر الألم والحزن التي عاشتها الأسرة، بل البلدة كلها، رجع إلى ربه يرجو في قربه الراحة والهدوء والسكينة، يقول:

تُؤَرِّقُني ذكراكَ في مِحْنَةِ الأَسى ... فأتلو من القُرآنِ في محنتي حِزْبا
وكَمْ آيةٍ تُتْلى وجدتُ بها الهُدى ... يُنَوِّرُ لي لحباً ويفتحُ لي دَرْبا
وأعلمُ أَنَّ اللهَ لا ربَّ غيرَهُ ... يُرَبِّي البرايا وهو أَوْلَى بِمَنْ رَبَّى
وماالمالُ والأهلونَ إلا ودائعٌ ... إذا شاءَها أَنْ تُسْتَـرَدَّ فلاتَأْبَى
ولولا عَذابُ النَّأْيِ والشَّوقِ والجَوَى ... سَعَتْ نَحْوَهُ الأرواحُ تَلْتَمِسُ القُرْبا

ثم يعدد شيم الفقيد في قوله:

تحذناكَ ياأَنْقى بَنِينا شَفِيعَنا ... فَأَنْتَ الذي ماعِشْتَ لم تقترفْ ذَنْبا
وقَدْ كُنْتَ ذُخْراً للذي قَـلَّ مالُـهُ ... وكسباً لمن أَمْسَى وقد فقدَ الكَسْبا
وأعرفُ أرضاً باسمكَ اليمنَ أَخْصَبَتْ ... وكانتْ على طُولِ المدى بَلْقَعاً جَدْبا
وكُنْتَ إذا الشُّبَّانُ مالوا مع الهَوَى ... أَعَفُّهُمُ نَفْساً وأَطْهَرُهُمْ ثَوْبا
فَطِنْتَ تعاليمَ السَّماءِ وجُلُّهُمْ ... غبا عن تعاليمِ السَّماءِ أو استَغْبى

وفي رثاء ابنة عمته أم إسماعيل يمزج بين رثائها وذكريات رثاء ابنها في صورة فريدة تظهر هذه الأجواء الحزينة والذكريات المؤلمة التي عاشتها هذه الأسرة، مما أشعرهم جميعاً أن أم إسماعيل في طريقها إلى لقاء فقيدها عند رب العالمين[1]:

(١) وهي قصيدة مخطوطة، عنوانها: أنا أرثي لك قبل الأربعين، تاريخها يونية سنة ١٩٧٢م

مُذْ ثوى إسماعيلُ في بَرْزَخِــهِ   كان ماقَدْ خِفْتُ مِنْهُ أَنْ يكونْ
مُذْ مضى الغالي إلى بارئِهِ   كُنْتِ تمضينَ وكُنَّا عالميــنْ
يومَ وارِيناهُ في روضتِــــهِ   ثَكِلَتْ في ذاتِــهِ خيـرَ البنينْ
ثكلتْ فيه ابنها البَـرَّ الذي   صاغَهُ الرحمنُ من نُورِ اليقينْ
صاغَهُ من شَرَفِ الدِّينِ فَتىً   وَرِثَ الأصلينِ في دُنيا ودِينْ
كان فرعاً سامقاً حتى إذا   بَلَـغَ الإثمـارَ هَزَّتْـهُ المنونْ

وينطلق الشاعر فيعدد ذكرياته مع إسماعيل وهو يرثي أمه، بل ويخاطبها في قصيدة رثائها مواسياً كأنها مازالت حية لم تلحق به بعد، وهذا يدل على سيطرة عاطفة الحزن عليه على الرغم من مرور بضعة أعوام على وفاة إسماعيل، يقول شاعرنا:

يافقيدَ الطِبِّ كَمْ مِنْ أَعْيُنٍ   أَظْلَمَتْ بَعْدَكَ يانُورَ العُيونْ
كنتَ لي كابني وَكَمْ رَحَّبْتَ بي   حيـنَ تلقاني مَبْسُوطَ اليمينْ
في انحناءِ الابنِ قَبَّلْتَ يدي   وانعطافِ الأَبِّ قَبَّلْتُ الجبينْ
كُنْـتَ لي أُنْساً وكانت بيننا   سَبَحَاتٌ في مُحِيطاتِ الفُنونْ
. . . .
وأحاديثُ جَرَتْ في لُجَـجٍ   كالجواري والأحاديثُ شُجُونْ
فَمِنَ الطِّبِّ إلى الشِّعْرِ إلى   آيــةٍ تُتْـلى وتَفْسِيـرٍ مُبينْ
وإذا ماعَصَفَ الرَّأْيُ بنا   واضطربنا كُنْتَ رُبَّانَ السَّفِيـنْ

ويواصل الشاعر سرد مشاهد حزنه على إسماعيل، بل ويخاطب أمه التي يكتب قصيدة رثائها، ويحدثها في شأن فقيدها إسماعيل:

أُمَّ إسماعيلَ ياكَنْزَ التُّقَى ... علمِّينا الصَّبرَ مِمَّا تعلَمِينْ

فَأَبوكِ الشيخُ قَدْ عاشَ لنا ... عالماً يَهْدِى إلى دُنْيا ودِينْ

كان في العِلْمِ كتاباً جامعاً ... في حواشيه شروحٌ للمتونْ

كان في الدِّينِ على قِمَّتِهِ ... كان في التَّقْوى إمامَ المُتَّقِينْ

وَهَبَ العِلْمَ فَمَا ابتاعَ بِهِ ... عَرَضاً مِثْلَ الشُّيوخِ الآخرينْ

طالما أَجْرَى دُمُوعي كُلَّما ... رَتَّلَ الآي بِتَرْنِيمٍ حَزِينْ

في رَنِينٍ ماأُحيلاهُ وَكَمْ ... شَغَّفَ الأَسْمَاعَ ذَيَّاكَ الرَّنينْ

فأَجابَتْ والأَسى يَخْنُقُها ... بُعْدُ إسماعيلَ هَمٌّ لايَهُونْ

بُعْدُهُ هَمٌّ وَوَجْدٌ وجَوىً ... ونحيبٌ ونشيجٌ وجُنُونْ

عَمَّنَا الحُزْنُ عَلَيهِ وبَدا ... كُلُّ شيءٍ حولنا وهْوَ حَزِينْ

خَلَّفَ الغالي بقلبي لوعةً ... حَرَّقَتْهُ ثم حَزَّتْ في الوتينْ

ليتَهُ لمَّا ثَوَى كانَ ثَوَى ... بين عَيْنَيَّ وأَطْبَقْتُ الجُفونْ

ويتذكر الشاعر في نهاية الأمر أنها ماتت، فيسرد لنا قصة موتها في هذا الجو المشحون بالذكريات، يقول:

وأَتَي الحينُ ... وَخَفَّتْ للنَّوى ... بَعْدَ أَنْ أَدَّتْ صلاةَ المُؤمنينْ

رتَّلَتْ ثم دَعَتْ ثُمَّ غَفَتْ ... ثُمَّ نَامَتْ في حِمَى اللهِ الأَمِينْ

نومةٌ كانتْ مُناها ... ياتُرَى ضَمَّتِ الغالي إلى الصَّدْرِ الحَنُونْ
ياشهيدَ الطِبِّ في الحُضْنِ اسْتَرِحْ واستريحي دُرَّةَ المُسْتَشْهِدِينْ
شَفَّها الغالي حنيناً فَقَضَتْ وكِرامُ الطَّيرِ يُرْدِيها الحنينْ
والتقى الإثنانِ في دارِ الرِّضى لم يَعُدْ بَيْنٌ ولاعادتْ شُجُونْ
في جَنَابٍ يَحْتَوِيهِمْ طَاهِرٍ كالبَقِيعِ الطُّهْرِ ضَمَّ الطَّاهِرِينْ

ويخاطبها معدداً بعض شيمها الصالحة في قوله:

يااابنةَ العمَّةِ هَلْ شَمْسُ الضُّحى مِثْلَما تَأْفُلُ عَنَّا تَأْفُلِينْ؟
ياالها جَوْهَرَةٌ مِنْ شَرَفٍ صُدَفُ الدَّهْرِ بِتِرْبَيْها ضَنِينْ
صَوَّرَ اللهُ بها إنسانةً مِنْ سجايا كُلُّ ما فيها يَزِينْ
كُنْتِ لله على مَعْرِفَةٍ قَلَّ مَنْ يَعْرِفُها في العارفينْ
عَيْنُكِ اليَقْظَى مَعَ اللَّيلِ على سُوَرِ القُرآنِ فيها تَحْفَظِينْ

ثم يعزي زوجها أبا إسماعيل بقوله:

يا أَبَا إسماعيلَ هذا قَدَرٌ في كِتَابٍ وهو الحَقُّ اليقينْ
قَدَرٌ يجرى ولا يُجدي امرأً فِيهِ شَقَّ الجَيْبَ أو شَقَّ الوتينْ
وابتلاءٌ فاحتملهُ صابراً واسْتَعِنْ بالله رَبِّ العالمينْ
قد بلوناكَ شُجاعاً عاقلاً فَوْقَ إيمانٍ قَوِيٍّ ومَتِينْ
وعَجَمْنَاكَ لدى الجُلَّى فَمَا كُنْتَ بالواهِنِ أو بالمُسْتَكِينْ

لم تَكُنْ شيئاً كهذا إنَّما ... كُنْتَ فينا من أُولي العَـزْمِ المَكِيـنْ
ياخليـلاً شَفَّنـي ماشَفَّـهُ ... وتَقاسَمْتُ وإيَّاهُ الشُّجونْ
. . . . . .
ليسَ في دُنْيايَ إلَّا كَ أَخاً ... صَانَ لي الوُدَّ على كُلِّ السِّنينْ
قد يهونُ النَّاسُ إلا واحداً ... تَصْطَفِيهِ فهو في الدُّنيا الخَدِينْ

هذه المشاعر الإنسانية الطاغية التي عاشها الشاعر يجتر هموم أسرة واحدة من ذوي رحمه، أسرة يفوح أريج الإيمان في كل جنبات حياتها، وكيف كانت الروابط الإنسانية والاجتماعية التي استطاع الشاعر التعبير عنها ببيانه الفذ وتعبيره الفريد الذي يعبر عن مشاعره الإنسانية أصدق تعبير.

وأختم الحديث عن شعر الرثاء، بدرتين فريدتين من قصائده في الرثاء، إحداهما في رثاء أمه، والأخرى في رثاء زوجته، أما قصيدته في رثاء أمه فيقول في مطلعها[1]:

عَاشَتْ على الحُبِّ مَنْ عاشَتْ لِـدُنْيانا ... بِكُلِّ مَا وَسِعَتْ رُوحاً وريحانا
عَاشَتْ وَعَاشَ لنا في قَلْبِها سَكَنٌ ... فيه علينا الرِّضا تُضْفِيهِ أَلوانا
والعَطْفُ يَغْمُرُنا مِنْ كُلِّ ناحيةٍ ... في البُعْدِ وَالقُرْبِ أَقْصَانَا كَأَدْنانا
كُـؤوسُ عَطْفٍ أَدَارتها، فَمَا أَحَدٌ ... إلا وَصَارَ بِـخَمْرِ العَطْفِ نَشْوانا

ويصور الشاعر شدة ألمه لفقد أمه، وعدَّ نعيها كأنه نعيٌّ له، لما حل به من حزن وضعف وألم ، يقول:

(١) وهي قصيدة مخطوطة، عنوانها: ياأُمِّ، في رثاء أمي.

رِفْقاً بِنَا أَيُّها النَّاعِي أَحِبَّتَنَا ... فَمَا تَنْعِيهُمُ بَلْ أَنتَ تَنْعانا

يَا لَيْتَ أَعْيُنَنَا كانَتْ مَنَازِلَهُمْ ... وَخَوْفَ عَيْنِ الرَّدَى أَسْدَلْنَ أَجْفَانا

تَشُدُّنِي نَـحْوَهُمْ أَجْدَاثُهُمْ شَغَفاً ... فَأُمْعِنُ العَيْـنَ في الأَجْدَاثِ إِمْعَانا

. . . .

فَاسْتَعْجَمَ الصَّمْتُ.. مَنْ لِي مَنْ يُبَيِّنُهُ ... قَدْ يُصْبِحُ الصَّمْتُ مِلءَ السَّمْعِ تِبْيانا

أَعُبُّ مِنْ صَمْتِها أَرْوِي بِهِ ظَمأي ... وَأَنْثَنِي بَعْدَ طُوْلِ العَبِّ ظَمْآنا

تَلَفَّتَتْ نَـحْوَها عَيْنِـي فَمُذْ خَفِيتْ ... تَلَفَّتَ القَلْبُ في الأَعْمَاقِ وَلْهَانا

وَعُدْتُ لِلدَّارِ (والبُسْتَانِ) صِفْرَ يَدٍ ... كَأَنَّ كُلَّ الَّذِي قَدْ كانَ مَا كانا

لا الدَّارُ مِنْ بَعْدِكُمْ داراً بها سَكَنِي ... يا راحِلِينَ ولا البُسْتَانُ بُسْتَانا

صَارَ الرَّبِيعُ خَرِيفاً بَعْدَ غَيْبَتِكُمْ ... وَصَوَّحَ الرَّوْضُ أَشْجَاراً وأَفْنانا

وَكُنْتُ أَقْوى مِنَ الطَّوْدِ الأَشَمِّ بِكُمْ ... هلْ صِرْتُ أَضْعَفَ خَلْقِ اللهِ إِنْساناً ؟!

وإذا كانت قصائده في الرثاء بصفة عامة طويلة جدًّا، فإن قصيدته في رثاء زوجته الأولى جاءت في ثلاثة عشر بيتاً على غير عادته، لكنها تحمل في هذه الأبيات القلائل عاطفة جياشة لقصة زواج امتدت ثلاثين عاماً، يشعر المتلقي بزفراته الحارة، وماتنطوى عليه نفسه من آلام الفراق، يقول[1]:

في جَنَّـةِ اللهِ يا مَنْ كُنْتِ إيناسي ... أَنْضُو بها وَحْشَتِي مِـنْ جَنَّةِ النَّاسِ

زَكِيَّـةَ الـرُّوحِ، هَلْ تَـدْرِينَ كَـمْ كَمَـدِي؟ ... دَقَّاتُ قَلبِيَ عُدِّيها وَأَنْفاسي!!

(١) وهي قصيدة مخطوطة، عنوانها: إليك ياشريكة حياتي في جنة الله.

قَدْ كُنتِ نِبْرَاسَ هَدْيٍ أَسْتَضِيءُ بِهِ فأَطْفَأَ القَدَرُ الجَبَّارُ نِبْراسي

وكُنْتِ سِرَّ طُمُوحي، كُنْتِ لي أَملاً فَبُدِّلَ الأَمَلُ الطَّمَّاحُ بالياسِ

ثم يعرض صورة من صور الوفاء عندما تمسك بزوجته ثلاثين عاماً دون أن يُرزق منها الولد، مع أنه أنجب من زوجته الثانية، يقول:

عِشْنَا ثَلاثِينَ لَمْ يُعْقِمْ مَسَرَّتَها أَنَّا عَقِمْنَا، ولَمْ نَسْمَعْ لوَسْواسِ

كانت لِيَ الرَّاحُ ... ما أَصْفى!! وكُنْتُ لها مِنْ مَاءِ مُزْنٍ، فَكُنَّا الدَّهْرَ في كاسِ

وفاؤنا مَضْرِبُ الأَمْثَالِ تَحْسَبُني مَلْكاً، وَأَحْسَبُها تاجاً علي راسي

وَاليَوْمَ جُرِّدْتُ مِنْ تَاجِي وَمَمْلَكَتِي وَأَلْبَسَ الهَمُّ قلبيَ أَيَّ إلباسِ

كَفُّ الرَّدَى استمرأَتْ لَطْمِي وما احْتَشَمَتْ واحَرَّ قَلْبَاهُ مِنْ لَطْمِ الرَّدى القاسي!!

وبذلك يكون شعر الرثاء من الأغراض التي شاعت لدى شاعرنا، ودلت أشعاره في هذا الغرض على إنسانيته العالية، لما كان يتمتع به من نبل ووفاء، كما دلت (أيضاً) على إحساس عال لديه بآلام المصابين من ذوي رحمه، حيث عبر عن آلامهم بعاطفة صادقة وتعبير بليغ، حمل لنا أناتهم، وخلد تجاربهم الإنسانية عبر السنين.

٤. الأغراض الأخرى:

إذا كان ماسبق عرضه من الشعر الديني والشعر الاجتماعي وشعر الرثاء من الأغراض الشائعة لدى شاعرنا، فإننا نجد فيما وصل إلينا من إبداعه بعض الأغراض الأخرى التي لم تبلغ حجم الأغراض السابقة، ولايمكن معرفة حجمها الحقيقي قبل جمع ديوان الشاعر، ومن أبرز هذه الأغراض:

• شعر الوصف:

الوصف في اللغة: الكشفُ والإظهارُ، والتجميلُ والتحليةُ، يقال: وصف الثوبُ الجسمَ: نَمَّ عليه ولم يستره، واتصف فلان بالخلق الحميد: صار منعوتاً به[1].

وفي الاصطلاح الأدبي: «تصوير الظواهر الطبيعية بصورة واضحة التقاسيم، وتلوين الآثار الإنسانية بألوان كاشفة عن الجمال، وتحليل المشاعر الإنسانية تحليلاً يصل بك إلى الأعماق، وهو عمود الشعر وعماده، بل إن كل أغراض الشعر وصف، فالمدح وصف نبل الرجل وفضله، والنسيب وصف النساء والحنين إليهن والشوق إلى لقائهن، والرثاء وصف محاسن الميت وتصوير آثاره وأياديه، والهجاء وصف سوءات المهجوّ وتصوير نقائصه ومعايبه، وهكذا تستطيع أن تُدخل جميع فنون الشعر تحت الوصف»[2].

ومثلما يقوم الوصف على تصوير المشاهد الحسية فإنه يقوم (أيضاً) على تصوير العواطف الإنسانية التي تظهر إعجاب المبدع بروعة مايشاهده، معتمداً في ذلك على الخيال وصدق التعبير، ومن القصائد التي عبرت عن هذا الغرض في شعر أحمد عبد المجيد قصيدته في وصف مدينة المنصورة الساحرة، حيث لم يصور مشاهد الطبيعة الجميلة فيها فحسب، وإنما صور تاريخها الحافل بالبطولات على مر الزمان، يقول الشاعر في قصيدته: «المنصورة جزيرة الورد عروس النيل»[3]:

على ذَكْرِها «مَنْصُورةٌ» رُحْتُ أَطْرَبُ ... وَأَمْجَادُها تُمْلَى عَلَيَّ وَأَكْتُبُ

وحولي كئوسُ النَّصْرِ أُتْرِعْنَ فَرْحَةً ... تَرُوحُ بها أَيدي النَّدامى وأَشْرَبُ

---

(١) الوصف: ٦

(٢) الوصف في الشعر العربي: ٤٢- ٤٣

(٣) تحت شمس الشعر: ٤٨- ٥٣، في مدينة المنصورة بمناسبة عيدها القومي.

ولمَّا أَتَـتْ ذكرى الفَخَارِ بِنَصْرِها أَتَيْتُ إلى قَصْـرِ الثَّقافَةِ أَخْطُبُ

ثم يشرع في عرض تاريخ مدينة المنصورة في ملحمـة شـعرية زادت عـن التسـعين بيتاً، عرض فيها كثيراً من تاريخ هذه المدينة قديماً وحديثاً:

أقيموا بني «المنصورة» العيدَ إنها إليكم بماضي مجدها تَتَقَرَّبُ

فتاريخُـها في النَّصرِ زَاهٍ مُشَرِّفٌ يتيهُ به سِفْرُ الجِهَادِ المُذْهَبُ

لَقَدْ وَقَفَتْ يَـوْمَ الفَرَنْسِيسَ صَلْبَـةً كما وَقَفَ «الأهرامُ»، أو هِـيَ أَصْلَبُ

«لويسٌ» تلتقَّتْهُ الليوثُ بأرضها فما إنْ له من قبضة الأُسْـدِ مَهْـرَبُ

. . . . . .

تمطَّى وأعماهُ الغُرُورُ فجاءنا وباتَ يَظُـنُّ النَّصْـرَ سَهْلاً ويَـحْسَبُ

مكانَكَ لا تَقْرَبْ من «النِّيلِ» واحتَشِمْ مكانَـكَ في «باريسَ» تلهو وتلعبُ

أتستمرِئُ السَّطْوَ الخسيسَ على الحمى وكُلُّ امرئٍ يستمرئُ السطوَ مُذْنِـبُ

نصحنا فَلَمْ يَسْمَعْ وَطَمَّ غُـرُورُهُ فَكُبَّ أسيراً في الأسى يَتَقَلَّبُ

ثم يوضح أن هذه الحرب الاستعمارية تبْرأ منها كل الأديان، وما جـاء هـؤلاء الغـزاة إلى ديارنا لدين، بل إن الدين منهم براء، يقول:

لقد ظلموا الصُّلبانَ ما كان حَرْبُهُمْ لدينٍ وإِنَّ الدِّينَ منهم لَيَـعْجَبُ

خُذُوا حِـذْرَكُمْ يا كافرونَ فَقَبْلَكُمْ «تَتَارٌ» و«هُكْسُوسٌ» تَعَدَّوا فَأُدِّبُوا

وإِنْ تَطْمَعوا في غَزْوِنا بَعْدَ ما جَرَى فكالعَهْدِ فينا يا طَغَامُ المُؤَدِّبُ

«جزيرةُ وَرْدٍ» قد تَلَظَّتْ فَأَصْبَحُوا وَقُودَ لظاها إِنَّهُمْ فِيهِ كُبْكِبُوا

فَمِنْ بعدِ أَسْرِ الشَّاةِ مَنْ فَرَّ مِنْهُـمُ ... فراراً ومن قَدْ أَقْبَـرَتْهُمْ فَغُيِّبُوا

روايةُ عُدْوانٍ ختمنا فُصُولها ... بِنَصْرٍ على الرُّهْبَانِ لمَّا تَذَأَّبوا

فيا قومنا قد كان نَصْـرٌ فسبِّحوا ... إذا جاء نصرُ الله فادعوهُ وارغبوا

وبعد عرض طويل لتاريخ المنصورة الحافل عبر الزمان، يعود الشاعر إلى تهنئة عروس النيل بعيدها القومي، ويرى أنه مهما أوتي من بيان فإنه لن يستطيع الوفاء بحقها، بل إن نجوم السماء أقرب إليه من الوفاء بهذا:

تَجَلَّتْ عـروسُ النِّيلِ والنَّصْرُ زانها ... وفي عيدها القوميِّ عيدٌ مُحَبَّبُ

عَشِقْنَا وعِشْقُ المُغْرَمِينَ وإِنَّنا ... بهِ كُلَّ عامٍ حينَ يَأْتِي نُرَحِّبُ

وفاءٌ إلى «المنصورةِ» الأُمِّ إِنَّما ... قَضَاءُ حُقُوقِ الأُمِّ في الدِّينِ أَوْجَبُ

طَبَعْنَا على «المنصورةِ» الثَّغْرَ قُبْلَةً ... أَغارَتْ زُلالَ النِّيلِ إذ هِيَ أَعْذَبُ

وَنَصْرُكِ يا بَحْرِيَّـةَ الوجْهِ آيــةٌ ... لنا مَأْرَبٌ فيها وللمَجْدِ مَأْرَبُ

حَنَانَيْكِ يا«منصورةَ» الحُسْنِ إِنَّني ... على أَدَبِي إِنْ جِئْتُ أُطْرِيكِ أَرْهَبُ

فَفِي ذِكْرِ آياتِ الجمالِ جَلالةٌ ... وَحَتَّى إِذا سبَّحْتُها أَتَهَيَّبُ

تَـحَيَّـرتُ في مَدْحَيكِ إِنِّي مُقَصِّرٌ ... ولو عِشْتُ طولَ العُمْرِ أُحْصي وأُطنبُ

وَرَيِّضْ لي المَعْنَى العَصِيِّ قيادُهُ ... وأَنِّـيَ في أَبْنَاءِ قحطانَ «يَعْرُبُ»

أَرَى المَدْحَ فيمنْ سَجَّلَ الدَّهْرُ نَصْرَها ... لدى النَّجْـمِ مَأْتَاهُ أو النَّجْمُ أَقْرَبُ

مَدَحْتُكَ والدُّنيا لسانٌ وأَهلُها ... جميعاً لسانٌ يُمليانِ وأَكْتُبُ

وَطِرْتُ على قصرِ الثَّقَافَةِ بُلْبُلاً ... وما زلتُ رَغْمَ السِّنِّ أَشْدُو فأُطْرِبُ

ومن قصائد الوصف في شعر أحمد عبد المجيد (أيضاً) قصيدته في الربيع، وعنوانها: «سبحة الربيع في مهرجانه»[1]، يصور فيها مشاهد الربيع الخلابة، حيث بهجة الطيور وهي تتنقل بين مشاهد الطبيعة مع بداية الصبح الذي يبدو كابتسام العذارى:

بُلبلٌ صادحٌ على أغصانهْ ... راح يُشجي القُلُوبَ من ألحانهْ

وَهِزارٌ في الأَيْكِ أَنْعَشَهُ الجَوُّ ... تغنَّى واهتزَّ في عيدانهْ

وتناجتْ ورقاءُ ذاتُ أليفٍ ... غَمَرَتْهُ الأشواقُ في أشجانهْ

وبدا الصُّبْحُ كابتسامِ العَذَارى ... لؤلؤيُّ الأضواءِ من لمعانهْ

يقبسُ النُّورَ من حَبِيبَتِهِ الشَّمْسُ ... ويُعطي الورودَ من أُرجوانهْ

وتهادى الربيعُ يختالُ فتَّاناً ... ويُضفي المُخْضَلَّ من أردانهْ

ويمضي شاعرنا ببيانه الفذ في وصف مشاهد الربيع الذي يزخر حسناً وافتناناً؛ ليدل على قدرة الله العلي القدير في خلق هذا الجمال، فيكون مصدر إلهام لكل المبدعين، تهتدي به ريشة المصور في تصوير مشاهده البديعة، كما يهتدي به الشعراء في إبداع الصور المعبرة، ويقوم بين الشاعر وإحدى حسان الربيع حديث يصور فيه هذه المشاهد الخلابة:

يا فُنونَ الرَّبيعِ خِلْتُ كَأَنِّي ... جاذبتني الحديثَ إحدى حِسَانهْ

جاذبتني الحديثَ أحلى وأندى ... من رحيقٍ مُعتَّقٍ في دنانهْ

أتلقاهُ والمسامعُ نشـــوى ... من قُمَـــارِيِّهِ ومن كروانـــهْ

سألتني وكنتُ بالحسن صبًّـا ... طاهرَ الثَّوبِ من قذى أدرانهْ

(١) تحت شمس الشعر: ٦٦- ٦٧

ما لهذا الوجود يزخر حُسناً ... وافتناناً ما مثله في افتنانهْ؟
أبدعت ريشةُ المُصوِّرِ فيــه ... وَحَبَاهُ بالسِّحْرُ من إمعانــهْ
وإله التنسيق خطط بُرديــه ... بأزهى ما ازدان من ألوانــهْ

ثم يرد عليها الشاعر بقوله:

قلتُ يا زينةَ الحسانِ اغنميها ... متعة الدهر خلسة من زمانهْ
عَنْوَنَ الحُسْنُ كلَّ شيء فهلا ... استَبنتِ الرَّبيعَ من عُنوانهْ؟
ذاك عيدُ الربيع صحوةُ دَهْرٍ ... كُــلُّ شيءٍ يـزدانُ في إبَّانــهْ
وهو عيد الربيع كنـزُ الأماني ... جمعتنا الآمالُ في مِهْرَجانِــهْ
كُلُّ حُسْنٍ في الكَوْنِ مِلكُ يديهِ ... ما تعالى حُسْنٌ على سُلطانهْ
صاغها كالعروس شَعَّتْ جلاءً ... شـاعرٌ زَفَّهـا إلى إيوانـــــهْ
لم يصغــها من لُبِّهِ أو بيـانه ... هي من قلبــه ومن وجدانــهْ

ويظهر من خلال وصف الشاعر لهذه المشاهد الطبيعية تمكنه من أدوات فنه، ولكن لم يصل إلينا من شعر الوصف غير هاتين القصيدتين، ولكنهما تنبئان عن موهبة فنية فذة وقدرة تعبيرية فريدة، ولعل مستقبل الأيام يكشف لنا عن قصائد جديدة.

• الشعر المترجم:

تعددت نظرة النقاد العرب قديماً وحديثاً للشعر المترجم، فتناولوه من ناحية تفاضل اللغات، وتفاوت مستوياتها، واختلاف ثقافات المترجمين، وأنواع النصوص وقيمتها، وعندما ننظر إلى رأي الجاحظ من النقاد القدامى (على سبيل المثال) نجده يُعلي شأن الشعر العربي، ويعلي شأن من تكلم به، ويذهب إلى أن الشعر العربي

لايُستطاع ترجمته، وإذا تُرجم فإنه يختل من حيث هو شعر، ويتقطع نظمه، ويبطل وزنه، ويذهب حسنه، ويسقط موضع التعجب منه، وكتب الأعاجم إذا نقلت إلى العربية لم تنقص شيئاً وازدادت حسناً، بينما حكمة العرب إذا نقلت إلى لغة أعجمية بطل تميزها(١).

وفي العصر الحديث كثير من المفاهيم والنظريات التي تحدد عملية الترجمة، وتفسر الصعوبات التي تتعرض سبيل المترجم، ذلك أن المشاكل التي يواجهها المترجم في نص أدبي أكثر وأحد من المشاكل التي يواجهها في نص علمي أو وثائقي، وكل ترجمة موفقه لنص غير أدبي بديل لذلك النص، وكل مافيها مخالف إنما يرجع إلى أنها كتابة جديدة غير الكتابة الأولى، أما في النص الأدبي فالترجمة مستحيلة، وكل مانوفق إلى تصويره بواسطة الترجمة في هذه الحالة هو الجانب غير الأدبي، أما أدبية النص فلا تترجم، وإذا اجتهدنا في إخراج نصنا في اللغة المنقول إليها مخرجاً أدبيًّا فإننَّا نكون إذ ذاك قد ولَّدنا نصًّا جديداً غير النص الأول(٢).

وقد ترجم شاعرنا أحمد عبد المجيد قصيدة عنوانها «البؤس» للشاعر الأندلسي: إبراهيم بن عزرا(٣)، يقول في مطلع هذه القصيدة:

---

(١) الحيوان:١/ ٧٤- ٧٥، بتصرف.

(٢) ينظر في تفصيل ذلك: بحوث في النص الأدبي: ٩٥- ١٠٩

(٣) أصلها باللغة العبرية والشاعر: إبراهيم بن عزرا، شاعر أندلسي، ولد في مدينة طليطلة سنة ١٠٩٢م، وتنقل في كثير من البلدان؛ لأفكاره التي تتضارب كثيراً مع أفكار معاصريه، وفي آخر عهده بالحياة نزل بريطانيا العظمى واتخذ لندن مقراً له حتى وافته منيَّتُهُ سنة ١١٦٧م، وقد ترجمها أو أعاد صوغها ونظمها في هذا الأسلوب العربي: أحمد أحمد عبد المجيد، وهو طالب بدار العلوم العليا سنة ١٩٣٣م، ونشرت باللغتين العبرية والعربية في كتاب الأساس في الأمم السامية ولغاتها وقواعد اللغة العبرية وآدابها: ٥٠٥- ٥٠٧، وهو يحتوي على مقرر دار العلوم في

عَلَى قَدْرِ بُؤْسِي لَوْ تَفِيضُ عَلَى نَحْرِي ... دُمُوعِي! جَعَلْنَ البَـرَّ أَشْبَهَ بالبَحْرِ

وَأَطْلَعْنَ قَوْساً فِي السَّماءِ مُمَاثِلاً ... لِمَا عَاقَبَ الطُّوفَانَ فِي غَابِرِ الدَّهْرِ

وكانت ترجمته توليد نص أدبي جديد،عدد فيه الشاعر صور البؤس بتعبيره الفصيح الموزون المقفى، بل إن في ترجمته اقتباس من القرآن الكريم، بما يحمل ثقافته العربية، وانتماءه الديني، يقول:

طَرَقْتُ بُيُوتَ الخَيِّرِينَ مُبَكِّراً ... فَخُبِّرْتُ أَنْ قَدْ فَارقُوا البَيْتَ فِي الفَجْرِ

وَعِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ أَسْرَعْتُ نَحْوَهُمْ ... فَأَلْفَيْتَهُمْ نَامُوا؛ فَبِتُّ عَلَى جَمْرِ!

عَجِبْتُ لِدُنْيَا أَسْرَفَتْ فِي إِسَاءَتِي ... وَنَحْسٍ إِذَا أَخْطُو يُسَارِعُ فِي إِثْرِي

إِذَا كَانَ حَظِّي فِي الحَيَاةِ كَمَا أَرَى ... فَمَا حِيلَتِي! والعَصْرِ إِنِّي لَفِي خُسْرِ

لقد ترجم شاعرنا هذه القصيدة وهو طالب بدار العلوم العليا سنة ١٩٣٣م، ونُشرت في ذلك الوقت المبكر الذي لم تكن الحركة الصهيونية قد استولت على الأراضي المقدسة في فلسطين بعد، مما يدل على انفتاح الشاعر على كل الآداب الإنسانية حتى فيما يترجمه منها، ولكن لماذا لم يترجم الشاعر من لغات أخرى غير العبرية؟ وإذا لم يكن يعرف لغات أخرى فلماذا لم يترجم من العبرية نصوصاً أخرى؟ أعتقد أنه لايمكن الإجابة عن ذلك قبل جمع ديوان الشاعر الذي سيجيب عن كثير من الأسئلة التي نحن بحاجة إلى الإجابة عنها.

اللغة العبرية وآدابها والموازنة بينها وبين اللغة العربية، وزارة المعارف العمومية، المطبعة الأميرية ببولاق، الطبعة الأولى ١٣٥٤هـ= ١٩٣٥م

• شعر المدح:

لم يكن شعر المدح من الأغراض البارزة في الشعر العربي في أول نشأته، لأن العرب كانت لاتتكسب بالشعر وإن صنع بعضهم شعراً يشكر به يداً لايستطيع أداء حقها إلا بالشعر تعظيماً لها وتخليداً، ولما تكسب العرب بالشعر وقصدوا به الملوك بغية العطاء، قلت منزلة الشعراء مما دفع بعضهم إلى عدم اتخاذ شعر المديح غرضاً من أغراضهم، مع أن النموذج المثالي للسمو الإنساني استمده النقاد من خلال ماخلعه الشعراء على ممدوحيهم من الفضائل، يقول الشاعر:

ولولا خلال سنها الشعر مادرى بناة العلا من أين تؤتي المكارم (١)

وقد وضع أبو تمام في وصيته إلى تلميذه النجيب البحتري المقاييس المثلى للمديح، وذلك في قوله: «فإذا أخذت في مديح سيد ذي أياد فأشهر مناقبه، وأظهر مناسبه، وأبن معالمه، وشرف مقامه، وتقاض المعاني، واحذر المجهول منها، وإيَّاك أن تَشِينَ شعرَكَ بالألفاظ الرَّزِيَّةِ، وكن كأنك خيَّاطٌ يُقَطِّعُ الثيابَ على مقادير الأجسام»(٢).

وشعر المديح الذي وصلنا لأحمد عبد المجيد قليل إذا ماقورن بأغراضه الأخرى كالرثاء على سبيل المثال، ولعل سبب ذلك وصية جده التي منعه فيها من كتابة الشعر عامة، وشعر المديح على وجه الخصوص، وعلل ذلك بقوله مخاطباً شاعرنا: **«بحسبك منه أن يمدحنا به النازلون علينا»**، وقد شكلت هذه الوصية حاجزاً نفسيًّا كبيراً لدى أحمد عبد المجيد، لمكانة جده في نفسه بعد فقده والده، ولأن جده كان محبًّا للعلم والعطاء، وقد جاء هذا المانع النفسي على لسان شاعرنا في قوله: **«فقد أمسكت عنه حيناً من الدهر، وماكنت أقرضه إلا بإلحاح وفي الكبريات، وأيًّا ماكان فإنِّي لم أتخذه مُتكسَّبًا،**

---

(١) ينظر في ذلك: أسس النقد الأدبي عند العرب: ١٧٧ومابعدها بتصرف.

(٢) ينظر في هذه الوصية زهر الآداب:١/ ١١٠- ١١١ ، والعمدة:١/ ٢٠٨، ٢/ ١١٤- ١١٥.

ولااشتريت به ثمناً قليلاً ولاكثيراً، بل وما أحببتُ في يوم أن يُقال عنِّي إني شاعر»، وهذا يدل على درجة الصدق الفني في إبداع الشاعر، وأبرز ما أمكنني الوصول إليه من شعره في المدح قصيدتان، بالإضافة إلى بعض الأبيات ضمن قصائد في أغراض أخرى، وأول هاتين القصيدتين قصيدته في مدح الشيخ: مصطفى باشا عبد الرازق، مطلعها[1]:

مولاي يشرفُ في مديحكَ منطقي ويشعُّ مثلُ جبينكَ المتألِّقِ

وهي قصيدة يصور فيها الشاعر صراعه وأمنياته، صراعه مع بني البشر الذين يقف بينهم كالفريسة لايعرف كيف يتقي شرورهم، كما يصور أمنياته في حياة مثالية خالية من المشكلات، يقول الشاعر:

ياليتني مثلُ الطيورِ بِمأْمنٍ من ماكرٍ ومُخاتلٍ ومُنافقِ

لم يعتدِ البازي على عُصفورةٍ والنَّسرُ لم يخدشْ جناحَ القُلَّقِ

أحبابُ في أجوارِهِ، مترفِّقٌ يسعى إلى خلٍّ له مترفِّقِ

يتفرَّق الشملُ الوفيُّ لعيشه وعلى المحبَّةِ كلُّ شملٍ يلتقي

طوراً على عَذَبِ الرياض وتارةً عند الغدير ومائه المُترقرق

ولكن الحياة لم تعطه مايتمنى، وواجه من الناس كثيراً من الصعوبات، وهو يقاوم شرورهم وحده، يقول:

---

(١) القصيدة مخطوطة، وهي في مدح الشيخ: مصطفى باشا عبد الرازق، كان وزيراً للأوقاف، ثم شيخاً للأزهر، باحث في الشريعة والأدب، من أهل المنيا بصعيد مصر، ولد بها سنة ١٨٨٥م، وتخرج بالأزهر، من تلامذة الإمام: محمد عبده، أكمل دراسته في باريس، وكان من أعضاء المجمعين العلمي العربي، والعلمي المصري، توفي سنة ١٩٤٦م، ينظر في مؤلفاته ومزيد من التعريف به، الأعلام: ٧/ ٢٣١

وغدوتُ وحدي أشتكي من عصبةٍ ... نثروا الشِّباكَ فأيُّها أنا أتقي

إنسٌ ولكن مثلُ ذُؤبانِ الفلا ... وأنا الفريسةُ في المُحيط الضيِّق

لمَّا رأيتُ عيونَهم محمرَّةً ... يتلمظونَ فررتُ مثلَ الآبق

ونزلتُ بالبيت المُغاثُ نزيلُهُ ... وهتفتُ فيهم أن أمنتُ بموثق

واستغاث الشاعر بآل عبد الرازق، وبشيخهم البارز مصطفى، فأمن مكر هؤلاء الأشرار، ووجد عند الممدوح كل مايتمنى، يقول:

تَبَّتْ يدا الأشرارِ... ها جئتُ الحمى ... فلقد نزلتُ بآل عبد الرازق

مِنْ كُلِّ شهم طيِّبٍ مترفقٍ ... متفضلٍ مُتكرِّمٍ متصدِّق

أخلاقُهم مثلُ الملوكِ سماحةً ... وقلوبُهُمْ تحكي صُهيبَ المُتَّقي

والمُصطفى من بينهم عَلَمُ الهُدى ... يهبُ المُنى من سيبِهِ المُتدفِّق

زَينُ الولاةِ سماحةً وعدالةً ... وهو العليمُ بحكمةٍ وبمنطق

وطأَ الوزارةَ مُصلحاً فتمثَّلَتْ ... في رونق ياحسنَهُ من رونق

وبمنحة كالبحر يقذفُ بالنَّدى ... ماراحَ يمنعُ حاجةً من طارق

إنِّي وقفتُ ببابه فرجعتُ في ... أهلى بثغرٍ الباسم المُبرنشق

من كان أشقاه الأسى وشكا له ... مسحتْ يداهُ على أساه فما شقي

والقصيدة الثانية في مديح: محمد علي الكبير، عدد فيها كثيراً من مآثره ومناقبه، يقول في مطلعها[1]:

(١) مكتوب بعد عنوان القصيدة، «بقلم الأستاذ: أحمد عبد المجيد، مدرس الأدب العربي بمدرسة دمياط الثانوية، وفي الصفحة قبل الأخيرة: طبع بدار أخبار دمياط»، وهي في مديح : محمد=

من سماء الأنغام والألحان غنِّ ياشعرُ بالقوافي الحِسان

وانظم المدحَ كالدراري لتاجٍ يزدهي مجدُه على التِّيجان

وترنَّم بذكر أصيدَ حُرٍّ بعث المجدَ من على الأكفان

وتخيَّر أسمى المعاني فهذا يومُ من ولدتْ يداهُ المعاني

عبقريُّ الشرق في بُردتيه عزمةُ الليث في نُهى الإنسان

مكتباتُ الدنيا أفاضتْ بذكر عن أياديك ياعلي الشان

ثم يصور معاناة الشعب المصري من المماليك الذين ظلموا الناس أشد الظلم، وهو الآن يطمح في العدل على يديك، ويتمنى لك النجاح والفوز في قيادة مصر، يقول:

أنت مثلت بالممالك عدلاً فتخلَّص من سطوة السلطان

إن شعباً بمصر أُرهق حيناً بعد حين وعاش عيش المعاني

يتمني واليوم يوم امتحان أن تنالَ النجاح في الامتحان

. . . .

شهد الله والملائك والناس بأن قد شأوت في الإتقان

مائة آذنت عليك وهذي باقيات من غير ما إيذان

يانزيل الجنان قرناً طويلاً كم فتوح فتحتها في الجنان

=علي باشا، المعروف: بمحمد على الكبير، مؤسس آخر دولة ملكية بمصر، ولي حكم مصر سنة ١٢٢٠هـ ألباني الأصل، وهو من أرسل البعثات لتلقي العلم في أوربة، توفي سنة ١٢٤٩هـ الأعلام: ٦/ ٢٩٨ - ٢٩٩

همة لو على القبور تجلَّت ضمختها بالمسك والزعفران

وينتقل إلى مديح الملك فاروق آخر ملوك أسرة محمد علي، وكان مما خاطبه به:

ياحفيد الأفيال عشْ لبلاد ظفرتْ في عهودكم بالأماني

وتحلتْ منكم بأسرة ملك هي كالعقد في نحور الغواني

أنت من بينها كواسطة العقد وأغلى حباته من جمان

صاغها في الملوك آي ولاء شاعر مخلص إلى الإيوان

ليس من منطقي ولامن بياني هو من مهجتي ومن وجداني

ولا أعرف للشاعر غير هاتين القصيدتين فى غرض المدح، وإن كان له بعض الأبيات ضمن قصائده الأخري مدح بها بعض المحافظين الذين كرموه في مناسبات عدة، أو مدح بعض الأصدقاء، أو بعض العاملين في قصر الثقافة بالدقهلية، الذين كانوا يوجهون الدعوة إليه للمشاركة في احتفلاتهم الثقافية في المناسبات المختلفة.

- **الشعر الفكاهي:**

الشعر الفكاهي يأتي في كثير من صور الهزل والدعابة والمزاح والنكتة، وقد يأتي في صور السخرية والتهكم والتورية والهجاء...إلى غير ذلك من الصور، وهو يحمل رسائل محددة أراد المبدع إرسالها من خلال هذا اللون الشعري، كما أنه يحمل المتلقين على الابتسام والفرح ويضفي عليهم موجة من البهجة والسرور.

وقد شاع هذا اللون الشعري في البيئة المصرية في تاريخها الطويل، واشتهر به في العصر الحديث كثير من الشعراء، من ذلك مايروى أن الدكتور: محجوب ثابت، كان مع حافظ إبراهيم وبعض صحبه في ضيافة سعد زغلول، وذات يوم أصبح الدكتور: محجوب يَرْوِي لهم حُلماً رآه في نومه، فسأله سعد عن الحُلم، فقال: رأيتني راكباً جملاً كبيراً، ومن خلفه عدد كبير من الحمير، ثم جاءني رجل ومعه رسالة من كبير،

فسلَّمني إياها، فنظر سعد إلى حافظ وقال له: فسِّرْ لنا هذا الحُلم ياحافظ، فقال: أما الجمل الذي يركبه الدكتور: محجوب، فهو كرسي النيابة، وأما الرسالة فهي تكليف من أولي الأمر لمحجوب بتولي وزارة الصحة، وكان الدكتور: محجوب يمنِّي نفسه بهذه الوزارة، ثم قال حافظ: أما الحمير فهم هؤلاء الذين انتخبوه في مجلس النواب! (١).

وكان الدكتور محجوب ثابت مثار كثير من الدعابات الشعرية عند شاعر النيل حافظ إبراهيم، بل عند أمير الشعراء أحمد شوقي نفسه الذي لم يكن مشهوراً بالدعابة كغيره من الشعراء، ومن هذه الأشعار قول شاعر النيل في مداعبة الدكتور: محجوب ثابت، الذي عرف عنه تمسكه بالقاف في حديثه مع طلبه تفسير أحلامه المتعددة:

يُرْغي ويُزْبد بالقافاتِ تحسبُها ... قَصْفَ المدافع في أُفْق البساتينِ

من كل قافٍ كأنَّ الله صوَّرها ... من مارج النارِ تصويرَ الشياطين

قد خصَّه الله بالقافات يَعْلكها ... واختص سبحانه بالكاف والنون

يغيب عنه الحجا حيناً ويحضُره ... حيناً فيخلط مختلاً بموزون

لايأمنُ السامع المسكين وَثْبته ... من كردفان إلى أعلى فلسطين

بينا تراه ينادي الناس في حَلبٍ ... إذا به يتحدَّى القوم في الصِّين

ولم يكن ذاك عن طيشٍ ولاخَبَلٍ ... لكنها عبقرياتُ الأساطين

يبيت ينسج أحلاماً مذهبةً ... تغني تفاسيرُها عن ابن سِيرين

طوراً وزيراً مشاعاً في وزارته ... يصرِّفُ الأمر في كل الدواوين

وتارة زوج عُطْبولٍ خَدَلَّجَةٍ ... حسناء تملك آلاف الفدادين

(١) الفكاهة في مصر: ١٨٤- ١٨٥، بتصرف.

يُعْفَى من الأمر إكراماً للحيته وما أظلَّتْهُ من دُنيا ومن دين

وكان للدكتور: محجوب ثابت، عربة يجرها حصان مهزول، يمر بها على أحياء القاهرة أيام ثورة ١٩١٩م، وقد أطلق أصدقاؤه على الحصان اسم «مكسويني» وهو اسم بطل أيرلندي مشهور انتحر بالانقطاع عن الطعام حتى مات جوعاً في سبيل تحرير وطنه، يُكنُّون بذلك عن هُزال الحصان وجوعه، وحدث أن استبدل الدكتور: محجوب، عربته بسيارة ماركة (أوفرلاند)، الأمر الذي أوحى إلى شوقي بقصيدة يداعب فيها صديقه الدكتور: محجوب، ويحمل العزاء للحصان الوفي، باكياً على ضياع الوفاء بين الناس، يقول شوقي:

لكم في الخطِّ سياره حديثُ الجار والجاره

إذا حرَّكتَها مالتْ على الجنبين مُنْهاره

وقد تَحْزُن أحيانا وتمشي وحدها تاره

ولا تُشْبعها عينٌ من البنزين فوَّاره

ولاتَرْوَى من الزيت وإن عامتْ به الفاره

ترى الشارع في ذُعْرٍ إذا لاحتْ من الحاره

وصِبْياناً يضجُّون كما يلقون طياره

وفي مَقْدمها بوقٌ وفي المُؤْخر زماره

وقد تمشي متى شاءت وقد ترجع مختاره

قضى الله على السوَّا ق أن يجعلها داره

أدنيا الخيل يامَكْسي كدنيا الناس غدَّاره

فصبراً يا فتى الخيل فنفس الحرِّ صبَّاره
أحقٌّ أن محجوباً سلا عنك بفَخَّاره
ولم يعرف لك الفضل ولا قدَّ ر آ ثا ره
ولا والله ماكلفـــ ـت محجوباً ولا باره
فلا البرسيم تَدْريه ولا تعرف نُوَّاره [1]

وكان شوقي من المقدرين للدكتور: محجوب مواقفه الوطنية، وعطفه على الفقراء حيث لم يكن يعالجهم بأي أجر [2].

ومن صور الشعر الفكاهي مايطلق عليه المراسلات أو المساجلات الشعرية، وهي تكون عادة بين الأصدقاء الذين يكتبون الشعر، حيث يكتب أحدهم قصيدة يداعب فيها صاحبه في المناسبات المختلفة، فيرد عليه صاحبه بقصيدة قد تكون على نهجها وزناً وقافية، ويهدف الأصدقاء من هذه القصائد تدريب آلة إبداعهم الفني وإشاعة روح الود بينهم.

وقد وجدتُ بعض قصائد الشعر الفكاهي لدى شاعرنا أحمد عبد المجيد، منها ماجاءت لإشاعة روح الود والألفة بينه وبين الأقارب والأصدقاء، من ذلك قصيدته في أخيه العمدة الذي زاره بعد جفوة حدثت بينهما، فكتب الشاعر قصيدة صدَّرها بقوله: « إلى أخي العمدة، أهلاً يا أخي العمدة ومرحباً بصديق صدوق، وديك وديك [3]، وشرفتنا والدِّيك فازدانت الدنيا، على غير هوانا كان قد جَدَّ بيننا سوء تفاهم، ومع حضرة الديك الوديك، تَحَوَّلَ سوء التفاهم إلى

(١) الفكاهة في مصر: ١٨٧- ١٨٨
(٢) أحمد شوقي الشاعر الإنسان: ٥٤- ٥٥
(٣) الديك الوديك: الديك السمين.

حسن التفاهم، إكراماً لحضرة الديك المحترم، لقد كان في وفوده أكرم وافدٍ، وأسرع رافد؛ لإعادة المياه إلى مجاريها، وكان في سفارته خير سفير؛ لتغذية العلاقات الأخوية، وإشباع أواصر المودة والسلام»، ثم قال في مطلع هذه القصيدة[1]:

أَتاني ومِنْ بَعْدِ الغيابِ حبيبُ ... فَطَبَّ لروحي والحبيبُ طبيبُ

أَتاني مع النَّجْلِ العزيزِ وحيدُهُ ... فشافَ بِمَرْأَى يُوسُفٍ يعقوبُ

ويتطرق شاعرنا إلى ماحمله أخوه معه في أثناء زيارته، حيث حمل معه ديكاً سميناً لتغذية العلاقات الأخوية، وإشباع أواصر المودة، يقول:

وقد يجمعُ الله الشَّتيتينِ بعدما ... يخالانِ أَنَّ الجَمْعَ ذاكَ غريبُ

لقدْ شَرَّفا فازدانَ لي كُلُّ ما أَرى ... وفي كُلِّ شيءٍ هَلَّلَ التَّرحيبُ

وَخَلْفَهُما ديكٌ وديكٌ كأَنَّهُ ... بِكَرْكَرَةٍ ملءِ الجَوَاءِ خطيبُ

وإِنَّكما والدِّيكُ غاياتُ مُنْيَتي ... وَإِنِّي لَمِنْ طِيبِ اللِّقاءِ طروبُ

لقاءٌ له في الشَّكِّ أَوْضَحُ رُؤْيةٍ ... أَزَالَ غماماً والهلالُ يغيبُ

ثم يصف هذا الديك الفصيح بقوله:

مُصِرٌّ على أَنْ يُسْتَضَافَ بِمَرْقَدِي ... ويبقى له فَوْقَ السَّريرِ نصيبُ

فقلتُ له: لابَأْسَ وارقد بجانبي ... على الرَّحْبِ مِنِّي فالجنابُ رحيبُ

ويادِيكُ نَمْ واسلم فأَنتَ حبيبنا ... وإِنَّ الذي يحبو الحبيبَ حبيبُ

وهيَّا لتدعو اللهَ جَلَّ جلالُـهُ ... كما قد دعاهُ قبلنا أَيُّوبُ

ليكشفَ عنَّا الضُّرَّ فهو بلطفِهِ ... قريبٌ إلى من أَمَّهُ ومجيبُ

(١) القصيدة مخطوطة، عنوانها: إلى أخي العمدة.

وَبِتُّ أُلاغيهِ وأرقيه داعياً عسى بدعائي أن تزولَ كروبُ

وفي هذا الجو من الدعابة والفكاهة لم ينس شاعرنا ذلك الجانب الإنساني الذي يجمعه مع الديك، فيخاطبه خطاب الأودَّاء الذين جمعت الغربة بينهم، فإذا كان الديك يعاني آلام الغربة فإن شاعرنا يعانيها منذ زمن، يشعر فيها بالحنين إلى مراتع صباه التي جاءه الديك منها، فيخاطبه خطاب من يأنس فيه القرابة، يقول:

تعال نَعُدْ ياديكُ من عند أَنَّني غريبٌ على أرضي أتاهُ غريبُ

فَمُذْ جِئْتَنِي آنستُ فيكَ قرابةً وكلُّ غريبٍ للغريبِ قريبُ

لِتَحْيَ كما نحيا، وتفنى فناءنا فَإِنَّكَ من أَجْلِ الحسيبِ حسيبُ

وعشتَ ولا سنُّوا عليكَ ضراوةً بِسكِّينَةٍ في نَصْلِها تعذيبُ

ولولا أَوِدَّاءٌ نرى فيكَ ودَّهُمْ أصابكَ من سكِّيننا الترعيبُ

لقد تذكر شاعرنا غربته عن قريته «البستان» عندما رأي الديك مذعوراً من غربته هو الآخر، وأعاد له هذا المشهد تذكر مراتع صباه في قريته، مما دفعه إلى مخاطبة الديك هذا الخطاب الإنساني العالي.

ومن صور الشعر الفكاهي لدى شاعرنا (أيضاً) قصيدته إلى صديقه الدكتور: عبد الله مبارك[1]، وكان رحمه الله طبيباً للأسنان شاعراً، وقد أخبرني من التقيت بهم من رواد قصر الثقافة بالدقهلية أنه كان بينهما كثير من المداعبات والمساجلات الشعرية،

(١) الشاعر الدكتور: عبد الله مبارك، من مواليد محافظة المنوفية سنة ١٩٠٢م، كان من ألمع نجوم الإبداع الشعري في الدقهلية، عاش في عاصمتها المنصورة طبيباً للأسنان، فجعل من عيادته صالوناً أدبيًّا لكل محبي الأدب، في الوقت الذي كان فيه مدير قسم الأسنان بمستشفى المنصورة العام، ونقيب الأطباء بالدقهلية، وهو من أبرز أصدقاء الشاعر، وبينهما كثير من المساجلات الشعرية، ينظر في التعريف به: تحت شمس الشعر: ٥ - ١٩

ولم أتمكن من العثور إلا على قصيدة «أمل جنين الغيب»، وقد كتب الشاعر في مطلعها مقدمة نثرية، أشار فيها إلى أن هذه القصيدة هي آخر مداعبة إلى صديقه الشاعر النطاسي الدكتور: عبد الله مبارك، وكان مما قال عن علاقتهما التي حفلت بكثير من صور الود والمحبة والصداقة، وظهر ذلك واضحاً في مداعباته التي تضمنت كثيراً من المشاعر الإنسانية العالية، يقول شاعرنا عن هذه العلاقة تحت عنوان: أنا والدكتور عبد الله مبارك: «في المحافل الأدبية تعارفنا، وبين قلبينا ألَّف حب الأدب، حتى كان يسعى كلٌّ منا إلى صاحبه كلما طاف عليه طائف من طوافي الآداب والأديان، إلى أن استقرَّا في العيادة للعلاج، وبدأنا بالتنظيف ثم الحشو ثم الخلع ثم التركيب بناءً على ماوراء الأنقاض المهدومة بعد الصب والتلميع والتطبيع، وفي أثناء ذلك إذا راودتنا طُرفة أدبية أو شبهة دينية فكثيراً ماكان يحدث أن ننصرف عن معالجة الأسنان إلى معالجة البيان، وماكنا نشعر أننا بعدنا عن القصد أو خرجنا على الموضوع، فكلا الأمرين في نظرنا معالجة أو صياغة أو نظم، ولاننصرف عن نشاطنا الجديد إلا إذا أقبل بعض الوافدين للعلاج، ثم نعود إلى نشاطنا اليومي، ونستأنفه في اليوم التالي دون أنْ نملَّ، ولكنْ يظهر أن العيادة هي التي مَلَّتْ فمالت فتهدَّمَتْ، وخرجنا منها بحصيلة قيمة في معالجة كل شيءٍ باستثناء معالجة أسناننا!!»، وهي مقدمة نثرية طويلة هذا بعض منها، إلى أن يداعبه شعراً بقوله[1]:

أملٌ جنينُ الغيبِ أو هُـوَ موعدُ ... أَتُـراهُ حانَ له لعَمْرُكَ مولـدُ؟

دكتور عبد الله أنت مباركٌ ... قد شابَ من بركات وعدك أحمدُ

كَثُـرَتْ وعودٌ، كُلُّ وَعْـدٍ هَدَّهُ ... وعدٌ على أنقاضِهِ يتجدَّدُ

ماذا يضيرُكَ مِـنْ وعـودٍ لاتفي ... مادام لاتُـجْرِى المقاديـرَ اليدُ؟

(١) القصيدة مخطوطة، وقبلها هذه المقدمة التي ذكرت بعضها.

أَأُخَيَّ عبـدُ اللهِ أَنْـتَ منارتـي ... إِنْ غامَ لي أُفُـقِي فأنتَ الفرقدُ

ياناظمَ التِّبيانِ كالأسنانِ، في ... كلتيهـما الـدرُّ الـذي يُتَقَلَّـدُ

ومُنَضِّدَ الأسنانِ دُرًّا كالبيا ... ن ، بسحـره في شعـره يتنضَّـدُ

أُفْرِدْتَ في النَّطْسى الأطباءَ الأُلى ... إِنْ يكثُروا عددًا فأنتَ المُفْرَدُ

ثم يصور كثرة خُلفه للمواعيد بدعابة تظهر مدى الارتباط الوجداني بينهما، يقول:

وغدوتُ أَتَّهِمُ المعاذيرَ التي ... أَشْقَتْ ولاءً كنتُ فيه أَسْعَدُ

نفدتْ أدلةُ الاتهام، ولم تزل ... لك في الدفاع أدلةٌ لاتنفدُ

أَجَّلْتَ كم يوم، وقلتَ إلى غَدٍ ... ياطولَ يومٍ مالآخرهِ غَدُ

أَتُراهُ يوماً عندَ رَبِّكَ، قَدْرُهُ ... ألفٌ مِنْ السنواتِ؟ أَمْ هو أَزْيَدُ؟

وخشيتُ أن يمتدَّ فيما بيننا ... حتى يُواريَ سَوْأَتَيْنا مرقدُ

ياربِّ عَجِّلْ بالقيامةِ، رُبَّما ... يومُ القيامةِ قد يحينُ المَوْعِدُ

وعلى مدى الدَّرْبَيْنِ حُبُّكِ لم يَـزَلْ ... ملءَ الفُؤادِ، كَمَا عهدتَ وأعهدُ

ولكن لم أتمكن من الحصول على تلك المساجلات الشعرية بينهما، والتي يبدو أنها كانت كثيرة مشهورة وقد حدثني عنها رواد قصر الثقافة بالمنصورة، وهي تحتاج إلى التواصل مع أسرتي الشاعرين لجمعها ومعرفة مكانتها في الإبداع الفني.

- **شعر الغزل:**

يعد الغزل من أقدم الفنون الشعرية، وذلك لأن عاطفة الرجل تجاه المرأة ، وكذا عاطفة المرأة تجاه الرجل من العواطف الفطرية، و«الغزل في كتابات النقاد والعلماء شبيه بالنسيب والتشبيب، تقع اللفظة عندهم محلّ أختها، ويستبدل بها اللغويّ

مرادفاتها حين يريد، فهي من غنى اللغة، وهي تصوِّر اختلاف القبائل في تسمية هذا اللَّون من القول، يطلقونها على من وصف المرأة أو تحدَّث عنها أو تحدّث إليها أو لها بها، أوتخيل قولاً فيها، أو قصَّة معها، أو وصف ماتثير في نفسه من حرقة ومن نعيم، وهذا نسيب أو تشبيب أو غزل يرسلونه في أحكامهم وكتاباتهم من غير كبير تمييز أو عظيم اختلاف»[1].

وإذا كانت الدلالة اللغوية للغزل أو النسيب أو التشبيب قريبة، فإن الدلالة الاصطلاحية قريبة هي الأخرى، ولكن مفهومها يكاد ينحصر في التحدث إلى النساء والتودد إليهن، ومن تعريفات العلماء لشعر الغزل أنه: «الشعر الذي يتحدث عن الحب، مخاطباً الحبيبة حيناً، ومتحدثاً عنها حيناً آخر، واصفاً لها حيناً، وواصفاً لديارها وكل مايتصل بها حيناً آخر، شارحاً الهوى حيناً، وفعل الهوى به حيناً آخر»[2].

وللغزل أنواع متعددة لعل من أبرزها الغزل الحسي الذي يصف فيه الشاعر جسد المرأة ومفاتنها ومكامن الجمال فيها، والغزل العذري أو العفيف الذي يصف فيه الشاعر لواعج شوقه وحنينه، وأرق صدها وهجرانها، ويتسم شعر الغزل برقة ألفاظه، ورشاقة معانيه؛ ليناسب رقة المرأة ونعومتها، كما يناسب (أيضاً) عواطف الرجل الجياشة نحوها.

يقول أبو تمام في وصيته إلى تلميذه النجيب البحتري: «فإن أردت النسيب فاجعل اللفظ رقيقاً، والمعنى رشيقاً، وأكثر فيه من بيان الصبابة، وتوجع الكآبة، وقلق الأشواق، ولوعة الفراق»[3].

---

(١) الغزل:١/ ١٢

(٢) أسس النقد الأدبي عند العرب: ١٣٩

(٣) العمدة:٢/ ١١٤، وزهر الآداب: ١/ ١١١

وشعر الغزل عند أحمد عبد المجيد يذوب رقة وعذوبة، وإن لم يصل إلينا منه إلا القليل، من ذلك قصيدته في زوجته الثانية، عنوانها: «صفاء»، يقول فيها[1]:

الحُسْنُ أَنْتِ بِسِحْرِهِ وجَمَالِهِ ... حَصَّنْتُ حُسْنَكِ بالنَّبِيِّ وآلِهِ

حَلَّ بِكِ الأَرْضَ الذي حَلَّ السَّما ... بِشُمُوسِهِ ونُجومِهِ وهلالِهِ

إِنِّي وَوَصْفُكِ بالقَرِيضِ لعاجزٌ ... بَلْ طامِعٌ مِنْ دَهْرِهِ بمُحالِهِ

لو كُنْتُ مَثَّالاً يُصَوِّرُ حُسْنَها ... أَبْدَعْتُ بالتَّصوير في تِمْثَالِهِ

يَفْدِيكِ أحمدُ ياصفاءُ بِرُوحِهِ ... ويزودُ عَنْكِ بِجَاهِهِ وبِمَالِهِ

والشَّاعِرُ الفَحْلُ الذي غَلَّلْتِهِ ... فَرِحٌ بِرَغْمِ الأَسْرِ في أَغْلالِهِ

ويصور تمكن حبها من قلبه عندما ألقى حباله لاصطيادها؛ لكنها هي التي اصطادته وولهت قلبه، يقول:

بخيالِهِ فَتَنَ الظِّباءَ بأَسرِهَا ... وغَدَوتِ وحدَكِ فتنةً لخيالِهِ

أَلْقَى عَلَيْكِ حِبَالَهُ مُتَصِّيداً ... فاصطدتِهِ يا ظبيةً بحبالِهِ

وَلَّهْتِ قَلْباً كان قَبْلَكِ خالياً ... رُحْماكِ مالِكَتي بِقَلْبٍ والهِ

رِقِّي لحالِ مُتَيَّمٍ بكِ مثلما ... رَقَّتْ قُلُوبُ العاشِقِينَ لحالِهِ

ثم يبالغ في التودد إليها علها ترق لحاله وتمنحه الحياة بوصالها، يقول:

جُودي عليه بالحَياةِ وإِنَّما ... يُحيي الحَبِيبُ حَبِيبَهُ بِوِصَالِهِ

تهوى المجيءَ رِحَالُهُ ويخافُ أَنْ ... سيؤوبُ والأشواقُ مِلءُ رِمَالِهِ

---

(١) القصيدة مخطوطة.

لا خير في دنيا المُحِبِّ بما حَوَتْ حتى يُرى مُتَمَتِّعاً بحلالِهِ

ويعبر عن أصلهما الكريم معاً، وأثر ذلك في فخرهما بالأهل الذين تمسكوا بالطهر والعفاف والذكر الحسن، يقول:

أهلي وأهلُكِ شَرَّفوا أَحْسَابَنَا وَتَمَسَّكوا بالطُّهرِ في أَذْيالِهِ
يا زهرةَ البُستانِ تِيهي بالَّذي لم يُثمرِ البُسْتَانُ مِنْ أَمْثَالِهِ
وثِقي به فَغَداً وما أَحلى غداً سَتَرِينَ صِدْقَ القَوْلِ في أَفْعَالِهِ
ما اختارَ غَيْرَكِ للحياةِ شريكةً يا نُورَ عَيْنَيهِ وراحةَ بالِهِ
وسعادتي بك يا صَفَاءُ عَطِيَّةً مِنْ أَنْعُمِ المولى ومِنْ أَفْضَالِهِ

ولشاعرنا قصيدة أخرى في زوجته الثانية (أيضاً) عنوانها: «صفاء...ياحبيبتي»، يقول فيها[1]:

أَحْبَبْتُ أَنِّي في هَوَاكِ سَقِيمُ وعلى تَبارِيحِ الغَرامِ مُقيمُ
أَصَفَاءُ... هَلْ مِنْ قُبْلَةٍ لا تَنْجلي؟ برُضَابِكِ الصَّافي... أَبُوكِ كريمُ
القُرْبُ مِنْكِ يَهيجُ وَقْدَ صَبَابَتِي والبُعْدُ عَنْكِ كما أُحِسُّ جَحِيمُ

ويختم الشاعر قصيدته بالشكوى إلى الله سبحانه وتعالى من دلال محبوبته التي لم ترحم تعلقه الشديد بها، يقول:

ياربِّ أشكو قُرْبَها...لا... بُعْدَها لا... لَسْتُ أَشْكُو، والبلاءُ عَظِيمُ
لا القُرْبُ يَشفيني، ولا نارُ النَّوى بَرْدٌ، ولا قَلْبُ الحَبِيبِ رَحِيمُ
شِئْتِ الفِرَاقَ، وَقَدْ طَرِبْتِ لِقُربِهِ وفِراقُ صَفْوي يا صَفَاءُ أَلِيمُ !!

(١) القصيدة مخطوطة.

ما شِئْتِ يُسْعِدُني ولو أَشقَيْتِنِي إِنَّ الشَّقَاءَ بِرَاحَتَيكِ نَعِيمُ

إِنْ كانَ في سُقْمِي هَوَاكِ فَإِنَّنِي أَحْبَبْتُ أَنِّي في هَوَاكِ سَقِيمُ

ويبدو من شعره في الغزل أنه لا يمكن أن ينحصر في هاتين القصيدتين اللتين وصلتا إلينا، لأن أشعاره في هذا الغرض تدل على موهبة شعرية فذة، ولكن أين ماكتبه في زوجته الأولى التي دام زواجه منها ثلاثين عاماً؟ فهل أخفاه بعد زواجه الثاني لدواع أمنية؟ أم أنه تخلص منه؟ وهل يعقل ألا يكتب في قصة الحب هذه إلا قصيدة رثائها؟ أسئلة كثيرة حائرة لا يمكن الإجابة عنها إلا بعد جمع ديوانه.

الفصل الثالث
خصائص التعبير الفني
في شعر أحمد عبد المجيد

بعد أن انتهينا من عرض اتجاهات الإبداع في شعر أحمد عبد المجيد، نعرض خصائص التعبير الفني لديه، ولا يخفى أن الأحكام في هذه الدراسة ستكون تقريبية؛ لأن شعره لم يجمع بعد وهو بحاجة ماسة إلى من يقوم بجمعه، إذ إن دراسة شعر أي شاعر إنما تعتمد على إحصاء ظواهرها بطريقة ممكنة قبل إطلاق أحكامها.

وسأعرض من خصائص التعبير الفني في شعر شاعرنا إلى: العواطف والأفكار، والألفاظ والأساليب، والخيال والتصوير، والموسيقا والإيقاع، لإبراز سمات التعبير الفني فيما أمكن الوصول إليه من إبداعه.

١. العواطف والأفكار:

تعد العواطف والأفكار من أبرز خصائص التعبير الفني، وذلك لأن العواطف القوية الصادقة هي أبلغ رسول بين المبدع والمتلقي، وكلما كان الشاعر صادقاً في التعبير عن مكنون نفسه كان تعبيره مؤثراً في المتلقين على اختلاف منازلهم ودرجاتهم؛ لأن ماخرج من القلب وصل إلى القلب وماخرج من اللسان لا يجاوز الآذان.

والذي يضبط المشاعر والأحاسيس: العقل والفكر، لأن التجربة الفنية لاتقوم على حرارة الانفعال، وقوة الشعور، وعمق الإحساس، وسمو العاطفة وصدقها فحسب؛ بل لابد من العقل والفكر، «إذ هو الذي يُشرف على الأحاسيس وينظمها، ولولاه لكانت خليطاً مضطرباً لاتسوده وحدة ولايسوده نظام»[1].

(١) النقد الأدبي الحديث: ٣٦٤، د. محمد عبد المنعم خفاجي.

وقد أشار النقاد قديماً وحديثاً إلى مكانة العاطفة، وذهبوا إلى أنها تدفع المبدعين إلى الإبداع، وتقود خطاهم إلى ينابيع الروعة والابتكار، فذكروا من هذه العواطف: الرغبة، والرهبة، والطرب، والغضب، يقول ابن رشيق: «فمع الرغبة يكون المدح والشكر، ومع الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف، ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب، ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب الموجع»(١).

كما أشار النقاد المحدثون (أيضاً) إلى مكانة العواطف في الإبداع الفني، فذكروا من أنواعها غير ماسبق عواطف: الحب والبغض، والسرور والحزن، والرجاء والخوف، والشوق والخمول، والوفاء والجحود...إلى غير ذلك من العواطف.

وللعاطفة عدة مفاهيم لدى النقاد، منها أنها : «الحالة التي تتشبع فيها نفس الأديب أو الشاعر بموضوع أو فكرة أو مشاهدة، وتؤثر فيه تأثيراً قويًّا، يدفعه إلى التعبير عن مشاعره والإعراب عما يجول بخلده»(٢).

أو أنها «انفعال شديد ينزع بصاحبه إلى ميل نحو أمر من الأمور ملك عليه منافذ حواسه فلايستطيع الانفلات منه ولا التخلي عنه»(٣).

أو أنها «الوجدان الدائم والشعور الملازم والإحساس الذي يتمكن من قلب صاحبه تمكن النازل المقيم، والطارق الذي لايغادر الرحل، ولايفارق الدار، دون أن يكون من الأشياء الطارئة، أو الأمور المكذوبة على النفس أو المفتعلة على الوجدان، أو المجتلبة من غير داخل الشاعر أو الكاتب»(٤).

---

(١) العمدة: ١/ ١٩٤.

(٢) النقد الأدبي الحديث: ٣٥، د. محمد عبد المنعم خفاجي.

(٣) دراسات في النقد الأدبي: ١٣.

(٤) في محيط النقد الأدبي: ٩٧.

أو أنها «التي تميز النص الأدبي عن النص العلمي، وتجعل تأثيره يبقى على مر الزمان، وهي مهمة للمبدع والمتلقي، كما أنها مهمة أيضاً للنص الأدبي ذاته، فهي للأديب مبعث خواطره وشاحذ إنتاجه، وهي للقارئ أوتار يجد في رنينها ونغماتها المعاني الحافزة، وهي للإنتاج الأدبي كالشذى الذي يعطر أرجاءه، وكالماء العذب الذي يبعث فيه الحياه»[1].

وقد كانت العاطفة من أبرز خصائص الإبداع الفني لدى شاعرنا أحمد عبد المجيد، لما اتسم به شعره من صدق فني، وانفعال حقيقي، كانا يدفعانه إلى التعبير عن مكنون نفسه وهواتف وجدانه، فماكان يكتب شعره لهدف يطمح إليه وإنما يكتبه تلبية لحاجات نفسيه، وكان يعيش في صراع نفسي بين الكتابة وعدمها، بين تلبية حاجات نفسه في التعبير والإفضاء، والوفاء بوصية جده الذي نهاه عن كتابة الشعر بقوله: «**بحسبك منه أَنْ يمدحنا به النازلون علينا، ألم تقرأه أو شيئاً منه في جريدة البصير؟**»، ويظهر تأثر شاعرنا بهذه الوصية في قوله: «**فقد أَمْسَكْتُ عنه حيناً من الدهر، وما كنت أقرضه إِلَّا بإلحاح وفي الكُبْرَياتِ، وأَيًّا ما كان فَإِنِّي لم أتخذه مُتَكَسَّباً، ولا اشتريتُ به ثمناً قليلاً ولا كثيراً، بل وما أحببتُ في يومٍ أن يُقال عَنِّي إِنِّي شاعرٌ**»، ويدل هذا على أنه ماكان يكتب شعره إلا بعد أن تتمكن منه التجربة الشعورية ولايستطيع الخلاص من ثُقلها إلا بالكتابة.

وإذا كان للإبداع الشعري مجال واسع لفخر المبدعين ودَلِّهم على الناس، لاسيما إذا كان إبداعهم ذا مكانة عالية، مثلما افتخر المتنبي بشعره في قوله:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعتْ كلماتي من به صممُ

أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهرُ الخلق جراها ويختصمُ

(١) العمدة: ١/ ١٢٠

فإن شاعرنا أحمد عبد المجيد كان يفتخر بشيء آخر، يفتخر بأنه علي الرغم من إبداعه الجيد لاَيعُدُّ نفسه شاعراً، ليس من قبيل التواضع كما قد يُظن، وإنما لأنه يرى نفسه أرفع منزلة من الشاعر، يظهر ذلك على سبيل المثال في إفضائه الحميم إلى الديك الذي جاءه هدية من قريته البستان؛ فيتخذه الشاعر صديقاً ويحرِّم ذبحه؛ لأنه ذكرَّه بأيامه الخوالي، وقد جسد الشاعر من هذا الديك شخصاً يخاطبه، ولم يكتف بوصفه بالفصاحة والخطابة، وأنه ضيف عزيز، بل أسر له بمكنون نفسه، وخاطبه خطاب الأصدقاء الأوَدَّاء: إن كنت ياديك غريباً فأنا غريب مثلك، وغربتي أعرق من غربتك، وكل غريب للغريب قريب!! إن هذه القصيدة ملحمة شعرية بين الشاعر والديك، تعبر عن كثير من العواطف والمشاعر الإنسانية، بل إنه خاطب الديك في شأن إبداعه الشعري ذاته، لكنه كان يخاطب الإنسانية كلها من خلال هذا الديك، يظهر ذلك في قوله:

ولا تحسبنِّي شاعراً، لستُ شاعراً ... فنظمُ النبيِّ الشعرَ منه مَعِيبُ

وما أنا ممَّنْ يكتبُ الشعرُ ذكـرَهُ ... ولكنَّ شعري ذكريَ المكتوبُ

ويخطبُ خيرُ النَّاسِ شعري لحسنِـهِ ... وما غرَّ نفسي شعريَ المخطوبُ

أَبى نظمُهُ جَدِّي عليَّ، فكم سعي ... يجوبُ إلينا بالقصيد جؤوبُ

وآخذني مُذْ بَشَّروهُ بأَنَّني ... شعرتُ، فإن الممتطيهِ كذوبُ

كأَنِّي به مستنكراً في سؤاله ... وَمُذْ قيل إنِّي شاعرٌ وأديبُ

وكان صدق شاعرنا في التعبير عن مكنون نفسه أبـرز الأسـباب الداعيـة إلى تـأثير شعره في المتلقين، ففى شعره الديني نجده صاحب عاطفة جياشة وفكر واضـح يسـتمد وضوحه من شريعة الإسلام، وهـذه العاطفـة تظهـر بوضـوح (أيضـاً) في أثنـاء إلقائـه

قصائده، فإذا بالمتلقي يشعر كأن الكون يهتز من جمال إلقائه وشدته، ومن شعره الذي يبرز صدق عاطفته ووضوح أفكاره، قوله في الرد على من يلومه في حب المصطفى ﷺ:

يا خيرَ خَلْقِ الله حُبُّكَ ثروتي	والمدحُ فيك ذَخيرةُ العُبَّادِ
الشَّيْخُ رَتَّلَهُ لدى مِـحْرَابِهِ	والطَّيرُ غَنَّاهُ على الأَعْوادِ
قالوا: أتعشقُ والغرامُ مَذَلَّـةٌ	وصحيفةٌ طُوِيَتْ على الأَضْدادِ؟
في بحره أَنْتَ الغريقُ وإنَّما	حَرَّانُ من نار الصَّبابَةِ صادي
قلتُ اغربوا عني صَدَفْتُ عن الهوى	وَعَدَتْ على حُبِّ الظِّباءِ عوادي
قد كان لي في حُبِّ «ليلى» جَوْلَةٌ	وَفُتِنْتُ حيناً في غَرَامِ «سُعادِ»
ولقد صدفتُ عن الفُنونِ لأنني	أسلستُ في حبِّ النبيِّ قيادي
أهواه من قلبي وملءَ جوانحي	وبِمُهْجَتِي وحشاشتي وفؤادي
حُبٌّ أُوَرِّثُهُ بَنِيَّ فَإِنْ مَضَوا	تركوا هواكَ ذخيرةَ الأحفادِ

فحب شاعرنا للنبي ﷺ يملأ عليه جوانحه لا عن عاطفة جياشة فحسب، وإنما لأن في حبه ﷺ سعادة في الدنيا وفوزاً في الآخرة، فهو يؤثر حبه ﷺ على كل أنواع الحب، بل إنه يورِّثه بنيه وأحفاده لأنه سبيل سعادتهم في الدنيا والآخرة.

إن سر التأثر الواضح بشعر أحمد عبد المجيد ينبع من عاطفته الجياشة في كل مايكتب، وإذا حاولنا استقصاء صور العاطفة عنده استوعبنا معظم أشعاره إن لم تكن كلها، والذي أود التركيز عليه هنا أنه ماكان يُطلق لعاطفته العنان دون سيطرة من الفكر والعقل، يدفعه إلى ذلك إيمان صادق ارتضعه منذ نعومة أظفاره، فعندما يوسوس له الشيطان أمراً نجده مايلبث أن يتوب ويعود إلى ربه، وهو بذلك ينطلق من عقيدة راسخة وفكر ثاقب، يعرف حقيقة الشيطان الذي خُدع فيه شعراء الجاهلية،

فنسبوا له من القدرات مالا يمكنه القيام بها، لكن شاعرنا نظر إلى الشيطان نظرة المؤمن القوي الذي يعرف حقيقة إبليس ويضعه في موضعه اللائق به، لأنه (عليه اللعنة) لا يملك على المؤمن حجة أو سلطاناً، ومَثَلُ شاعرنا هنا كمثل الفرزدق في أبياته البديعة التي خاطب فيها الشيطان، ووضعه في المكان اللائق به، وذلك في قوله:

أطعتُكَ يا إبليسُ سبعين حِجَّةً ... فلما انتهى شيبي وتمَّ تمامي

فررتُ إلى ربي وأيقنتُ أنني ... ملاقٍ لأيام المنون حِمامي

. . . . . .

يظلُّ يُمنِّيني على الرَّحْلِ واركاً ... يكون ورائي مرةً وأمامي

يُبشرني أن لن أموت وأنَّهُ ... سيُخلدني في جنة وسلام [1]

فيسير شاعرنا في السياق ذاته قائلاً:

أَرِقْتُ سَبْعَ ليالٍ لا يُطاوعُني ... فيها القريضُ الذي قَدْ كان ملءَ فَمِي

وأَمْسُ بينَ شُجوني طافَ بي شَبَحٌ ... مِنَ الشَّياطينِ في دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ

وَوَسْوَسَ الخَاسِرُ الخنَّاسُ في أُذُني ... وكنتُ في يَقْظَةٍ ما كُنْتُ في حُلُمِ

إلى مَتَى أَنْتَ في دُنْياكَ كَبْشُ فِدًا ... دَعِ العُلُومَ وعِشْ كالجاهِلِ الضَّرِمِ

فالعِلْمُ غُرْمٌ على أَهْلِ العُقُولِ ومَنْ ... يُلْمِمْ بأَطْرَافِ ذَيْلِ الجَهْلِ يَغْتَنِمِ

. . . . . .

فَقُلْتُ باللهِ مِنْكَ العَوْذُ في أُذُني ... فَإِنَّها عَنْكَ يا خَنَّاسُ في صَمَمِ

(١) ديوان الفرزدق: ٥٤٠

إِنْ قَلَّ مالي فَعِلْمِي أَسْتَعِينُ بِهِ ... في بَعْثِ أُمَّتِيَ العُظْمَى مِنَ العَدَمِ

بالعِلْمِ والسَّيفِ يَحْمي النَّاسُ مُلْكَهُمُ ... والنَّصْرُ بالسَّيفِ بَعْدَ النَّصْرِ بالقَلَمِ

وفي مرثيته البديعة لأخيه عبد المجيد[1]، وفي أجواء عاطفة الحزن البالغ يتساءل الشاعر عن حكمة الموت، ومعنى الحياة، لكنه مايلبث أن يدرك غواية إبليس له ووسوسته التي تدفعه إلى قول ما لا يحق له أن يقول:

أَفْنَيْتَ يادَهْرُ، ماأبقيتَ من أَحَدٍ ... شُلَّتْ يَمِينُكَ إِنْ لَمْ تَحْتَرِمْ كَبِدِي

لاتُبْقِها إِنَّها صَارَتْ مُمَزَّقَةً ... أَشْلاؤُها حِمَمٌ يُكوى بها جَسَدِي

قَطَّعْتَها كُلَّ حينٍ بالرَّدَى قِطَعاً ... لاكُنْتَ ياغولُ يا أَضْرَى مِنَ الأَسَدِ

. . . . . .

أَدْهَى الدَّواهي اغتيالُ المَوْتِ أَنْفُسَنَا ... ولاسَبِيلَ إلى صَرْفٍ ولا قَوَدِ

ماحِكْمَةُ المَوْتِ؟ ما معنى الحَيَاةِ؟ لَقَدْ ... زلزلتَ يادهرُ إِيماني ومُعْتَقَدِي

وراحَ إبليسُ يُغْوِيني ويَنْفُثُ في ... صَدْرِي الأَباطيلَ والوَسْواسَ في خَلَدِي

يَقُولُ ياربِّ ما يَأْبَى السَّمَاحُ بِهِ ... بَعْضُ اليَقِينِ الذي أَبْقَتْ عليه يَدِي

لكن شاعرنا لاينساق وراء انفعاله في ظل عاطفة الحزن التي سيطرت عليه، إنما يعود إلى ربه تائباً راجياً عفوه وغفرانه:

ياربِّ قَوِّ يَقِيني بَعْدَما عَصَفَتْ ... بِهِ رَزَايَاكَ مِنْ هَمٍّ ومِنْ كُؤَدِ

(١) القصيدة مخطوطة، وهي بعنوان: عبرات التأبين في مناجاة الأربعين في أخي عبد المجيد، يقول قبل مطلعها: أسكبها من ذوب قلبي حبًّا يا أخي في مناجاتك، ورحمة عليك في مماتك وحياتك، واللهُ لي من بعدك يا حبيب، وهو حبيب من ليس له حبيب.

يارَبِّ واربِطْ على قَلْبِي فَمَوتُ أَخِي	قَدْ فَكَّ يارَبِّ قَسْراً عُقْدَةَ العُقَدِ
أَخِي ومالِي سِواهُ بَعْدَما اخْتَـرَمَتْ	أَهْلِي المنايا وكانُوا سادةَ البَلَدِ
كانوا مَسامِيحَ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِهِمْ	تَنْدَى أَكُفُّهُمُ البيضاءُ بالبَـرَدِ
الباذلونَ ومافي بَذْلِهِمْ كَدَرٌ	والصَّافِدُونَ ومامَنُّوا على الصَّفَدِ

لقد اتسم شعر أحمد عبد المجيد بعاطفة قوية في كل أغراضه، لأنه ماكان يبدع شعره إلا تلبية لحاجات حقيقية للإبداع، يكتبه للتخلص من ثقل التجربة ومعاناتها، وقد ضبط عواطفه القوية هذه بالعقل الراجح والفكر العميق، واستطاع من خلال إبداعه الصادق وعاطفته المشبوبة أن يؤثر في جمهور المتلقين غاية التأثير.

٢. الألفاظ والأساليب:

تعد الألفاظ والأساليب أبرز جوانب الشكل في العمل الأدبي، ويمثل الشكل الصورة الخارجية للأدب، وهي تتكون من: الألفاظ والتراكيب، والخيال والتصوير، والأوزان والقوافي، والبناء الفني، ويقاس نجاح المبدع بمدى توفيقه في اختيار الألفاظ المعبرة الموحية لما هو بصدد إبداعه من فنون الكلم، كما يقاس (أيضاً) بمدى قدرته التعبيرية التي يظهر من خلالها أسلوبه قويًّا مترابطاً معبراً أصدق تعبير عما يدور بخلده.

وتقوم الدراسة اللغوية على دراسة الألفاظ والأساليب، لأنها تحمل فكر صاحبها ومعانيه، وتستوعب مايجول بخاطره من تجارب ورؤى، و«قوة التعبير ووضوح أثر اللغة وروعتها إنما يرجع إلى ماتثيره الكلمات والعبارات في الأذهان من المعاني الواضحة والصور الصحيحة للحياة ومافيها من محسوسات أو معقولات، وهذه الآثار درجات، وعلى قدر ذلك يكون الإعجاب»[١].

(١) الأصول الفنية للأدب: ٥٥

فإذا بدأنا بتوضيح مفهوم الألفاظ نجد أنها، «في واقع أمرها صورة صوتية، وتصوُّرٌ ذهنيٌّ، أما صورتها الصوتية فتتمثل في مجموعة الأصوات التي تتكون منها اللفظة، وأما التصور الذهني فهو مدلول اللفظة أومعناها الذي ينطبع عادة في الذهن»[1].

ويوضح الجاحظ ما يجب أن تكون عليه الألفاظ في قوله: «لاينبغي أن يكون اللفظ عاميًّا ولاساقطاً سوقيًّا، وكذلك لاينبغي أن يكون وحشيًّا، إلا أن يكون المتكلم به بدويًّا أعرابيًّا، فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس، كما يفهم السوقي رطانه السوقي»[2].

وقسم ابن الأثير الألفاظ من ناحية استعمالها إلى: «جزلة ورقيقة، ولكل منها موضع يحسن استعماله فيه، فالجزل منها يُستعمل في وصف مواقف الحروب، وفي قوارع التهديد والتخويف وأشباه ذلك، وأما الرقيق منها فإنه يستعمل في وصف الأشواق وذكر أيام البعاد وفي استجلاب المودات وملاينات الاستعطاف وأشباه ذلك»[3].

وأضاف النقد الأدبي الحديث أبعاداً جديدة لاختيار الألفاظ في الإبداع الشعري، منها: «أن تكون الألفاظ منتقاة غير مبتذلة، تدل بجرسها وبمعناها على ماتصور من أصوات وألوان أو نزعات نفسية»[4].

أما الأسلوب فإنه الطريقة الخاصة التي يصوغ الكاتب فيها أفكاره، ويبين بها مايجول في نفسه من عواطف، ويكون التفاضل بين الأدباء بمدى قدرتهم على صياغة الأساليب المعبرة عن ذواتهم، يقول ابن الأثير: «واعلم أن التفاضل يقع في تركيب الألفاظ أكثر مما يقع في مفرداتها؛ لأن التركيب أعسر وأشق، ألاترى ألفاظ

---

(١) علم اللغة العام: ١٣٢

(٢) البيان والتبيين:١/ ١١٤

(٣) المثل السائر: ١/ ١٧٢

(٤) الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية: ٦٧

القرآن من حيث انفراده قد استعملها العرب ومن بعدهم، ومع ذلك فإنه يفوق جميع كلامهم ويعلو عليه، وليس ذلك إلاَّ لفضيلة التركيب»[1].

وعرف علماء النقد الحديث الأسلوب بتعريفات عدة منها، أنه: «طريقة الأداء أو طريقة التعبير التي يسلكها الأديب لتصوير مافي نفسه أو نقله إلى سواه»[2].

أو هو«طريقة يستعملها الكاتب في التعبير عن موقفه والإبانة عن شخصيته الأدبية المتميزة عن سواها، ولاسيما في اختيار المفردات وصياغة العبارات»[3].

وهو يتألف من لبنات، هي: «المفردات والألفاظ التي لاتستخدم لذاتها وإنما لتكوِّن مجموعة من العلاقات بين الأشياء أو بين الأشياء والأحداث بفضل عوامل الصياغة التي تضيفها؛ لأنها ليست إلا رموزاً لصور ذهنية محصلة من قبل»[4].

وأركان جودته ثلاثة، هي: «الوضوح لقصد الإفهام، والقوة لقصد التأثير، والجمال لقصد الإمتاع»[5].

وتقوم الدراسة اللغوية للعمل الأدبي على دراسة هذه الألفاظ والأساليب، فتدرس الألفاظ من ناحية: دلالتها، وفصاحتها، ودقتها، وإيحائها، ورقتها، وشاعريتها، وتكرارها...إلى غير ذلك، كما تدرس الأساليب من ناحية: وضوحها، وقوتها، وتلاؤمها، ووحدة نسجها...إلى غير ذلك، وتبلغ الدراسة الأدبية غايتها بمعرفة الروح المسيطرة على تجربة المبدع من خلال دراسة المعجم الشعري الذي تحمل ألفاظه خبايا النص وماتنطوي عليه نفسية صاحبه.

---

(١) المثل السائر: ١/ ١٥١

(٢) الأسلوب: ٤٤

(٣) المثل السائر: ١/ ١٥١

(٤) في الميزان الجديد: ١٨٧

(٥) الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية: ١٨٥

وقد اتسم شعر أحمد عبد المجيد بالدقة في اختيار الألفاظ المعبرة والأساليب المحكمة؛ لأنه كان عشاقاً للغة معنيًّا بها مدافعاً عنها، وقد أفنى عمره في تحرير نصوصها وضبط أساليبها، وساعده على ذلك حفظه للقرآن الكريم، وشغفه بالقراءة وتعلقه الدائم بمصادر اللغة والأدب والدواوين الشعرية، كل هذا جعل معجمه الشعري معجماً أصيلاً، وإذا حاولنا الاستشهاد على ذلك لاستغرقنا معظم شعره، ويُعد ماسقناه من شواهد في الدراسة الموضوعية من أبرز الدلائل علي ذلك.

ومن شعره الذي تظهر فيه دقته في اختيار ألفاظه وإحكام أساليبه قوله في مديح بلاغة القرآن الكريم، مخاطباً المصطفى ﷺ :

وأتيتَ بالقُرآنِ مبعثِ هديهم ... من بعد ما عكفوا على الأوتادِ

آياتُهُ الشمسُ التي قد أشرقتْ ... فمحت ظلام الشِّرْكِ والإلحادِ

لغةٌ هي الفصحى بحسبك أَنَّها ... رغم القرون قشيبةَ الأَبرادِ

إن الذي صاغ اللغات محاسناً ... جعل الجمالَ وَسِرَّهُ في الضَّادِ

وقوله (أيضاً):

يا خادمَ الحَرَمَينِ تلكَ سيادةٌ ... لا يَخْدُمُ الحَرَمينِ إلَّا سَيِّدُ

يا حاميَ البيتِ الحرامِ مُطَهَّراً ... مِنْ كُلِّ أَصنامٍ تُقَامُ فَتُعْبَدُ

بيتٌ يغيظُ المشركينَ، مَقَامُهُ ... لله، يقصِدُهُ العبادُ القُصَّدُ

ساقوا له في عَهْدِ جَدِّ المُصطفى ... أفيالَ«أبرهةٍ» فَفَرَّتْ تَرْعَدُ

اللهُ أَدَّبَها وَرَدَّ مَلِيكَها ... وَضَحُ النَّهارِ عليه ليلٌ سَرْمَدُ

طَيْرٌ رَمَتْ بحجارةٍ يُردِي بهم ... سِجِّيلُها أو طِينُها المُتَجَمِّدُ

حَصَدَتْهُمُ حَصْدَ الجَرادِ وَمَنْ بَغَى كَيْداً لمسجدنا المُقَدَّسِ يُحْصَدُ

وتظهر دقته في اختيار ألفاظة وإحكام أساليبه (أيضاً) في قوله في رثاء أم كلثوم:

بَعْدَ عَشْرٍ وواحدٍ فَوْقَ عَشْرِ أنا لا زلـتُ عاكفاً أَنْعَـاكِ

كيف أَنْعـاكِ؟ كيفَ تجري القَوافي؟ وتُصَاغُ الأَلفاظُ في مَعْنَاكِ؟

أَنْتِ مِثْلُ القَامُوسِ ضَمَّ المعاني وتَنَخَّلْتِ فاصطفيتِ الزَّواكـــي

الزَّواكي من كُلِّ لَفْظٍ ومَعْنىً ليـس أَحْـرى بحقِّـها إلَّاكِ

أَنْتِ أَحْـرَى بِحَقِّـها فسليني لِـمَ وَفَّيْـتِ حَقَّها لسِوَاكِ؟

وأختم الحديث بدرة فريدة استطاع الشاعر نسجها بطرقة بارعـة في رثـاء زوجتـه، وعلى الرغم من قلة أبياتها إلا أنها محكمة الصياغة أَيَّما إحكام:

في جَنَّـةِ اللهِ يا مَنْ كُنْتِ إيناسي أَنْضُو بها وَحْشَتِي مِـنْ جَنَّةِ النَّاسِ

زَكِيَّـةَ الـرُّوحِ، هَلْ تَـدْرِينَ كَـمْ كَنَـدِي؟ دَقَّاتُ قَلبِيَ عُدِّيها وَأَنْفاسي!!

قَدْ كُنتِ نِبْرَاسَ هَدْيٍ أَسْتَضِيءُ بِـهِ فأَطْفَأَ القَدَرُ الجَبَّارُ نِبْراسي

وكُنْتِ سِرَّ طُمُوحي، كُنْتِ لي أَملاً فَبُدِّلَ الأَمَلُ الطَّمَّاحُ بالياسِ

عِشْنَا ثَلاثِينَ لَمْ يُعْقِمْ مَسَرَّتَها أَنَّا عَقِمْنَا، ولَمْ نَسْمَعْ لوَسْواسِ

كانت لِيَ الرَّاحُ ... ما أَصْفى!! وكُنْتُ لها مِنْ مَـاءِ مُزْنٍ، فَكُنَّا الدَّهْرَ في كـاسِ

وفاؤنا مَضْرِبُ الأَمْثَالِ تَحْسَبُنِي مَلْكاً، وَأَحْسَبُها تاجاً علي راسـي

وَاليَوْمَ جُرِّدْتُ مِنْ تَاجِي وَمَمْلَكَتِي وَأَلْبَسَ الهَمُّ قلبيَ أَيَّ إلباسِ

كَفُّ الرَّدَى استمرَأَتْ لَطْمِي وما احْتَشَمَتْ ... واحَرَّ قَلْبَاهُ مِنْ لَطْمِ الرَّدى القاسي!!

لا الأربعونَ ولا أَمْثَالُها مَسَحَتْ ... هَمِّي، فما أَنَا بالسَّالي ولا القَاسي

أَرْثِيكِ من ذَوْبِ وُجْدَانِي وَمِنْ كَبِدِي ... قَدْ جَفَّ قَلْبِي وَبَلَّ الدَّمْعُ قِرْطاسي

جَادَتْكِ مُزْنُ مِنَ الفِرْدوسِ هاطِلَةٌ ... في رَوْضَةٍ ضُمِّخَتْ بالوَرْدِ والآسِ

يانُورَ عَيْنِي ويا أَهلي ويا سَكَنِي ... ويا نَهايَةَ أَعْيادِي وَأَعْراسي

وأكتفي بالإشارة هنا إلى إحدى الظواهر اللغوية البارزة في شعره ألا وهي ظاهرة التكرار، وهي ظاهرة لها عند العلماء عدة أنواع، منها: تكرار الحروف، والألفاظ، والمعاني، والتراكيب ، والأصوات (التناغم الصوتي)، والتكرار الاشتقاقي، والتكرار بصفة عامة حالة نفسية تجعل ألفاظاً بذاتها أو معاني دون غيرها تتكرر على لسان المبدع، يقول ابن حجة الحموي: «يكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى، والمراد بذلك تأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل أو الوعيد»[1].

ومن صور التكرار في شعر أحمد عبد المجيد التي لم تأت من باب الصنعة اللفظية، وإنما جاءت لتدل على سيطرة حالة نفسية وعاطفة إنسانية، تكراره لفظة «أم» في قصيدته في رثاء أمه، ويأتي هذا التكرار ليعبر عن آلامه وأحزانه ومعاناته النفسية، ويجعلنا نشعر بألمه ونواحه من خلال تكرار هذه الكلمة بما يدل على كثافة الحالة النفسية التي اقترنت بتكرار هذه الكلمة، وسيطرتها على ذاكرة الشاعر، يقول في رثاء أمه:

تَحِيَّةً ثَرَّةً مِلْءَ العُيُونِ إِلى ... مَنْ لَوْ على البُعْدِ حَيًّا كان حَيَّانا

فِيْمَنْ على البُعْدِ أَرْحامِي وَمَرْحَمَتِي ... وَالأُمُّ أَقْرَبُهُمْ في البُعْدِ رُحْمانا

(١) خزانة الأدب: ٥/ ٢١٥

الأُمُّ مِنْ رَحْمَةِ الرَّحْمَنِ رَحْمَتُها ... بِالبِـرِّ خُصَّتْ أَحَادِيثًا وقُرْآنا

أُمِّي وَحَتَّى تَراقِي الرُّوْحِ أَنْدُبُها ... يا أُمِّ يا أُمَّ أُمَّاهُ وأُمَّانا

أَبْكيكِ يا أُمَّنَا أَبْكِيكِ مِنْ كَبِدٍ ... ذَابَتْ عَلَيْكِ تَبَارِيحاً وَأَحْزانًا

أَبْكِي على كُلِّ قَبْـرٍ قَدْ مَرَرْتِ بِـهِ ... أَلَيْسَ في القَبْـرِ مَثْوَاها ومَثْوَانا

. . . . . .

أُمِّي وَحَتَّى تَراقِي الرُّوْحِ أَندُبُها ... يَا أُمِّ أُمَّاهُ يا أُمَّايَ أُمَّانا

أَبْكِيكِ يا أُمَّنا أَبْكِيكِ مِنْ كَبِدٍ ... ذَابَتْ عَلَيْكِ تَبَارِيحاً وَأَحْزَاناً

رَوَّتْكِ في بَرْزَخِ الرُّضْوَانِ غَادِيةٌ ... عَلَيْكِ يا أُمَّ تُزْجِي الوَدْقَ تَهْتَانَا

وبهذا ندرك مكانة الشاعر في اختيار الألفاظ المعبرة، والأساليب المحكمة، يضاهي بذلك أساليب كبار الشعراء في عصورهم الزاهرة، وماذاك إلا لأنه تربى على مائدة الفصحى، فحفظ القرآن صغيراً، وعاش طوال عمره في رياض العربية يغترف من معينها وإبداع شعرائها الزاد الأصيل لهذا الأسلوب البياني الفريد.

٣. الخيال والتصوير:

الخيال والتصوير من أبرز خصائص التعبير الفني في شعرنا، والعلاقة بينهما علاقة ارتباط، لأن التصوير ينبع من الخيال، ويقوم على تخيل المشاهد الحسية، كما يقوم على تجسيد المدركات العقلية والأحاسيس النفسية، ومجال الخيال هنا أوسع؛ لأنه يعبر عن الواقع النفسي للمبدع، ويصوره حسب رؤية الشاعر، فيجمع بين الأشياء المتنافرة والعناصر المتباعدة في علاقات فريدة تذيب التنافر والتباعد بين أجزاء العمل الأدبي،

وتدفع إلى الانفعال بالصور الخيالية في ثوبها الأدبي؛ لأن الخيال يضفي على الحقيقة أزياء براقة، ويلونها بالأصباغ والألوان الفنية التي تثير المشاعر والوجدان.

والصورة نتاج التصوير الذي يقوم به المبدع، وتستمد الصورة عناصرها من تصوره للكون والحياة، ولا ريب أن الأديب يستنجد بكل ما أوتي من معرفة وإدراك في أثناء إبداعه، وإذا ماتجاوزت الصورة هذا الإطار الحسيَّ فإنها تجد عالماً رحباً من الصور النفسية والعقلية والظلال والألوان التي تتشكل في إطار لفظيٍّ يتحد معها اتحاداً فنِّيًّا معبراً.

ويمكن تعريف الصورة الشعرية بأنها: صورة تكونها الألفاظ؛ لتصف مشهداً من مشاهد الوجود، أو حالة داخلية تنطوي عليها نفس الشاعر، بحيث تكون هذه الصورة قادرة على نقل هذه المشاهد الحسية وتلك الحالات النفسية بأمانة ودقة مع صدق العاطفة وقوتها.

ويعد الفصل بين المشاهد الحسية والمدركات العقلية أمراً تحتمه طبيعة الدرس النقدي لإبراز سمات كلٍّ منهما على حدة، ولكن ميدان الإبداع لايعرف الفصل بينهما بحال من الأحوال، لأن الصورة تتكون في الخيال من روافد متعددة، حسية كانت أو عقلية، لتعكس تصور المبدع لكل مظاهر الحياة.

وقد صور شاعرنا كثيراً من المشاهد الحسية والعقلية ببيانه الفذ، من ذلك تصويره مشهد كفار مكة حين أعيتهم طرق الصد عن الدعوة الإسلامية، فإذا بها تتوسع وتنتشر بين الناس على اختلاف مستوياتهم، فأردوا أن يجربوا حيلة أخرى هي حيلة الخداع، يقول شاعرنا عن تصوير إيذائهم وخداعهم للمصطفى ﷺ :

آذَوْهُ فاحْتَمَلَ الأَذَى بِتَجَلُّدٍ ... وعَزِيمَةٍ مِنْ عَزْمِهِ تَتَوَقَّدُ

صَبَرَ النبيُّ فما استكانَ لشِرْكِهِمْ ... بل ظَلَّ يَدْعُو للسَّدَادِ ويُرشِدُ

حتَّى إِذَا ضَاقُوا به ذَرْعاً ولَمْ ... يُجْدِ الأَذى عَادَ الأَذى يَتَوَدَّدُ

إِنْ كُنْتَ تَبْغِي المالَ فاحْظَ بمالنا ... حَتَّى يَكُونَ لَكَ الغِنَى والسُّؤْدَدُ

أو كنتَ تبغي المُلْكَ فاملِكْ دُوْنَنا ... ليكونَ فيكَ العاهلُ المتفرِّدُ

أَوْ كان يَسْتَدْعِي الأَطِبَّةَ عِلَّةٌ ... جِئْنا بهمْ إِنْ أَتْهَموا أو أَنْجَدُوا

فَأَجَابَهُمْ يا قَوْمَنا لا تُبْعِدُوا ... شَأْنِي لَدَيْكُمْ فَوْقَ ذَاكَ وَأَبْعَدُ

قالوا: نُدَاوِلُ بَيْنَنَا أَدْيَانَنَا ... وبِدِينِنَا وبِدِينِكُمْ نَتَعَبَّدُ

يا أَيُّها الكفَّارُ[1]: ما أَنَا عابدٌ ما تعبدو ... ن وأَنتُمُ لن تَعْبُدوا ما أَعْبُدُ

اللهُ رَبُّ الخَلْقِ جَلَّ جلالُهُ ... هُوَ مَقْصِدي الأَسْمى ونِعْمَ المَقْصِدُ

اللهُ لا الصَّنَمُ الجَمادُ هُوَ الَّذِي ... عَنَتِ الوجوهُ لهُ وخَرَّتْ تَسْجُدُ

قالوا: تَعِيبُ إلهنا ! وتَوَاعَدُوا ... غدراً به متجمِّعينَ وأَوْعَدوا

في ضَرْبَةٍ مِنْ كُلِّ جَلْدٍ بينهم ... دَمُهُ يَضِيعُ وثَأْرُهُ يَتَبَدَّدُ

أَيخافُ من غَدْرِ الضِّعافِ ومَكْرِهِمْ ... مَـــنْ كان بالله القَوِيِّ يُؤَيَّدُ؟![2]

أَوْحى إليهِ اللهُ أَنْ قُمْ فاغْتَرِبْ ... وإلى المَدِينَةِ سِرْ فَأَنْتَ مُسَدَّدُ

كما يظهر التصوير في سرد مشاهد من حياة الشاعر الخاصة، ورحلته في طريق العلم أشرف ميدان يبني العقول التي تقود مسيرة الوطن إلى التقدم والازدهار، يقول:

بَدَأْتُ حَيَاتِي في الحياةِ مُعَلِّماً ... على أُسُسِ الأَخْلاقِ دُقَّتْ مَضَارِبُهْ

(١) في رواية: ويقول ما أنا عابد.

(٢) في رواية: غدر اللئام... مؤيد.

يُنَشِّئُ للأَوْطَانِ جيلاً شَبَابُهُ ... أَمَامَ بُـحُورِ العِلْمِ رَاقَتْ مَشَارِبُهْ

شَبَابٌ كَزَهْرِ الرَّوْضِ إِمَّا بَدَا زَكَا ... وَرَاعَتْ عُيُونَ النَّاظِرِينَ عَجَائِبُهْ

هُمُ اليومَ في الوادي وُرُودٌ، وإِنَّهم ... غَدَاةَ غَدٍ أَجْنَادُهُ وكَتَائِبُهْ

وَقُوَّادُهُمْ نَـحْنُ الَّذِينَ تَعَقَّبُوا ... مِنَ الجَهْلِ جَيْشاً قَدْ تَرَامَتْ جَوَانِبُهْ

وَمِنْ عُدَّةِ العِلْمِ اتَّـخَذْنَا سِلاحَنَا ... فَلَمَّا تَسَلَّحْنَا انْدَفَعْنَا نُـحَارِبُهْ

وَمَنْ رَفَعَ الأَوْطَانَ مِثْلُ مُعَلِّـــمٍ ... إِذَا سَارَ يَـحْدُوهُ الضَّمِيرُ وَوَاجِبُهْ

ويوضح أن رحلته في الحياة لم تكن سهلة، وإنما كانت مليئة بالمعاناة، يقول شاعرنا في تصوير ذلك:

تَقَاذَفُنِي هذا الزَّمَانُ كَأَنَّنِي ... سَفِينٌ جَرَتْ فِي المَوْجِ فَاشْتَدَّ صَاخِبُهْ

وَغَرَّبْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ رِيحَ مَشْرِقٍ ... وَشَرَّقْتُ حَتَّى أَنْكَرَتْنِي مَغَارِبُهْ

وَذُقْتُ النَّوَى مُرًّا وصاباً وَعَلْقَماً ... وَعَذَّبنِي مِنْ شَاحِطِ البَيْنِ وَاصِبُهْ

وفي أبيات بديعة يرثي الشاعر فيها نفسه ويرجو عفو ربه، يصور مشهده الأخير في الحياه، وبداية رحلته إلى الآخرة، بقوله:

مَتَى مِتُّ فانْعَوْني بما أَنا أَهْلُهُ ... فقد كان ذِكْري عِنْدَكُمْ أَطْيَبَ الذِّكْرِ

وشُقِّي عليَّ الجَيْبَ «يا أُمَّ أَمْـجَدٍ» ... وقُولي أَيا عِزِّي وقُولي أَيا فَخْرِي

خُذُونِي فَشُدُّوني بِثَوبِي إِلى الثَّرَى ... فَقَدْ صارَ شَدِّي بَعْدَ عُسْرٍ إِلَى يُسْرِ

وهيَّا فَعُودوا لا تَـخافوا على امْرِئٍ ... تُضِيءُ لهُ أَعْـمَالُهُ ظُلْمَةَ القَبْرِ

دَعُـــونِيَ مِـنْ أُوْلَاي للهِ إِنَّـني ... أَرَى عِنْدَهُ أُخْـراي تُشْرِقُ بِالبِشْرِ

وَإِنْ ضاعَ قَدْري في الأَنامِ فَإِنَّني لَدَى حَافِظِ الأَقْدَارِ يَحْفَظُ لي قَدْري

وَيَقْدِرُ لي سَبْقِي وَفَضْلَ مَدَارِسي وَيَقْدِرُ لي شِعْرِي ويَقْدِرُ لي نَثْرِي

كما يصور أقاربه الذين قضوا في إحدى مرثياته بصور بديعة مستمدة من سيرهم الفاضلة، بل إنه شبههم بآيات القرآن الكريم وسوره، يقول:

الحمدُ للهِ ماتوا بَعْدَ أَنْ تَرَكُوا فَضْلاً على النَّاسِ في الأَدْنَى وفي البَعَدِ

وخَلَّفُوا بَعْدَهُمْ ذِكْرَى مُعَطَّرَةً وسِيرَةً لَمْ تَدَعْ نَقْداً لِمُنْتَقِدِ

كانُوا كمِثْلِ كِتَابِ اللهِ في سُوَرٍ أو مِثْلِ آياتِهِ في الكَيْفِ والعَدَدِ

أَتَى الزَّمانُ على الآياتِ فانْدَثَرَتْ وَخَلَّفُوني كبَعْضِ الآي في الصَّمَدِ

أَعْنِي وحيداً فلا أَهْلٌ ولاسَكَنٌ ولم يَعُدْ أَحَدٌ مثلي ولَمْ أَعُدِ

وتعد مشاهد الرثاء عنده آية من آيات الإبداع، من ذلك تصوير مشهد وفاة أم إسماعيل:

وأَتَي الحينُ ... وَخَفَّتْ للنَّوى بَعْدَ أَنْ أَدَّتْ صلاةَ المُؤمنينْ

رتَّلَتْ ثم دَعَتْ ثُمَّ غَفَتْ ثُمَّ نَامَتْ في حِمَى اللهِ الأَمِينْ

نومةٌ كانتْ مُناها ... ياتُرَى ضَمَّتِ الغالي إلى الصَّدْرِ الحَنُونْ

ياشهيدَ الطِبِّ في الحُضْنِ اسْتَرِحْ واستريحي دُرَّةَ المُسْتَشْهِدِينْ

شَفَّها الغالي حنيناً فَقَضَتْ وكِرامُ الطَّيرِ يُرْدِيها الحنينْ

والتقى الاثنانِ في دارِ الرِّضى لم يَعُدْ بَيْنٌ ولاعادتْ شُجُونْ

في جَنَابٍ يَحْتَوِيهِمْ طَاهِرٍ كالبَقِيعِ الطُّهْرِ ضَمَّ الطَّاهِرِينْ

وفي مقارنة الشاعر بين حضارة الغرب وحضارة العرب في مشهد بديع، يصور حضارة الغرب التي أخذت بأسباب التقدم والرقي، بينما نجد حضارة العرب تتغنى بأمجاد الماضي، يقول:

أَتى عَلى الشَّرْقِ حِيْنٌ وَهْوَ في سِنَةٍ ... وَأَعْيُنُ الغَرْبِ لَمْ تَغْفَلْ ولَمْ تَنَمِ
كُنَّا بني الشَّرْقِ لِلدُّنْيَا أَساتِذَةً ... وَالغَرْبُ يَرْتَعُ كالقُطْعَانِ في الأَجَمِ
مَا بَالُنَا قَدْ تَخَلَّفْنَا وَهُمْ دَرَجوا ... إلى مَجَالٍ بِرُوحِ السَّبْقِ مُتَّسِمِ
هُمْ فَجَّروا الذَّرَّةَ الصَّمَّاءَ واكْتَشَفُوا ... سِرَّ الوجُودِ فَأَضْحَى غَيْرَ مُنْكَتِمِ
وَانْسَابَتِ الطَّاقَةُ العَشْواءُ جَامِحَةً ... لولا شَكَائِمُ مِنْ قَيْدٍ ومِنْ لَجَمِ
وأَرْسَلُوها صَوَاريخاً مُزَمْجِرَةً ... إلى فَضَاءٍ بآي اللهِ مُزْدَحِمِ
وَضَاقَتِ الأَرْضُ إِعْجَازاً بما صَنَعُوا ... فَجَاوزُوها إلى الأَفْلاكِ والسُّدَمِ
تَسَّورُوا مَعْقِلَ الجَوْزَاءِ واقْتَحَمُوا ... مَدَارَةَ الشَّمْسِ واجْتَاحُوا حِمَى النَّجِمِ
رَوَائعُ العِلْمِ في عَصْرِ الفَضَاءِ غَدَتْ ... شَمَّاءُ تَهْزَأُ بالتِّمْثالِ وَالهَرَمِ

هذه بعض المشاهد التصويرية في شعر أحمد عبد المجيد التي توضح أصالة فكره وعمق خياله وقدرته على تصوير المشاهد الحسية والعقلية بأسلوب بياني فريد.

٤. الإيقاع الموسيقي:

تتعدد تعريفات الإيقاع بتعددها في المعارف والفنون، ففي مجال الإبداع الأدبي يختلف مفهوم الإيقاع باختلاف الأنواع الأدبية التي يقع فيها، أما في الإبداع الشعري فيُقصد بالإيقاع الموسيقى الخارجية والداخلية، ومرادهم بالموسيقى الخارجية توافق الإبداع الشعري مع أوزان الشعر التقليدية، مع الالتزام بوحدة القافية، أما الموسيقى الداخلية فمرادهم منها: الانسجام الصوتي بين الحروف والكلمات، وطريقة

الشاعر في تنظيم الجمل وتنسيق العبارات؛ لتلائم بجرسها ووقعها وحسن تنسيقها مايعبر عنه الأديب من مشاعر وأحاسيس، ومايوظفه من محسنات لفظية أو معنوية.

وقد أدرك النقاد قديماً وحديثاً هذه المكانة التي تتسم بها الموسيقى في الإبداع الشعري، يقول ابن رشيق: «الوزن أعظم أركان حد الشعر وأولاها به خصوصية، وهو مشتمل على القافية، وجالب لها ضرورة»(١).

وفي النقد الحديث كثير من الأقوال التي تبرز مكانة الموسيقى في الإبداع الشعري، من ذلك قولهم: «الموسيقى هي لغة العواطف والوجدان، ولنغماتها درجات من الشدة أو الضعف، واللين أو القوة، والسرعة أو البطء، ونحو ذلك من الصفات التي تصحبها آثار وجدانية، وألوان عاطفية، من نشاط أو فتور، وحزن أو سرور، وثبات أو اضطراب، إلى غير ذلك من أنواع اليقظة النفسية التي تجيء عن طريق حاسة السمع والحواس الأخرى التي تتصل بها وتتأثر بمؤثراتها وتدور في فلكها»(٢).

وقولهم أيضاً: «وللشعر نواح عدة للجمال، أسرعها إلى نفوسنا مافيه جرس من الألفاظ، وانسجام من توالي المقاطع، وتردد بعضها بقدر معين منها، وكل هذا هو مانسميه بموسيقى الشعر»(٣).

و«لايوجد شعر بدون موسيقى يتجلى فيها جوهره الزاخر بالنغم، موسيقى تؤثر في أعصاب السامعين ومشاعرهم بقواها الخفية التي تشبه قوى السحر، قوى تنشر في نفوسهم موجات من الانفعال يحسون بتناغمها معها»(٤).

---

(١) العمدة: ١/ ١٢٤

(٢) الأصول الفنية للأدب: ٢٠

(٣) موسيقى الشعر: ٨- ٩

(٤) فصول في الشعر ونقده: ١٤٠

وليست الموسيقى الشعرية «تطريباً فحسب، بل هي وسيلة من وسائل التعبير والإيحاء، لاتقل أهمية عن التعبير اللفظي بل لعلها تفوقه»[1].

وقد ذهب الرمزيون إلى «أن الشعر موسيقى قبل كل شيء، وأن العنصر الموسيقي فيه يبذ في الأهمية المعاني والعواطف والصور الشعرية ذاتها، باعتبار أن الموسيقى هي أقوى أداة للإيحاء، والشعر عندهم إيحاء أكثر منه تعبيراً لغويًّا صريحاً واضحاً»[2].

وتأتي القافية بمثابة فواصل موسيقية يبتهج المتلقي بتكرارها بطريقة منتظمة، لأن الشعر لن يبلغ مراتب الجودة والكمال«مالم يلتئم ويترابط بتلك النقرة الصوتية المتكررة، والتي تبدو وكأنها زمام لولاه لظل الشعر مسيباً لايستطيع أن يتماسك، بل سيظل مندفعاً بلا نظام كوهم رتيب لانهاية له»[3].

و«وراء هذه الموسيقى الظاهرة موسيقى خفية تنبع من اختيار الشاعر لكلماته، ومابينها من تلاؤم في الحروف والحركات، وكأن للشاعر أذناً أخرى داخلية وراء أذنه الظاهرة»[4]، وينبع هذا الانسجام الداخلي والصوتي «من هذا التوافق الموسيقي بين الكلمات ودلالاتها حيناً، أو بين الكلمات بعضها وبعض حيناً آخر»[5].

وهذه الموسيقى الداخلية تحكمها القيم الصوتية الداخلية المكونة من: همس الحروف، وأصوات الألفاظ، ونغم المقاطع، التي تعبر عن الحالة النفسية للمبدع، واختيار الكلمات الدالة بجرسها عن أحاسيسه، فضلاً عن كون هذه الموسيقى تتمشى مع الأفكار، وتتساوق مع المعاني، وتتجاوب مع حالات النفس الإنسانية ومشاعرها[6].

---

(١) الشعر المصري بعد شوقي: ٣/ ٣٨٥

(٢) البناء الفني للقصيدة العربية: ٢٨

(٣) الشعر كيف نفهمه ونتذوقه: ٤٥

(٤) في النقد الأدبي: ٩٧، د. شوقي ضيف

(٥) الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية: ٢٨٣

(٦) دراسات في الأدب المعاصر: ٣٢

وهذا الانسجام بين الكلمات ودلالاتها، والجمل وأساليبها، يعد ميداناً رحباً لتفاضل الأدباء والشعراء في تنسيق ما يعبرون عنه من مشاعر وأحاسيس، وهذا الإيقاع النغمي لايعتمد على تقطيعات البحور أو التفاعيل العروضية، بل هو أشق من توفيرها بكثير؛ «لأن الإيقاع يختلف باختلاف اللغة والألفاظ المستعملة ذاتها، في حين لايتأثر الوزن بالألفاظ الموضوعة فيه، تقول «عين» وتقول مكانها«بئر»، وأنت في أمن من عثرة الوزن، أما الإيقاع فهو التلوين الصوتي الصادر عن الألفاظ المستعملة ذاتها، فهو أيضاً يصدر عن الموضوع، في حين يفرض الوزن على الموضوع، هذا من الداخل، وهذا من الخارج »[1].

وليس الإيقاع الصوتي حلية يُستغنى عنها؛ إذ لاغنى للوجدان أن يعبر عن نفسه من خلال هذا الإيقاع، وتأثيره أسبق إلى نفس المتلقي من الجملة الغنائية؛ ولهذا اعتمد الكهان في الجاهلية على السجع؛ لمعرفتهم مدى تأثيره على نفس المتلقي وميله نحوه[2].

وبعد هذا كله لاتنفصل الموسيقى عن التجربة الشعرية؛ لأنها ليست شكلاً خارجيًّا تُصب فيه التجربة، وإنما هي وسيلة من أقوى وسائل الإيحاء وأقدرها على التعبير عن خفايا النفس، ويعد البارودي في العصر الحديث أول من «تمثَّل موسيقى شعرنا القديم تمثلاً رائعاً، إذ مضى يتزود تذوداً خصباً بدواوينها الممتازة، ومازال يتزود حتى انطبعت تلك الموسيقى في نفسه بكل خصائصها ومقوماتها مستعيناً في ذلك بحس رقيق وذوق دقيق»[3].

(١) الأسس الجمالية في النقد العربي: ٣٧٤

(٢) اللغة الشاعرة: ٣

(٣) البارودي رائد الشعر الحديث: ٢٠٦

وقد ظهر أثر البارودي واضحاً في شعر شوقي الذي كان بارعاً هو الآخر في إبداع موسيقاه الداخلية والخارجية، يقول الدكتور شوقي ضيف في ذلك: «ولاأبالغ إذا قلت إنني لاأستمع إلى قصيدة طويلة لشوقي حتى أخال كأنني أستمع حقًّا إلى (سمفونية) فموسيقاه تتضخم في أذني وأشعر كأنها تتضاعف، وكأن مجاميع من مهرة العازفين يشتركون في إخراجها وفي إيقاع نغماتها، ولاأرتاب في أن ذلك يرجع إلى ضبطه البارع لآلآت ألفاظه وذبذباتها الصوتية، وليست المسألة مسألة حذق أو مهارة فحسب، بل هي أبعد من ذلك غوراً، هي نبوغ وإلهام وإحساس عبقري بالبناء الصوتي للشعر»[1].

ولاشك أن شاعرنا قد تأثر بذلك في شعره، لأنه كان يحفظ معظم شعر شوقي إن لم يكن كله، ولابد أنه تأثر به بشكل كبير في موسيقاه الخارجية والداخلية، وأول سمات ذلك اعتماده على الأوزان التقليدية، وإذا كان لايمكننا حصر نسبة توظيفه للبحور الشعرية قبل جمع ديوانه كاملاً، فإننا من خلال النظر فيما وصلنا من إبداعه نجد أبرز البحور التي وظفها هي الطويل والكامل والبسيط، هذه الأبحر الثلاثة لها الغلبة فيما وصلنا من إبداعه، يليها بحران هما الخفيف (أربع قصائد) والرمل (ثلاث قصائد)، ثم يأتي بحران آخران هما الرجز والمتقارب لكل منهما (قصيدة واحدة)، وكل إبداعه عمودي، باستثناء صور قليلة للتجديد في قوافي بعض قصائده التي كانت تُنشد في المناسبات العلمية والاجتماعية.

أما البحر الطويل الذي شاع في شعره فله فيه عدة قصائد في أغراض متعددة منها في الشعر الديني قصيدة: يارب، وفي الشعر الاجتماعي قصائد: في عيد الأم، والبؤس(المترجمة)، وفي شعر الرثاء قصيدة: رثاء ابني إسماعيل، وفي شعر الوصف قصائد: عيد الربيع، والمنصورة (جزيرة الورد عروس النيل).

(١) شوقي شاعر العصر الحديث: ٤٤

ويعد البحر الطويل من البحور الشائعة في الشعر القديم حيث نظم فيه القدماء مايقرب من ثلث الشعر العربي، وكانوا يؤثرونه على غيره، ويتخذونه ميزاناً لأشعارهم، وهو يتناسب وجلال مواقف المفاخرة والمهاجاة والمناظرة، «ولأمر ما فضل الشعراء الأوَّلون بحر الطويل على غيره في باب القصص المتصل بماضيهم وأخبارهم وأساطيرهم وملاحم قبائلهم في الأزمان السالفة، فإن حظه من ذلك هو الأوفر بالنسبة إلى غيره من البحور، ومنحى الشعراء فيه يناسب معاني التغني بجلالة الماضي، وعنصر القصص والنعت فيه من الطراز الذي يدعو السَّامع لأن يُصْغي ويتفهم قبل أن يهتزّ ويرقُص»[1].

وقد أخذ الطويل من حلاوة الوافر دون انبتاره، ومن رقة الرَّمَل دون لينه المُفْرط، ومن ترسل المتقارب المحض دون خفته وضيقه، وسلم من جلبة الكامل، وكزازة الرجز، وأفاد الطُّول أُبَّهةً وجلالةً، فهو البحر المعتدل حقًّا، ونغمُه من اللطف بحيثُ يخلُص إليك وأنت لاتكادُ تشعرُ به، وتجد دَنْدَنَتَهُ مع الكلام المصُوغ فيها بمنزلة الإطار الجميل من الصُّورة، يزينُها ولايشغل الناظر عن حسنها شيئاً، والطويل في هذه الناحية يخالف سائر بحور الشعر، هو أطلق عناناً وألطف نغماً حتى من البسيط الذي يشاركه في الطول والأُبَّهَةِ والجلالة، لأن أصل الطويل متقاربي، وأصل البسيط رجزي، ولايكاد وزن رجزي يخلو من الجَلَبة مهما صفا[2].

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: ١/ ٤٥٠

(٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: ١/ ٤٤٣- ٤٤٤، بتصرف.

ويظهر هذا التوظيف الجميل للبحر الطويل في مناجاة شاعرنا للمولى سبحانه في قصيدته يارب، حيث لايشعر القارئ بالوزن وصخبه وجلبته، لأنه يظهر كإطار جميل حول هذا المشهد الإيماني، يقول الشاعر متسائلاً:

أَتَقْضِي مَعِي إِنْ حَانَ حَيْنِي مَعَارِفِي ... وما حُزْتُها إِلَّا بِصَبْرٍ على صَبْرِ

ويُحْزِنُنِي أَلَّا أُوَرِّثُها كما ... يُوَرَّثُ لِلأَبْناءِ ما حَازَهُ غَيْرِي

ويارَبُّ ماذا بَعْدَ هذا مَصِيرُنا؟ ... وحَقُّكَ ما أَدْرِي فَأَنْتَ الَّذِي تَدْرِي

وما مِنْ مَصِيري كانَ ذُعْرِي وَإِنَّما ... مَصِيرُ حَشاشاتِي يُسَبِّبُ لي ذُعْرِي

أَخافُ عليهم عَثْرَةً في حَياتِهِمْ ... بها خَيْلُهُمْ تَكْبُو على مَسْلَكٍ وَعْرِ

ويَهْدَأُ قَلْبِي بَعْدَ خَوْفِي لِأَنَّنِي ... تَرَكْتُ إِلَيْكَ الأَمْرَ يا صَاحِبَ الأَمْرِ

وفي حُضْنِكَ الواقِي الحِمايَةُ فاحْمِهِمْ ... وَأَسْبِلْ عَلَيْهِمْ مِنْ عَطائِكَ بالسِّتْرِ

فلايكاد القارئ يشعر بوزن بحر الطويل في الأبيات، لأنه يظهر كالإطار الخارجي الذي يزين الصورة ولايؤثر في محتواها، مما يدفع إلى التركيز في مشاهدها والانفعال بمضمونها.

أما بحر الكامل الذي شاع (أيضاً) في شعره فله فيه عدة قصائد في أغراض متعددة منها في الشعر الديني قصيدتان، هما: ذكراك ياطه، وفي ذكرى الهجرة، وفي المدح قصيدتان، هما: يشرف في مديحك منطقي، وأعياد عمرك (من مجزوء الكامل)، وفي الرثاء قصيدة: عبرة الإخلاص ودمعة الوفاء، وفي الغزل قصيدتان: صفاء، وصفاء ياحبيبتي، وفي الإخوانيات قصيدة: أمل جنين الغيب.

وبحر الكامل من البحور التي تتوافق مع العديد من الأغراض؛ لأنه مفعم بالموسيقى، ويحمل كل العواطف المحتدمة في طبيعة الإنسان، وهو«أكثر بحور الشعر جَلْجلةً

وحركاتٍ، وفيه لونٌ خاصٌّ من الموسيقا يجعله (إن أُريد به الجدُّ) فخماً جليلاً مع عنصر ترنميٍّ ظاهر، ويجعله إن أريد به إلى الغَزَلِ ومابمجراه من أبواب اللِّين والرقة حلواً مع صلصلةٍ كصلصلة الأَجْراس، ونوعٍ من الأُبَّهة يمنعه أن يكون نَزِقاً أو خفيفاً شهوانيًّا، وهو بحر كأنما خلق للتَّغنِّي المَحْضِ سواءٌ أَأُريد به جدّ أم هَزْلٌ، ودندنة تفعيلاته من النوع الجهير الواضح الذي يهجُم على السامع مع المعنى والعواطف والصور حتى لايمكن فصله عنها بحال من الأحوال، ولهذا السبب فإن الشعراء المتفلسفين أو المتعمِّقين في الحكمة وما إلى ذلك من ضُروب التأمُّل قل أن يُصيبوا فيه أو ينجحوا، ذلك بأن الحكمة والتأمل (مهما كانت مناسبتُها) يحتاجان إلى هُدوء وتُؤَدة، وفي النظم خاصة يحتاجان لأن يكون نَغَمُ الوزن شيئاً مُنزوياً يصل إلى الذِّهن من غير ماجلبة ولاتشويش، وكأنه إطار للكلام الموضوع فيه، لاجزء هام من صورته ورسمه»[1].

ومن توظيف الشاعر للبحر الكامل بموسيقاه المترنمة المفعمة بالحركات، قوله في مديح المصطفى ﷺ:

يا أصدق الرُّوَّادِ هَوَّنْتَ السُّرَى	وَهَدَيْتَ من ضَلُّوا سبيلَ رَشَادِ
نَبَّهْتَهُمْ من بعد طُولِ سُباتهم	وبعثتَهم في زُمْرَةِ الأمجادِ
قد كانت البغضاءُ ملءُ صُدورهم	فاعتضتَ من بغضائهم بوادِدِ
أَسَّسْتَ من أخلاقهم بقواعدٍ	ورفعتَ من بُنيانهم بعمادِ
وأتيتَ بالقُرآنِ مبعثِ هديهم	من بعد ما عكفوا على الأوتادِ
آياتُهُ الشمسُ التي قد أشرقتْ	فمحت ظلام الشِّرْكِ والإلحادِ

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: ١/ ٣٠٢- ٣٠٣

لغةٌ هي الفصحى بحسبك أَنَّها ... رغم القرون قشيبةَ الأَبرادِ
إن الذي صاغ اللغات محاسناً ... جعل الجمالَ وَسِرَّهُ في الضَّادِ
اللهُ أكرمَ أُمةً بشمائلٍ ... أُوتِيتَها تربو على التَّعْدَادِ
أدبٌ وإيمانٌ وقلبٌ مشفقٌ ... ويُريك قلبَ اللَّيثِ يومَ جلادِ
وأمانةٌ وقناعةٌ وتواضعٌ ... في هِمَّةٍ وعَزِيمةٍ وسَدَادِ
نفدتْ بُحور المادحينَ خلالَهُ ... وخلالُهُ ظلَّتْ بغيرِ نَفَادِ
قد حاول النُّقادُ تجريحاً لها ... فتمثَّلَتْ عذراءَ للنُّقادِ
وبهذه الشِّيمِ الوِضَاءِ تَعَلَّقَتْ ... بهوى النبيِّ حواضرٌ وبوادي
وحماه أصحاب أَعَزُّ عليهمُ ... يومَ الوغى من فَلْذَةِ الأكبادِ

أما بحر البسيط فله فيه عدة قصائد (أيضاً) في أغراض متعددة منها في الشعر الاجتماعي قصيدتان، هما: في منظمات الشباب، وفي جامعة عين شمس، وفي شعر الرثاء قصائد: عبرات التأبين، وأنا أرثي لك قبل الأربعين، وعشت في همي عليك الأربعين، ورثاء أمي، وإليك ياشريكة حياتي في جنة الله.

والبحر البسيط من أطول بحور الشعر العربي، وأعظمها أبَّهة وجلالةً، وإليه يعمد أصحاب الرصانة، وفيه يفتضح أهل الرَّكاكة والهُجْنة»[1].

ومن توظيفه للبحر البسيط برصانته وأبهته، قصيدته في جامعة عين شمس:

يَا صَفْوَةَ النَّاسِ أَخْلاقاً وَمَعْرِفَةً ... وَقُدْوَةَ النَّاسِ في الإِيْثَارِ وَالكَرَمِ
بِمِثْلِكُمْ تَهْتَدِي الدُّنْيَا لِغَايَتِها ... وَتَسْتَقِيمُ على مِنْهَاجِها التَّمَمِ

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: ١/ ٤٤٣، بتصرف.

وَرِثْتُمُ أَنْبِيَاءَ اللهِ في جَلَدٍ ... على الجِهَادِ ومَصْدُوقٍ مِنَ الهِمَمِ

مَنْ يَـخْلُقُونَ الرِّجَالَ الخَالِقِينَ لها ... يَسْتَشْرِفُونَ مِنَ العُلْيَا على القِمَمِ

وَلَيْسَ يَعْدِلُ ذُو عِلْمٍ يُعَزُّ بِهِ ... مَنْ بَاتَ يَعْكُفُ مِنْ جَهْلٍ على صَنَمِ

حَقِيقَةٌ خَلَّدَ التَّنْزِيلُ حِكْمَتَها ... وَسَطَّرَتْهَا يَدُ التَّاريخِ مِنْ قِدَمِ

باسْمِ الَّذِي أَنْزَلَ «اقرأْ» خَيْـرَ فاتِـحَةٍ ... وبِاسْمِ مَنْ عَلَّمَ الإِنْسَانَ بِالقَلَمِ

باسْمِ العَلِيمِ وحَسْبُ العِلْمِ تَكْرُمَةً ... بِأَنَّهُ صِفَةٌ للهِ ذِي النِّعَمِ

بِكُمْ سَنَلْحَقُ بِالرَّكْبِ الأُولى سَبَقُوا ... وَنَسْتَرِدُّ زِمَامَ السَّبْقِ في الأُمَمِ

اليَوْمَ نُرسِي عَلاقَاتٍ مُوَطَّـدَةً ... مِنَ التَّعارُفِ والحُسْنَى عَلَى دَعَمِ

عَامٌ بَدَأْنَاهُ بالإِقْبَالِ في أَمَلٍ ... حَقِّقْهُ يَا رَبِّ وامْنَحْ حُسْنَ مُخْتَتَمِ

أما بحر الخفيف فله فيه أربع قصائد في أغراض متعددة منهـا في الرثـاء قصـيدتان، هما: في رثاء جمال عبد النـاصر، وفي رثـاء أم كلثـوم، وفي المـدح قصـيدة: محمـد عـلي الكبير، وفي الوصف قصيدة: سبحة الربيع في مهرجانه.

والبحر الخفيف على قصـره نمط عسـير، لأن صـدره يختلـف عـن عجـزه، وهـذا الاضطراب غير مرغوب فيه عند الشعراء، وهو يجنح صـوب الفخامـة، وهـذا النعـت ينطبق عليه إذا قسناه إلى جنب السـريع والأحذِّ والمنسـرح، أمـا إذا وازنـاه بالطويـل والبسيط فهو دونهما في ذلك، والسر في فخامته بالنسبة إلى البحور التي ذكرناهـا أنـه واضح النغم والتفعيلات، وقد كان كثير الاستعمال بين شعراء ربيعـة والحـيرة، قلـيلاً بين شعراء مضر المغاربة، ولعل صلة هذا البحـر القويـة بـالحيرة هي الـتي هيأتـه لأن يصلح للغناء والترقيق، لأن الحيرة كانت مدينة الحضـارة في الجاهليـة، وصـار البحـر الخفيف من بحور الشعر المقدمة عند شعراء الحجاز في العصـر الإسـلامي، بـل صـار

البحر الأول بلا ريب، ثم جاء ابن أبي ربيعة وأضرابه فأكثروا من هذا البحر، واتخذوا من وزنه الرصين القوي مركباً لكلامهم الناعم المرقق فأكسبه موسيقا حية[1].

ومن شعره في البحر الخفيف بنغمه الفخم الواضح، وصلاحيته للغناء قصيدته في رثاء أم كلثوم، يقول فيها:

يا ابنةَ النِّيلِ كُنْتِ للجيلِ رِيًّا ... أَيُّ رِفْدٍ في رِيفِهِ أَرْوَاكِ؟

لَسْتُ أَدْري سَقَاكَ منهُ فُراتاً ... أَمْ تُرَاهُ مِنْ خَمْرِهِ قد سَقَاكِ؟

رَبَّةَ الصَّوْتِ من مَقَامٍ عَلِيٍّ ... ما اعْتَلَتْهُ صَدَّاحَةٌ إلاكِ

هَزَّ مِنْ بَعْدِهِ قُلُوبَ بني الأَرْضِ ... فَطَارَتْ وَحَوَّمَتْ في سَمَاكِ

نَغَمٌ كالشِّرابِ طابَ بلا غَوْلٍ ... وكالوَرْدِ دُوْنَ ما أَشْواكِ

نَغَمٌ أَطْرَبَ الطُّيورَ فحاكَتْهُ ... وَراحَتْ تَهْتَزُّ منه المَزَاكِي

. . . . . .

رَبَّةَ الصَّوْتِ مِنْ مَقَامٍ عَلِيٍّ ... ما اعْتَلَتْهُ صَدَّاحَةٌ إلَّاكِ

هَزَّ مِنْ بَعْدِهِ قُلُوبَ بَنِي الأَرْضِ ... فَطَارَتْ وَحَوَّمَتْ في سَمَاكِ

نَغَمٌ طَابَ كالشَّرابِ بلا غَوْلٍ ... وكالورودِ دُونَ ما أَشْواكِ

أينَ منَّا الصوتُ الذي قد شفانا ... نِصْفَ قَرْنٍ بِمُعْجِزاتِ لهاكِ

عشتِ فينا خمسينَ عاماً غِنَاءً ... تتداوى به القُلُوبُ الشَّواكي

كَمْ شَفَيتِ القُلُوبَ بالطَّرَبِ الحُلْوِ ... فَهَلَّا كما شَفَاهَا شَفَاكِ؟

---

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: ١/ ١٠١، ٢٣٨-٢٤٠، بتصرف

والضَّراعاتُ يا سَمَاءُ أَتاهَتْ عَنْكِ في الوَجْدِ، أَمْ صَدَاها أَتَاكِ ؟

أما بحر الرمل فله فيه ثلاث قصائد في الشعر الاجتماعي، هي: نشيد عيد العلم، وفي العيد القومي للدقهلية، وتهنئة بعيد القيامة.

«ونغم الرمل كأنما أُخِذ من المتقارب، ولا يخفى أن أصلَ هذا من ذاك، ومُوسيقا الرمل خفيفةٌ رشيقةٌ منسابةٌ وفيه رنَّةٌ يصحبُها نوع من العاطفة الحزينة في غير ما كآبة ومن غير ماوجع ولافجيعة، وهو صالح جدًّا للأغراض الترنمية الرفيعة وللتأمُّل الحزين، وينبو عن الصلابة والجد، ولهذا أكثر منه الغَزِلون أمثال ابن أبي ربيعة، وقد تعاطاه بعض العراقيين الذين كانوا ينظمون في الملاحم والأحداث، والشعر الغَزَلي يناسب الرَّمل أكثر من هذا النوع الملحمي، وما أظن الذين استعملوه من أصحاب الملاحم فعلوا ذلك إلا لخفَّةِ هذا الوزن وسهولته في الحفظ، فمن هنا أصابوا، ولكنهم خطئوا من حيث عدمُ مناسبة هذا الوزن لأغراضهم»(١).

ومن شعره في بحر الرمل بموسيقاه الخفيفة المنسابة قوله في تهنئة إحدى زميلاته النصرانيات بعيد القيامة، يقول:

عابدٌ ظَلَّ يُناجي في الضُّلُوعِ هَلْ لَهُ فِيمَنْ يُناجي مِنْ سَميع؟!

إِنَّه قَلْبِي وفي قَلْبِي حَياءْ يَتَوقَّى الجَهْرَ حَقًّى بالوَفَاءْ

هُوَ كالرَّاهِبِ عِنْدَ الصَّوْمَعَهْ صَامِتٌ في صَمْتِهِ ما أَوْجَعَهْ

دَقَّ كالنَّاقُوسِ في بُرْجِ الكَنِيسَهْ يا غريباً مُوحشاً يدعو أَنِيسَهْ

تَسْمَعُ العَـذْراءُ مِنْ آيـاتِهِ سُورةَ الإِخْلاصِ في دَقَّاتِهِ !!

والمَسِيحُ الطُّهْرُ كَشَّافُ الظَّلامْ بَارَكَ الحُبَّ ونادى بالسَّلامْ

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: ١/ ١٥٨- ١٦٥، بتصرف.

عِيْدُ مِيْلادِكَ يا عيسى قِيامَهْ أَنْحَنِي مِنْ أَجْلِ ليلاكَ أَمَامَهْ

فيكِ يا ليلايَ مِنْ نُورِ المَسِيحْ عَقْلُكِ اللَّمَّاحُ والوَجْهُ المَلِيحْ

اسْطَعِي كالشَّمْسِ في الصُّبْحِ الوَلِيدْ واهْنَئِي يا شَمْسُ بالعامِ الجَدِيدْ

أما البحر المتقارب فله منه قصيدة: شكر على عزاء، والرجز فله منه قصيدة: الفضل للسباق، وهما من الشعر الاجتماعي.

وقد كان للشاعر حساسية كبيرة في اختيار موسيقاه الداخلية والخارجية، لأنه كان يُلقي شعره في المناسبات المختلفة، وهذا الإلقاء يحتاج إلى نوع خاص من الموسيقى الداخلية والخارجية، وقد استمعت إلى إلقائه كثيراً، وكان إحساسه الموسيقي المتناغم أفضل مايميز هذا الإلقاء، بالإضافة إلى أنه كان يحفظ معظم مايلقيه من أشعار، وكان على رغم تقدمه في السن في قمة النشاط والحيوية، كما كان ملتزماً غاية الالتزام بمخارج الحروف، والضوابط اللغوية، ، والتناغم الصوتي، والانفعال المتوازن، وبذلك ندرك أن أحمد عبد المجيد كان متمكناً من أدوات فنه، وأنه وظف الأوزان الموسيقية بطريقة تناسب الأغراض المختلفة.

الخاتمة
أهمية جمع أشعار المنسيين

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد:

فأرجو أن أكون قد وفيت لهذا الشاعر شيئاً مما هو جدير به، ومما ألزمت نفسي به يوماً أمامه، وكم كنت أخاف أن ينقضي عمري قبل أن أفي بما وعدت، أسأل ربي سبحانه أن يقيض له من طلاب العلم من يقوم على جمع شعره كله بالتواصل مع أبنائه وأهله ومعارفه، ثم يُفَصِّلُ القولَ في دراسة حياته وشعره.

لقد كان أحمد عبد المجيد إنسانيًّا في شعره، كما كان إنسانيًّا في حياته كلها، حيث فرضت عليه نشأته في أسرة محبة للعلم متفانية في خدمته الالتزام بضوابط أخلاقية صارمة، وبعد أن تقلد عمله في التربية والتعليم قاده هذا العمل الشريف أن يكون إنسانيًّا في كل مايصدر عنه، لأن المعلم ليس له إلا أن يكون قدوة بين تلامذته وأبنائه، وقد كان رحمه الله مثلاً يُحتذى في كل مايصدر عنه.

وكان من أبرز العلامات المؤثرة في حياته والده الذي قاده إلى طريق العلم بحزم شديد على الرغم من حنوه البالغ عليه وعلى إخوته، وكان لهذه الشدة أثرها البالغ في حياته عندما كان صغيراً متعلماً، ولازمته وهو كبير في رحلته معلماً، حيث كان بالغ الحدة في تعليمه، يأخذ أبناءه إلي طريق العلم بالصرامة والحزم، فلا مجال عنده لشقاوة المتعلمين ولاهلاوس المشاغبين، فإذا مانبغ من طلابه أحد أعطى له الهدايا الجزيلة؛ يدفعه بذلك إلى مواصلة الجد والاجتهاد، أما جده الذي تولى رعايته بعد فقده لأبيه، فقد كان رجلاً من طراز فريد، حيث قام ببناء مدرسة لتعليم أبناء قريته «البستان»، وربى حفيده على الثقة بالنفس والاعتزاز بها والترفع عن الدنايا.

ويجب على شباب الباحثين أن يبحثوا عن أمثال هؤلاء الشعراء المنسيين أو المجهولين أو المغمورين، وأنا أثق أن منهم من هو أفضل من المشهورين الذين تربعوا

على الساحة واشتهروا بين الناس، أما شاعرنا المنسي أحمد عبد المجيد فإنه كان يُخلص لإبداعه كل الإخلاص لا يعنيه أن يقرأه أحد، كما لا يعنيه أن يُذكر أو يصنَّف بين الناس شاعراً، لأنه ماكان يكتب إلا مداواة لنفسه بالكتابة والتعبير، وقد جسد في شعره أسمى العواطف الإنسانية وأنبلها، وليته وجد من يحافظ على نتاجه، وأنا أعد من يُشمر عن ساعد الجد في جمع ديوانه أن أُيسِّرَ له مهمته بكل مامعي من نتاجه الذي أظن أنه أو بعضه ليس له وجود في مكان آخر!!! ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم، والحمد لله أولاً وآخراً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ملحق
وثائق ونماذج من سيرة الشاعر وأشعاره

أولا: وثائق من سيرة الشاعر:

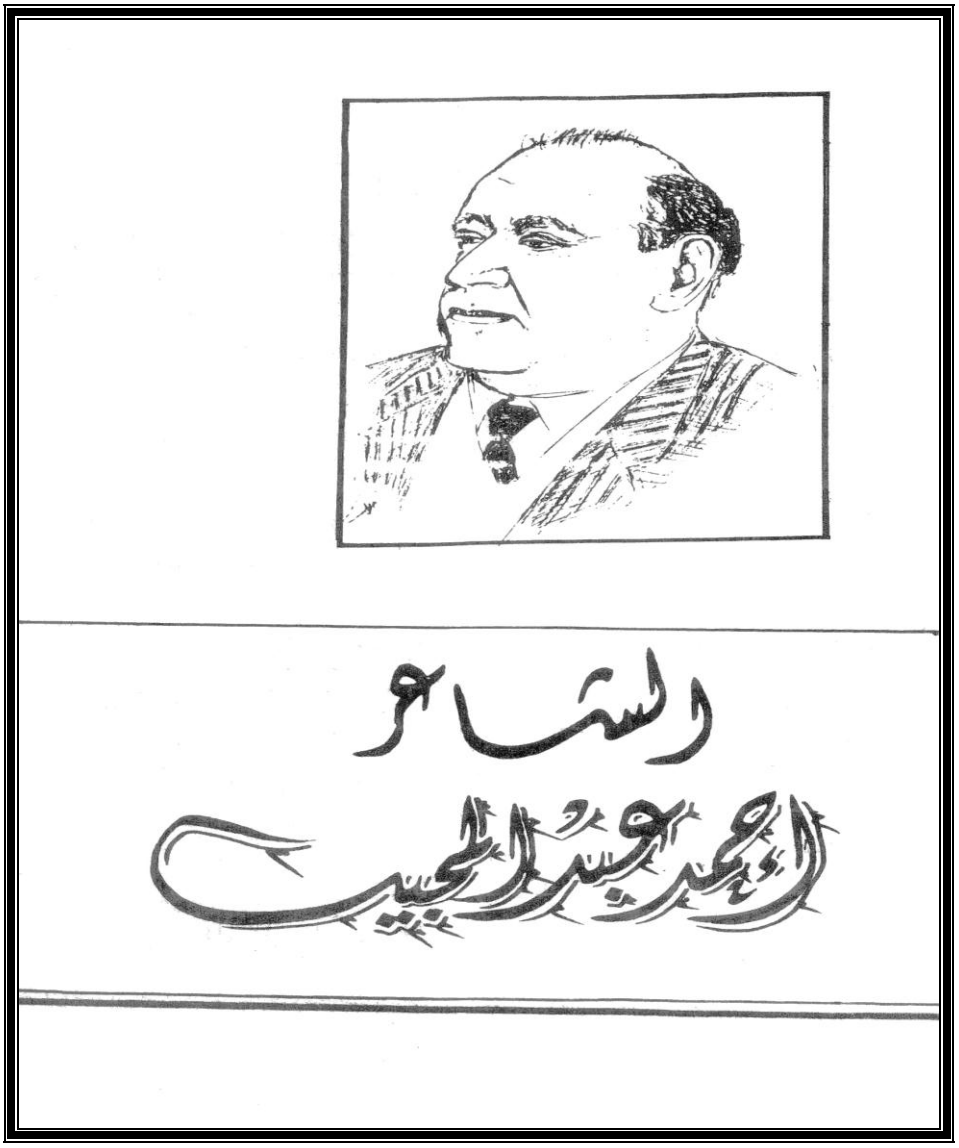

صورة الشاعر من كتاب: تحت شمس الشعر ص٣٤

ما أنت؟

"تقديم"

× يقولون لي: ما أنت في كل بدرة؟ وما ابتغى؟ "ما أبتغي جل أن يسمى"
(المتنبي)

أنا أحمد عبد المجيد السنهابي

في صباح السبت الرابع من يناير سنة تسع وتسعمائة والف، منذ الميلاد، ولدت في أكبر بيت من بيوت البلدة، في شقة أعلى فاتحة مدرسة الوطنية.

وفي سن السادسة بدأت أتعلم في المدرسة التي بنيتها لها الغربة.

وهي مشقة حرص والدي على تعليمنا. أذكر وأنا قبل سن الخامسة أنه فرض عليّ وجعلني لما أذهب إلى المدرسة، ومع أنه كان رفيقا بنا وحنانا، فقد ظهر عليه الغضب وجعلني أقوم بيده نحاتني على شيء من الأشياء، وذهبت إلى المدرسة. وقبل أن يقضي أسبوعان ألقى بي أمامه، وهو يقول: "لقد آن لك أن تعتمد على نفسك" وكان هذا أول درس حازم يلقاه سمعي في حياتي، ولعله أيضا كان أول الدروس التي انتفعت به، مع أنه كان موقوف (رحمة الله عليه) وأنا صغير في سن الخامسة؛ فإني ما أزال منتفعا به.

ثم انتقلت إلى مدرسة الشيخ محمد عباد، ثم إلى المعهد الديني، وأنا لا أزال غرا، زاد بأنه مفتش التعليم الشيخ عبد الحميد البكري، وبعد أن أدرك تقوى على تعهد العلم أبرمني، وأتى معي إلى منزلنا، وقال على الجد: إنه آن لهذا الغلام أن يأخذ مكانه العلم حتما، ليس إلا في الأزهر، وقد كان، وليست الطفولة والعمامة وأنا صغير، وحدث أن استوقفتني في الطريق سيدة معروفة بها جميلا، وقالت لي وهي تنظر إلى كمومتي وعمامتي: "مسكين، كبروا نفسك وأنت صغير"!

ولما وصلت إلى السنة الرابعة الابتدائية انتقلت إلى القسم الثانوي بالرغائبية، وبعد فحص في أواخر العام الدراسي كانت قد أعلنت وزارة المعارف عن اقتناص تجهيز نفر لدار العلوم والقضاء الشرعي، فتقدمت للاختبار للمسابقة، ولست أحد الذين تجهيزه فتقدم سيد كل الزيد تقدموا معي من الناحية، وانتظمت بالتجهيزية، حتى إذا كنا في أوائل السنة الدراسية الخامسة والأخيرة؛ هجمنا فاجعين الثورات الوطنية، وعطل بعض الزملاء على الأتراك لأصلهم، فضحت فيهم حماسة وباعلى صوتي: يا شباب الحمى وخير الصحابة أتقدرا مصر من نير الرقاب

وفوجئت في اليوم الثاني بمقام بفصلي فتحمدت ثلاثا أنا وثلاثة، ولم تجد المسألة والي ولدت فراعتنا، وأخيرا وبعد لأي سمح لنا في حجرات العام الدراسي بالبقية مع الخارجي لشراء الميكانوريا، وتقدمنا ونجحت وانتظمت بمدرسة دار العلوم وتخرجت فيها، وكانت الجمعية الخيرية الإسلامية قد وجبت على أن كنا مدرسة لمدرسة دار العلوم أوائل المتخرجين، وتأتي الوساطة حتى مع الأموات، فعينت بإحدى مدارسها

ترجمة الشاعر بخطه (١)

ترجمة الشاعر بخطه (٢)

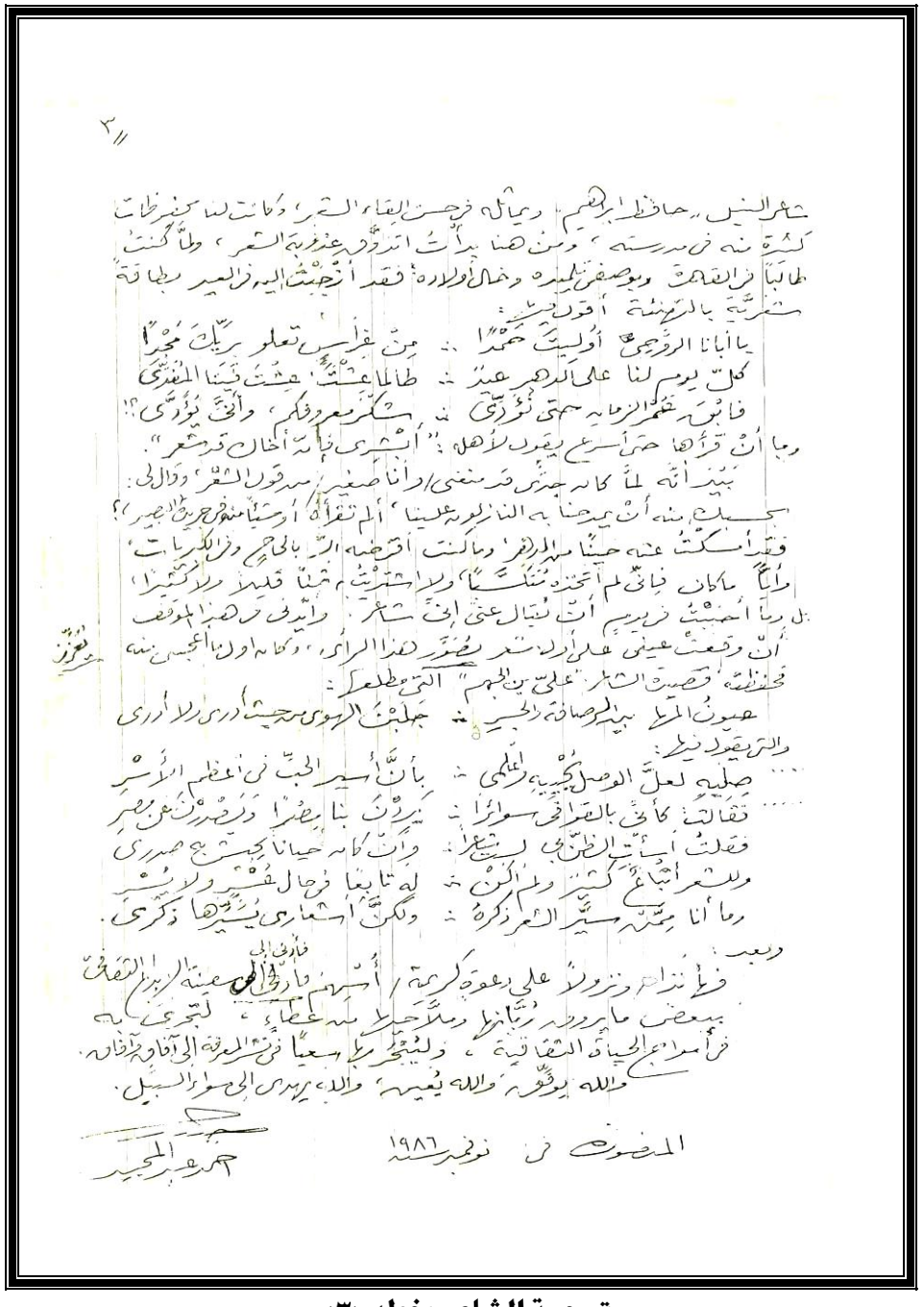

ترجمة الشاعر بخطه (٣)

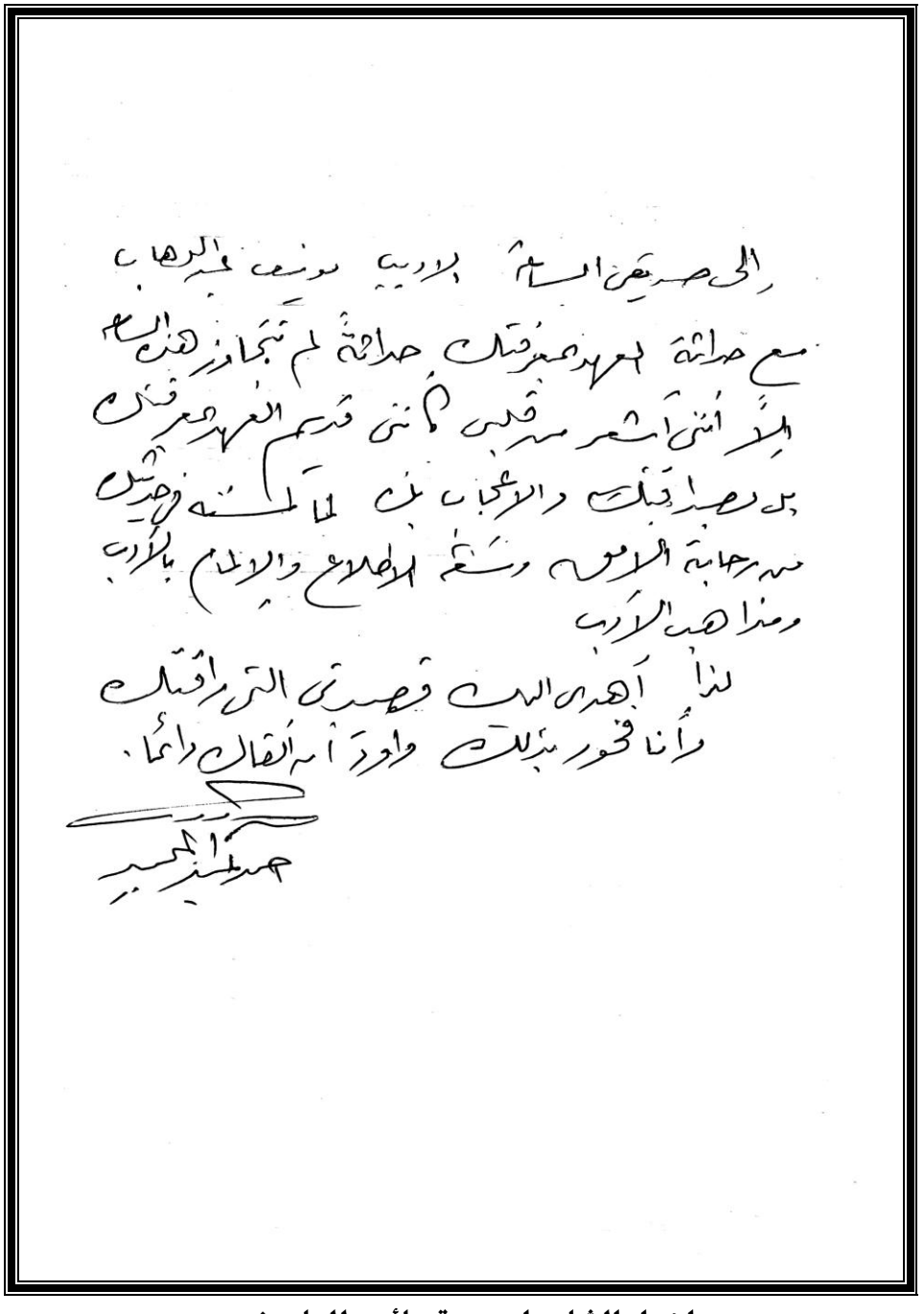

إلى صديقي الدكتور يوسف عبد الوهاب

مع صادق تعهد صديقك صداقة لم تجاوز لهذا الشعر
إلا أنني أشعر منذ قليل أنني قديم العهد صديقك
بل صديقك والأحباب بل لما لمسته فيك من
محبة الأدب وشغف الاطلاع والإلمام بالأدب
ومذاهب الأدب

لذا أهدي إليك قصيدتي التي أقتبلك
وأنا فخور بذلك وأرجو أن أنال رأيك.

محمد السيد

إهداء الشاعر إحدى قصائده للباحث.

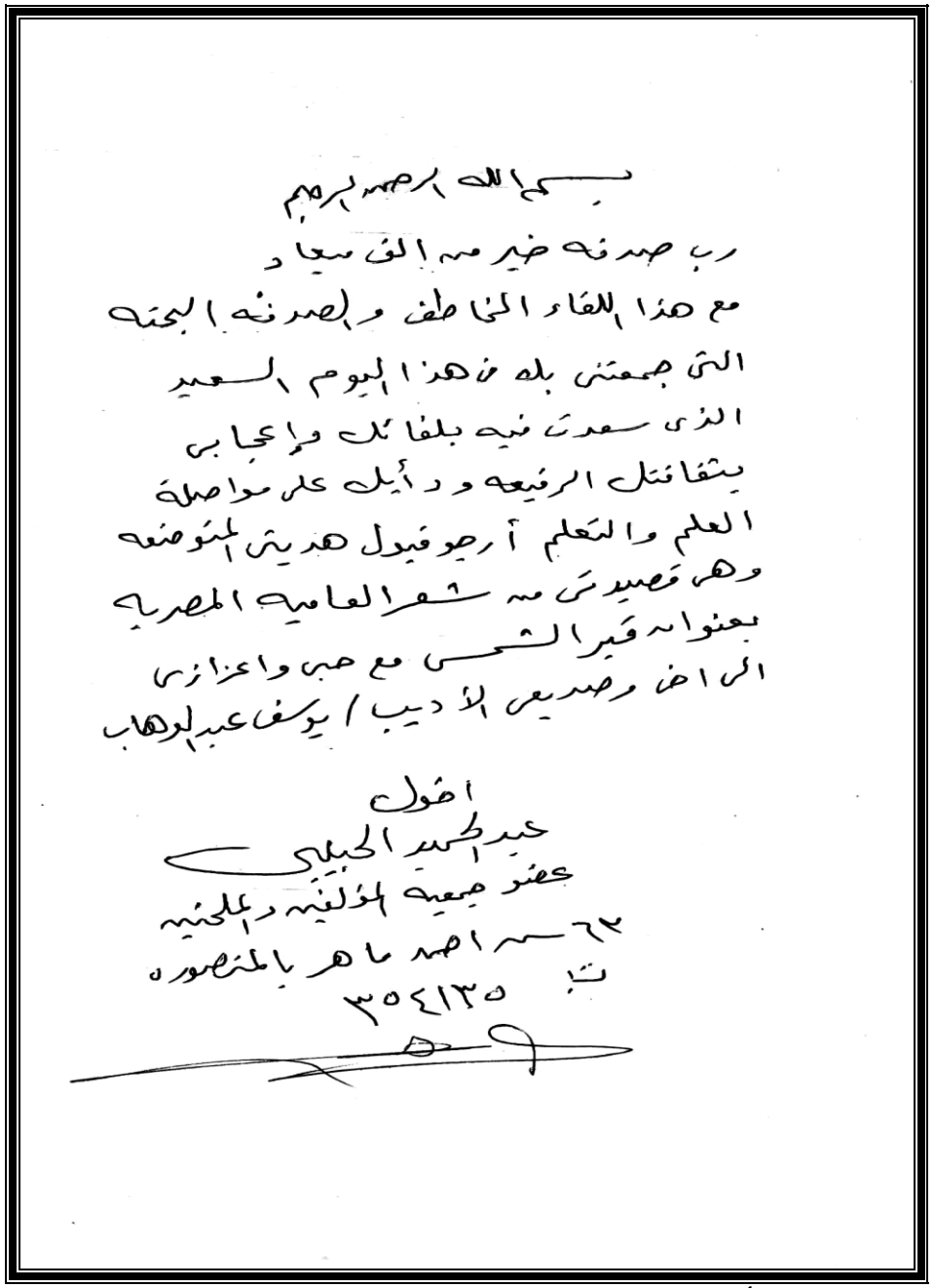

بسم الله الرحمن الرحيم

رب صدفة خير من ألف ميعاد

مع هذا اللقاء الخاطف والصدفة البحتة

التي جمعتني به في هذا اليوم السعيد

الذي سعدت فيه بلقائك وإعجابي

بثقافتك الرفيعة ودأبك على مواصلة

العلم والتعلم أرجو قبول هديتي المتواضعة

وهي قصيدتي من شعر العامية المصرية

بعنوان قيراشي مع حبي واعتزازي

لك أخي وصديقي الأديب / يوسف عبد الوهاب

أخوك

عبد الحميد الحبيبي

عضو جمعية المؤلفين والملحنين

٦٢ ش أحمد ماهر بالمنصورة

ت: ٣٥٤١٣٥

إهداء الأستاذ: عبد الحميد الحبيبي إحدى قصائده للباحث.

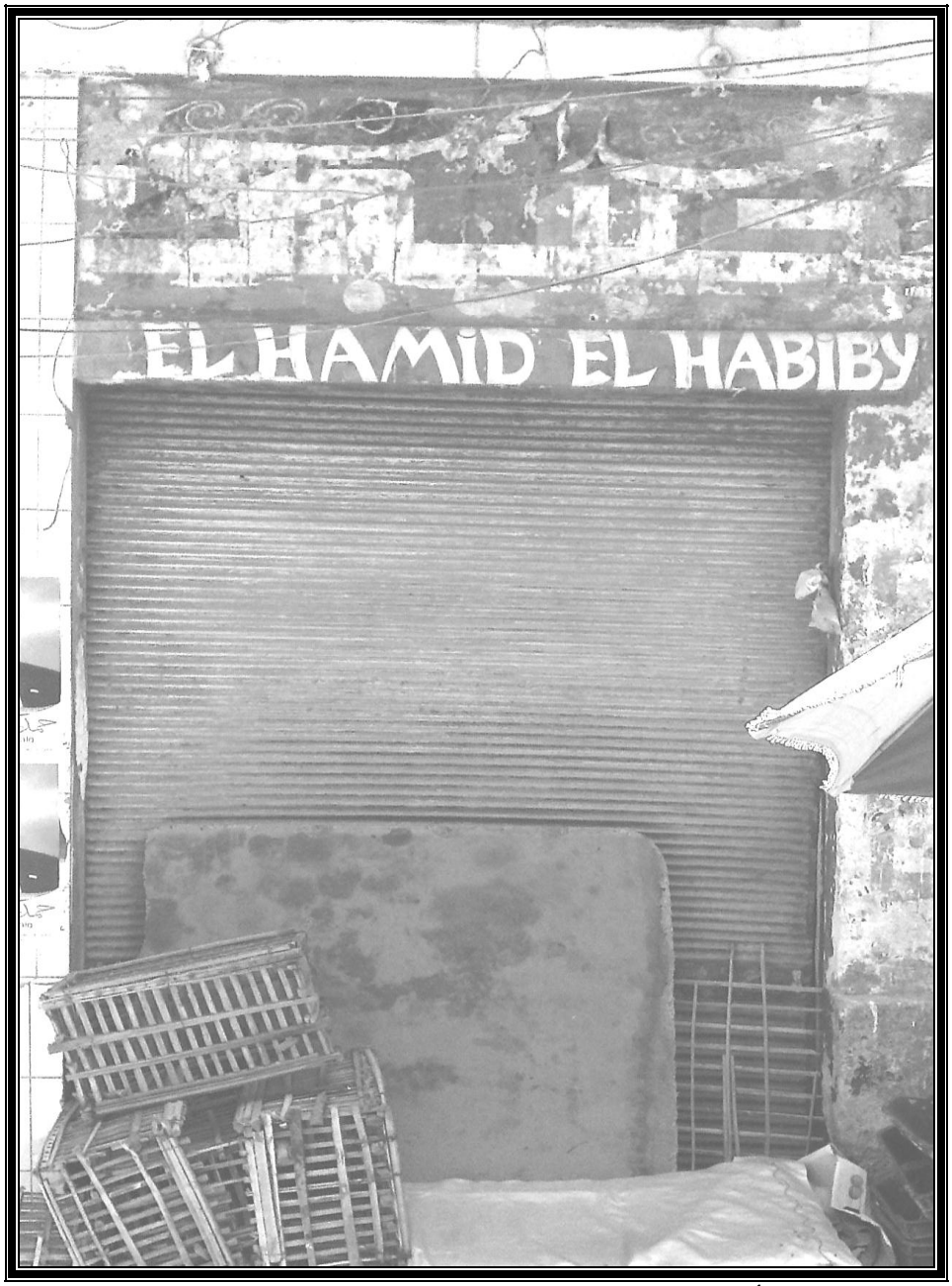

محل الخياطة للأستاذ: عبد الحميد الحبيبي في شارع الثانوية بمدينة المنصورة الذي شهد أول لقاء لي بالشاعر وقد ساء حاله بعد وفاة صاحبه (رحمه الله).

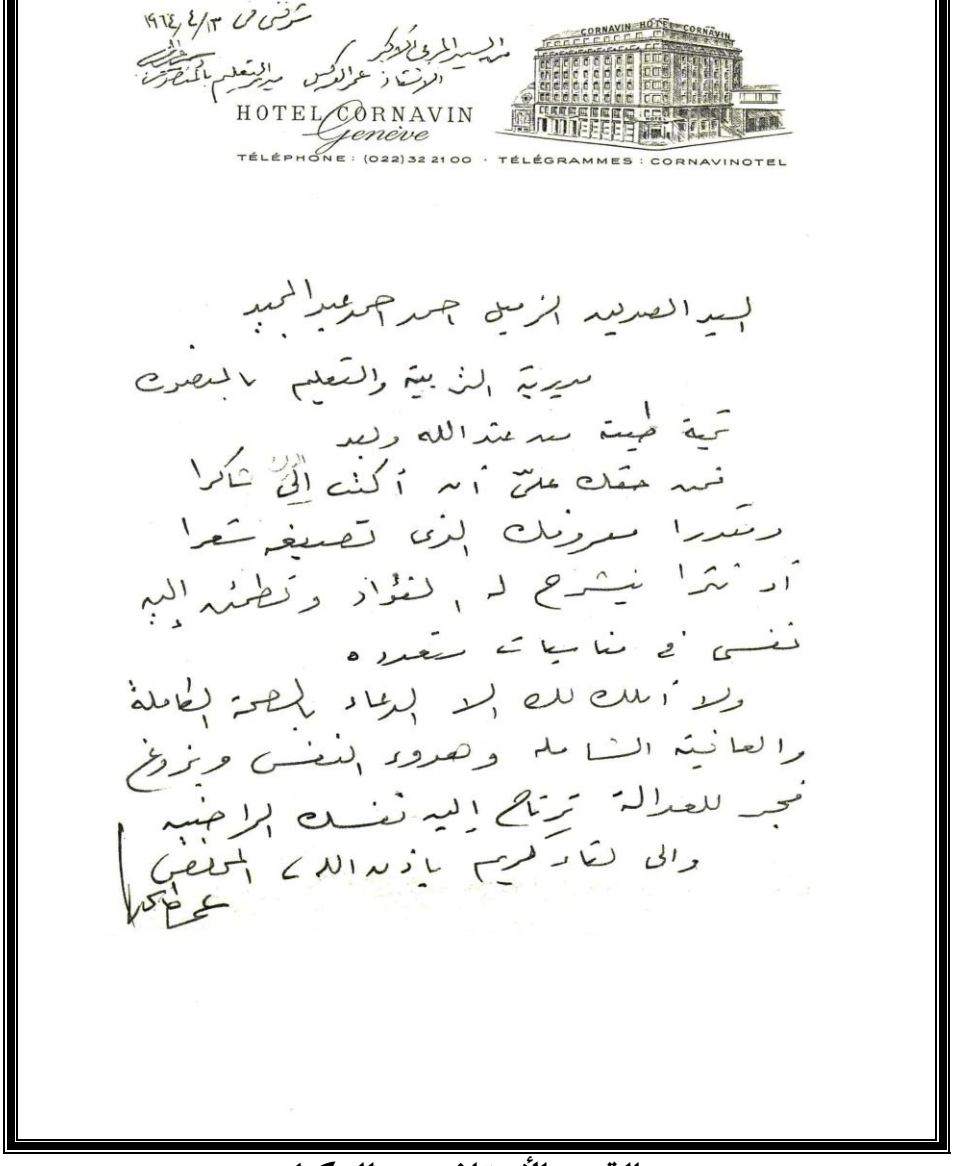

رسالة من الأستاذ: عمر الوكيل
(مدير التعليم بالمنصورة) في ١٣/٤/١٩٦٩م

محافظة الدقهلية
مديرية التربية والتعليم
مكتب وكيل الوزارة

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الزميل الأستاذ أحمد أحمد عبد المجيد

تحية من عند الله مباركة طيبة ، وبعد

فبمناسبة إتمامكم للرسالة الوظيفية السامية وخطوكم إلى الحياة المنطلقة في ٢/١/١٩٦٩ بعد أعوام طوال قضيتموها في الخدمات التعليمية والتربوية بعزيمة مخلصة وإيمان صادق بالعمل.

يسعدني أن أشكر لكم هذا الجهد الواعي الذي بذلتموه في سبيل تحقيق رسالة العلم الرافدة بتنشئة جيل مؤمن بربه مخلص لوطنه ، عارف بحقوقه ، مؤد لواجباته ، فجزاكم الله عما قدمتم للأجيال التي أنشأتموها على الفضيلة وربيتموها على المثل العالية خير ما يجزي به عباده المخلصين.

مع تمنيات طيبة بصحة دائمة وسعادة موفورة في حياة هانئة رغيدة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

وكيل الوزارة
محمد عبد الجواد شاكر

١٢/٤/١٩٦٩

خطاب مديرية التربية والتعليم بمحافظة الدقهلية
بشأن إتمام الشاعر للرسالة الوظيفية (الإحالة إلي التقاعد) في
١٩٦٩/١/٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى حبيب القلب، وشقيق الروح، الشاعر العملاق،
أشعر من أخرجته دار العلوم الأستاذ الكبير أحمد عبد المجيد :

أرسلتَ مائدةَ البيانِ شهيّةً ... مُزدانةً ببدائعِ الأطباقِ !!
من كلِّ أبياتِ القصيدِ ولم تجدْ ... كمثيلِها شفتايَ حلوَ مذاقِ
ما كنتُ أدري - والعجائبُ قلّةٌ - ... أن الصحافَ تُمدُّ في أوراقِ !!
أبطأتَ في إرسالِها فأصابني ... قلقٌ عليكَ يَمُضُّ عن إشفاقِ
حتى صحوتُ على بريدكَ طارقاً ... وجهَ الضحى بحلاوةِ الإشراقِ
وذكرتُ أياماً بقربكَ لم تزلْ ... رغمَ البعادِ تعيشُ في أعماقي
ذكرى طفولتِنا وعهدُ شبابِنا ... شُدَّتْ أواصرُها بكلِّ وثاقِ
كنّا ملائكةً بأوجهِ صِبيةٍ ... ملئتْ مشاعرُ إخوةٍ ورِفاقِ
شكراً لدعوتِكَ الكريمةِ وهي من ... إخلاءِ مشتاقٍ إلى مُشتاقِ
ولعلَّ يوماً في القريبِ يضمُّنا ... وتقرُّ فيه عيونُنا بتلاقِ
واعذرْ خطايَ إذا أتتكَ وئيدةً ... لهثاً وراءَ بيانِكَ السبّاقِ

٦ ديسمبر ١٩٨١

أخوك المخلص
محمود عبد الحي

قصيدة الشاعر: محمود عبد الحي
إلى الأستاذ: أحمد عبد المجيد في ٢/١٢/١٩٨١م

بسم الله الرحمن الرحيم

الثقافه الجماهيرية
مديرية الثقافة بالدقهلية
قصر ثقافة المنصورة

السيد / الأستاذ الأديب أحمد عبد المجيد

تحية طيبة ٠٠ وبعد

يسعدنا ابلاغكم ان السيد الوزير المحافظ سوف يرعى حفل تكريمكم من خلال ندوة شعرية كبيرة فى قصر ثقافة المنصورة يشارك فيها عدد من الشعراء الشباب الممثلين لنوادى الادب فى المحافظة وفاءا من جيل الابناء الى جيل الاباء

كما يشرفنا اخطاركم ان المديرية ستشارك فى هذه المناسبة باصدار كتاب عن عطائكم الادبى ٠٠ لذلك نرجو الاتصال بنا فى اقرب وقت ممكن حتى يمكننا التنسيق معا لهذه المناسبة ٠

وتفضلوا بقبول وافر التقدير والاحترام ""

مدير
مديرية الثقافة بالدقهلية
(محمد محمود سليم)

١٩٨٦/١٠/٣٠

أمال/٠٠٠

خطاب مدير الثقافة بالدقهلية بشأن حفل تكريم للشاعر أقامه قصر ثقافة المنصورة برعاية الوزير المحافظ في ٣٠/١٠/١٩٨٦م

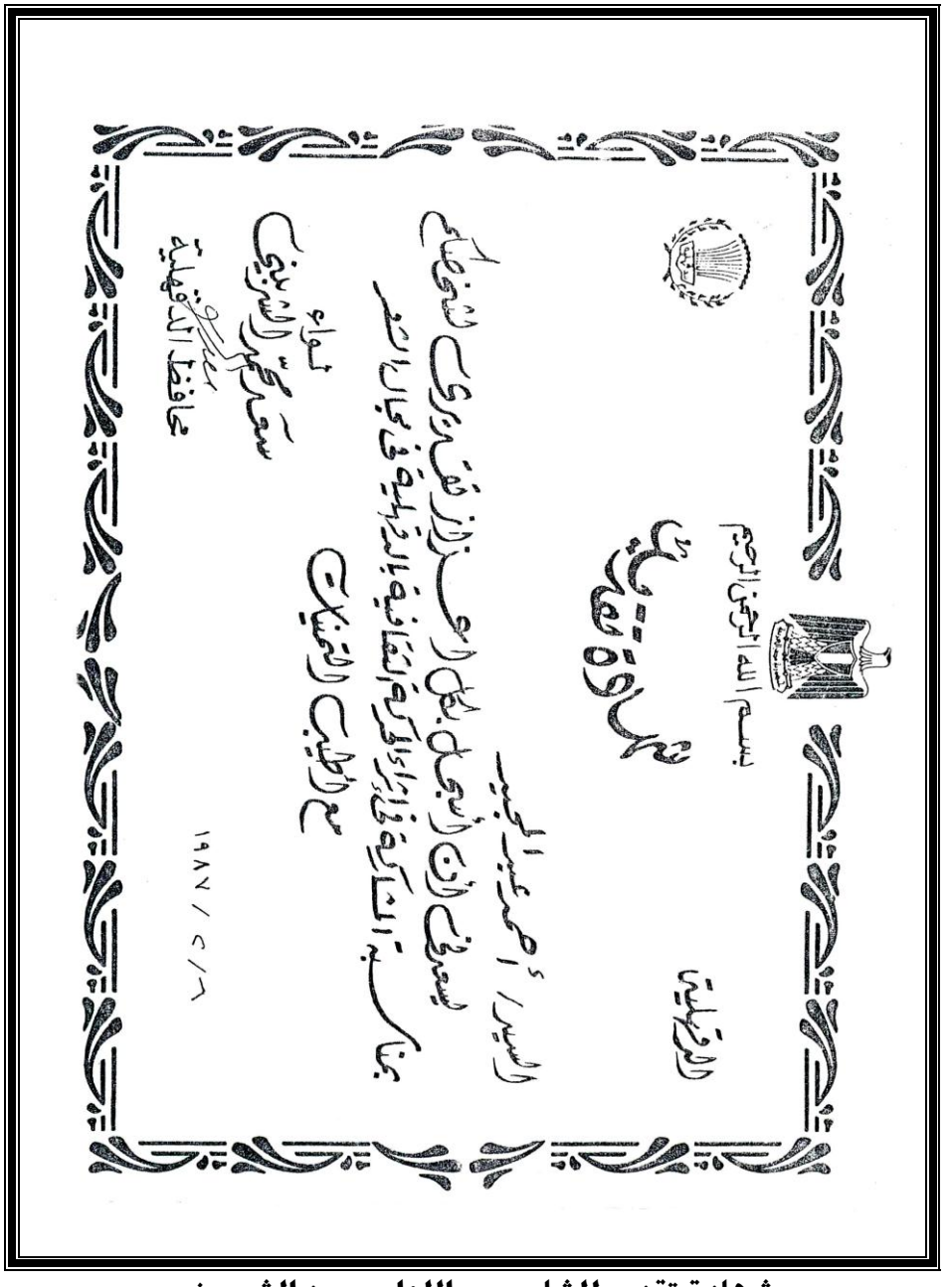
بسم الله الرحمن الرحيم

المحافظة الدقهلية

شهادة تقدير

السيد / أحمد عبد المجيد

بمناسبة المشاركة في فاعليات الندوة الثقافية بالمدرسة في مجال الشعر

مع أطيب التمنيات

لواء

سعد محمد الشربيني

محافظ الدقهلية

٦ / ٢ / ١٩٨٧

شهادة تقدير للشاعر من اللواء: سعد الشربيني
(محافظ الدقهلية) في ٦ / ٢ / ١٩٨٧م

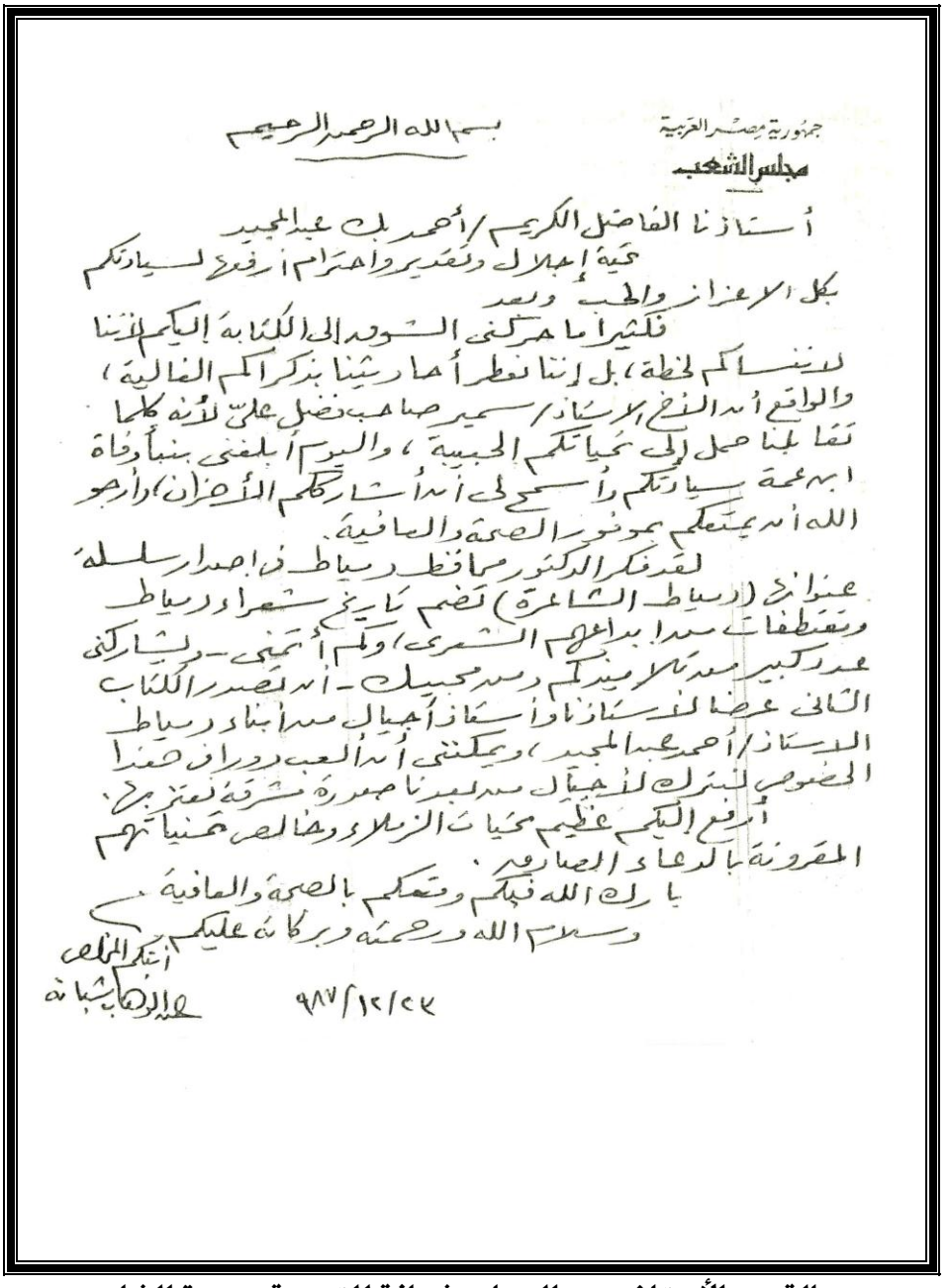

جمهورية مصر العربية
مجلس الشعب

بسم الله الرحمن الرحيم

أستاذنا الفاضل الكريم / أحمد بك عبد المجيد

تحية إجلال وتقدير واحترام أرفعها لسيادتكم بكل الاعتزاز والحب وبعد

فكثيرا ما حركني الشوق إلى الكتابة إليكم لأننا لا ننساكم لحظة، بل إننا نفتقدكم ونتذكركم الغالية، والواقع أن الدخ الأستاذ / سمير صاحب فضل علينا لأنه كلما تقابلنا حمل إلى تحياتكم الحبيبة، واليوم أبلغني بنبأ وفاة ابنة عمة سيادتكم وأسعى لي أن أشاركم الأحزان، وأرجو الله أن يمتعكم بموفور الصحة والعافية.

لقد فكر الدكتور مرافظ رسياط في إصدار سلسلة بعنوان (رسياط الشاعرة) تضم تاريخ شعراء رسياط ومقتطفات من إبداعهم الشعري، ولم أتمنى - ويشاركني عدد كبير من تلاميذكم وتلميذاتكم - أن تصدر الكتاب الثاني عرضا لأستاذنا وأستاذ أجيال من أبناء رسياط الأستاذ / أحمد عبد المجيد، ويمكنني أن ألعب دور الوسيط في هذا الموضوع لنترك لأجيال من بعدنا صورة مشرقة نعتز بها.

أرفع إليكم عظيم تحيات الزملاء وخالص تمنياتهم المقرونة بالدعاء الصادق.

بارك الله فيكم وتعلكم بالصحة والعافية.

وسلام الله ورحمته وبركاته عليكم

أخوكم المخلص
عبد الوهاب شبانة

٢٣/١٢/١٩٨٧

رسالة من الأستاذ: عبد الوهاب شبانة للتعزية ودعوة الشاعر إلي المشاركة في سلسلة: دمياط الشاعرة في ٢٣/١٢/١٩٨٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

نشيد عيد العلم

كلمات أحمد عبد المجيد — موسيقى محمد إبراهيم حسن

يومُنا يومٌ سعيدْ — زانه للعلمِ عيدْ
إنه العيدُ المجيدْ — جدَّ في العهدِ الجديدْ
مُشرقاً لألاءَ وضّاءَ الجبينْ

مجّدي يامصرُ جهدَ النابغينْ — وارفعي يامصرُ قدرَ النابهينْ
وانعمي يامصرُ في العهدِ الأمينْ — بالهُدى والعلمِ والفتحِ المبينْ
قد بلغنا المجدَ من دنيا ودينْ — وزهت أمجادُنا في العالمينْ
يومُنا يومٌ .....

مَجدُوا في العهدِ كلَّ الثائرينْ — مجّدوا الأبطالَ آسادَ العرينْ
عَقَدوا الأيدي يميناً في يمينْ — وتبارَوْا في المعالي مبدعينْ
مجدوا فيهم هداةً مرسلينْ — خلّدوهمْ في سِجِلِّ الخالدينْ
يومُنا يومٌ .....

نشيد عيد العلم
منطقة المنصورة التعليمية - عيد العلم بالدقهلية
١٦/١/١٩٥٦م
مطبعة ومكتبة النيل بالمنصورة

نشيد عيد العلم للشاعر، منطقة المنصورة التعليمية، محافظة الدقهلية في ١٦/١/١٩٥٦م

إليك يا شكلة حياتي

في جنة الله

في جنة الله يا من كنت آنسي ... أنضو بها وحشتي من جنة الناسي

زكية الروح هل تدرين كم كمدي ... وقد أذاب فؤادي عذبها وأنفاسي

قد كنت نبراس هدى أستضيء به ... فأطفأ القدر الجبار نبراسي

وكنت سر طموحي كنت لي أملاً ... فبدل الأمن الطمأنينة بالياس

عشنا ثلاثين لم يعقم مسرتنا ... أنا عقمنا ولم نسمع لوسواس

كانت لي الراح ما أصفى وكنت لها ... من ماء مزن فكنا الدهر في كاس

وذاوينا مضرب الأمثال تحسبني ... ملكاً وأحسبها تاجاً على رأسي

واليوم جردت من تاجي ومملكتي ... والبس الهم قلبي أي إلباس

كف الردى استمرأت لحمي وما احتشمت ... واحر قلباه من لحم الردى القاسي

لا الأربعون ولا أمثالها مسحت ... همي فما أنا بالسالي ولا الناسي

أرثيك من ذوب وجداني ومن كبدي ... قد جف قلبي وبل الدمع قرطاسي

جادتك مزن من الفردوس هاطلة ... في روضة ضمخت بالورد والآس

يا نور عيني ويا أهلي ويا سكني ... ويا مرابة أعيادي وأعراسي.

محمد عبد المجيد

قصيدة بخط الشاعر في رثاء زوجته

وزارة المعارف العمومية

كتاب الأساس

في الأمم السامية ولغاتها وقواعد اللغة العبرية وآدابها

تأليف

الدكتور علي العنانى ، ليون محرز ، محمد عطية الابراشى
أستاذى اللغات السامية بدار العلوم العليا — المفتش بالوزارة

(يحتوى هذا الكتاب على مقرر دار العلوم فى اللغة العبرية وآدابها والموازنة بينها وبين اللغة العربية)

סֵפֶר הַיְסוֹד

לְעַמִּים הַשֵּׁמִיִּים וּלְשׁוֹנוֹתֵיהֶם

וְדִקְדּוּק הַשָּׂפָה הָעִבְרִית וְסִפְרוּתָהּ

(الطبعة الأولى)

حق الطبع محفوظ للوزارة

القاهرة
طبع بالمطبعة الأميرية ببولاق
١٣٥٤هـ — ١٩٣٥م

غلاف كتاب الأساس الذي نشرت فيه قصيدة (البؤس) التي ترجمها الشاعر عن اللغة العبرية.

— ٥٠٥ —

درس ٥٠ — שִׁעוּר נ.

قصيدة البؤس — שִׁיר תּוּגָה עַל רַע בַּוָּדְלוֹ

(א) אִלּוּ לְפִי (١) אֵידִי (٢) דְמָעַי יִזָּלוֹן (٣)
לֹא דַּרְכָּה (٤) רֶגֶל אֱנוֹשׁ יִבָּשֶׁת ;
אַף (٥) לֹא לְמִי נֹחַ לְבַד כִּרַת (٦) בְּרִית (٧)
כִּי גַם לְדִמְעִי נִרְאָתָה הַקֶּשֶׁת. (٨)

(ב) גַּלְגַּל (٩) וּמַזָּלוֹת (١٠) בְּמַעֲמָדָם (١١)
נָטוּ (١٢) בְּמַהֲלָכָם לְמוֹלַדְתִּי ;
לוּ יִהְיוּ גֵּרוֹת (١٣) סְחוֹרָתִי, (١٤)
לֹא יֶאֱסוֹף (١٥) שֶׁמֶשׁ עֲדֵי מוֹתִי

(ג) אֵינַע לְהַצְלִיחַ וְלֹא אוּכַל,
כִּי עוֹתְוּנִי (١٦) כּוֹכְבֵי (١٧) שָׁמָי ;
לוּ אֶהְיֶה סוֹחֵר (١٨) בְּתַכְרִיכִים, (١٩)
לֹא יִגְוָעוּן (٢٠) אֲנָשִׁים בְּכָל־יָמַי ;

المفردات :

(١) بِحسبِ . (٢) بؤسى ، بَلِيَّتى . (٣) تَهْطِلُ . (٤) داستْ . (٥) فقط . (٦) قُطِعَ . (٧) عَهْدٌ . (٨) قوس قزح . (٩) عَجَلٌ . (١٠) والبروج (الفلكية) . (١١) فى دَورانِها . (١٢) مالوا ، انحرفوا . (١٣) أنوار ، شمعات . (١٤) تِجارتى . (١٥) تَغْرُبُ . (١٦) عَوَّجَتْنِي . (١٧) كواكب . (١٨) تاجر . (١٩) بِأكفانٍ . (٢٠) يموتون .

قصيدة (البؤس) التي ترجمها الشاعر (١)

(ד) אַשְׁכִּים (١) לְבֵית הַשָּׁר, (٢)

אוֹמְרִים : כְּבָר (٣) רָכָב ;

אָבֹא לְעֵת עֶרֶב —

אוֹמְרִים : כְּבָר שָׁכָב. (٤)

אוֹ יַעֲלֶה מֻרְכָּב ,

אוֹ יַעֲלֶה מְשֻׁכָּב —

אוֹתָהּ (٥) לְאִישׁ עָנִי ,

נוֹלָד (٦) בְּלִי כוֹכָב .

(ר׳ אברהם אבן עזרא)

المفردات :

(١) أُبَكِّرُ. (٢) الرئيس المُحسِن . (٣) قد . (٤) رقد ، نام. (٥) الويل . (٦) وُلِدَ .

السيد ابراهيم بن عزرا

وُلِدَ بمدينة طُليطلة فى الأندلس سنة اثنتين وتسعين وألف بعد الميلاد ، ثم قضى شطرا كبيرا من حياته الأولى فى مدينة قرطبة التى كانت تموج فى ذلك الوقت بالعلماء والكُتّاب والمؤلفين ، وهناك درس أصول الدين وتشبع بعلوم الحكمة فلم يلبث أنّ خرج على الناس بأفكارٍ تتضارب مع أفكار معاصريه . وكان طبيعيا أن يصطدم بهم ، وأن يقفوا له وقفة عداء دَفَعَتْ به إلى الرحيل عن وطنه فلم يقرّ له بعد ذلك قرار ، بل كنتَ تراه دائما على سَفَر ، لا ينزل يومه ببلد إلّا ليرتحل فى غده إلى سواه ، كَأَنَّهُ مُوَكَّلٌ بِقَضَاءِ الأرضِ يَزْرَعُهُ فبينما تجده يحل بإيطاليا إذا به يرحل الى فرنسا ، ثم الى بلاد اليونان ، وفى آخر عهده بالحياة نزل بريطانيا العظمى واتخذ لندن مقرا له حتى وافته منيّته سنة الف ومائة وسبع وستين بعد الميلاد (١١٦٧ م) .

قصيدة (البؤس) التي ترجمها الشاعر (٢)

وقد أذاقته هذه الحياة المتنقلة كثيرا من أنواع الشقاء وألوان البؤس ، بيد أنه على الرغم من ذلك لم تذل نفسه ولم تنطفئ جذوة النشاط التى كانت تغمر جسمه وتلهب فكره وتلهم وجدانه ومشاعره ؛ بل لقد كانت تزيده عواصف الآلام قوة وصلابة ، فظل يعمل بجد ونشاط ما بين كتب يؤلفها وأشعار يمتدح بها ذوى الأريحية ممن يهزهم الأدب الرقيق الى الندى ، ولكن إذا علمنا أن الكرام قليل فى كل زمان وفى كل مكان استطعنا أن ندرك مقدار بؤسه وكيف أن عيشته كانت غاضبة لا ترضى إلا بقدر ، ولعلنا لا نجد مرآة لها أصفى من تلك المعانى الشعرية التى أتيح لى صوغها فى هذا الأسلوب العربى :

عَلَى قَدْرِ بُؤسِي لَوْ تَفِيضُ عَلَى نَحْرِي ... دُمُوعِي ! جَعَلْنَ البَرَّ أَشْبَهَ بِالبَحْرِ
وَأَطْلَعْنَ قَوْسًا فِي السَّمَاءِ مُمَاثِلًا ... لِمَا عَاقَبَ الطُّوفَانَ فِي غَابِرِ الدَّهْرِ

* * *

كَأَنَّ بُرُوجَ الكَوْنِ يَوْمَ وِلَادَتِي ... تَسِيرُ بِلَا رُشْدٍ ؛ فَتُخْطِئُ فِي السَّيْرِ
أُحَاوِلُ جُهْدِي النُّجْحَ ، لَوْلَا كَوَاكِبٌ ... أَضَلَّتْ رَشَادِي ، بَيْنَمَا أَرْشَدَتْ غَيْرِي

* * *

فَلَوْ أَنَّنِي بِالشَّمْعِ كُنْتُ مُتَاجِرًا ... أَقَامَتْ عَلَى الفُلْكِ الغَزَالَةُ لَا تَجْرِي
وَإِنْ غَدَتِ الأَكْفَانُ فِي السُّوقِ سِلْعَتِي ... لَعَاشَ جَمِيعُ النَّاسِ أَطْوَلَ مِنْ عُمْرِي

* * *

طَرَقْتُ بُيُوتَ الخَيِّرِينَ مُبَكِّرًا ... فَخُبِّرْتُ أَنْ قَدْ فَارَقُوا البَيْتَ فِي الفَجْرِ
وَعِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ أَسْرَعْتُ نَحْوَهُمْ ... فَأَلْفَيْتُهُمْ نَامُوا ؛ فَبِتُّ عَلَى جَمْرِ !
عَجِبْتُ لِدُنْيَا أَسْرَفَتْ فِي إِسَاءَتِي ... وَنَحْسٍ إِذَا أَخْطُو يُسَارِعُ فِي إِثْرِي
إِذَا كَانَ حَظِّي فِي الحَيَاةِ كَمَا أَرَى ... فَمَا حَيَاتِي ! وَالعَصْرِ إِنِّي لَفِي خُسْرِ

نظمها بالعربية : أحمد أحمد عبد المجيد
١٩٣٣ طالب بدار العلوم العليا

صلاح
التى نظم فى ذلك الأسلوب العربى ؟

قصيدة (البؤس) التي ترجمها الشاعر (٣)

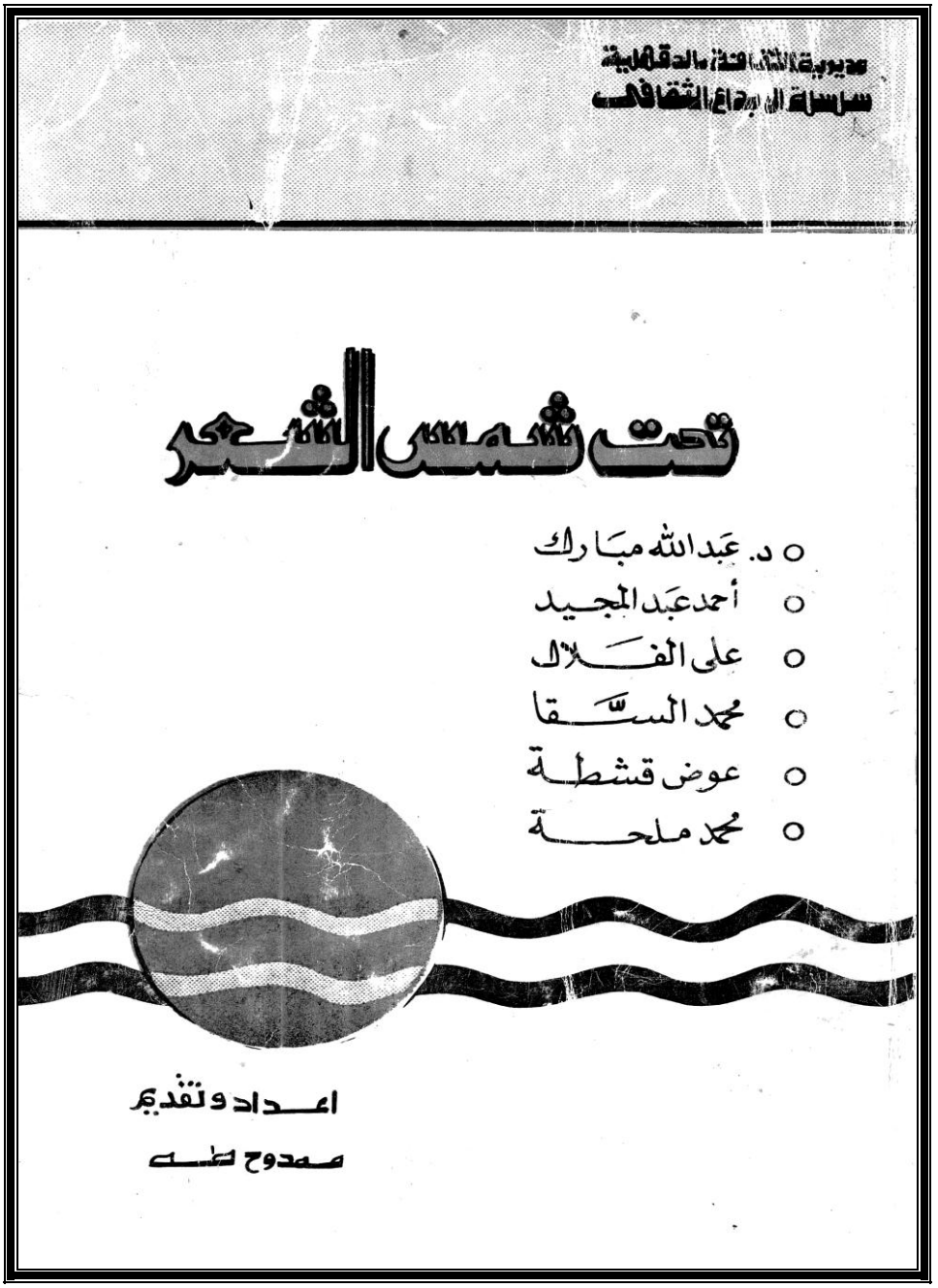

غلاف كتاب: تحت شمس الشعر، الذي ترجم للشاعر ونشر بعض قصائده في مديرية الثقافة بالدقهلية.

مجلة

مدرسة دمياط الثانوية

تديجها أقلام الطلبة

برياسة شرف

حضرة المربي الجليل محمود امين ناظر المدرسة

وباشراف

الأستاذ محمد الصميدى المدرس بالمدرسة

الاستاذ جمال الدين عبد الرازق المدرس بالمدرسة

السنة التاسعة

١٣٦٩ هجرية — ١٩٥٠ ميلادية

مكتبة ومطبعة خضير

دمياط: تليفون ٧٢

غلاف مجلة: مدرسة دمياط الثانوية
التي نشرت بعض إبداع الشاعر ضمن بابها: روضة الشعر.

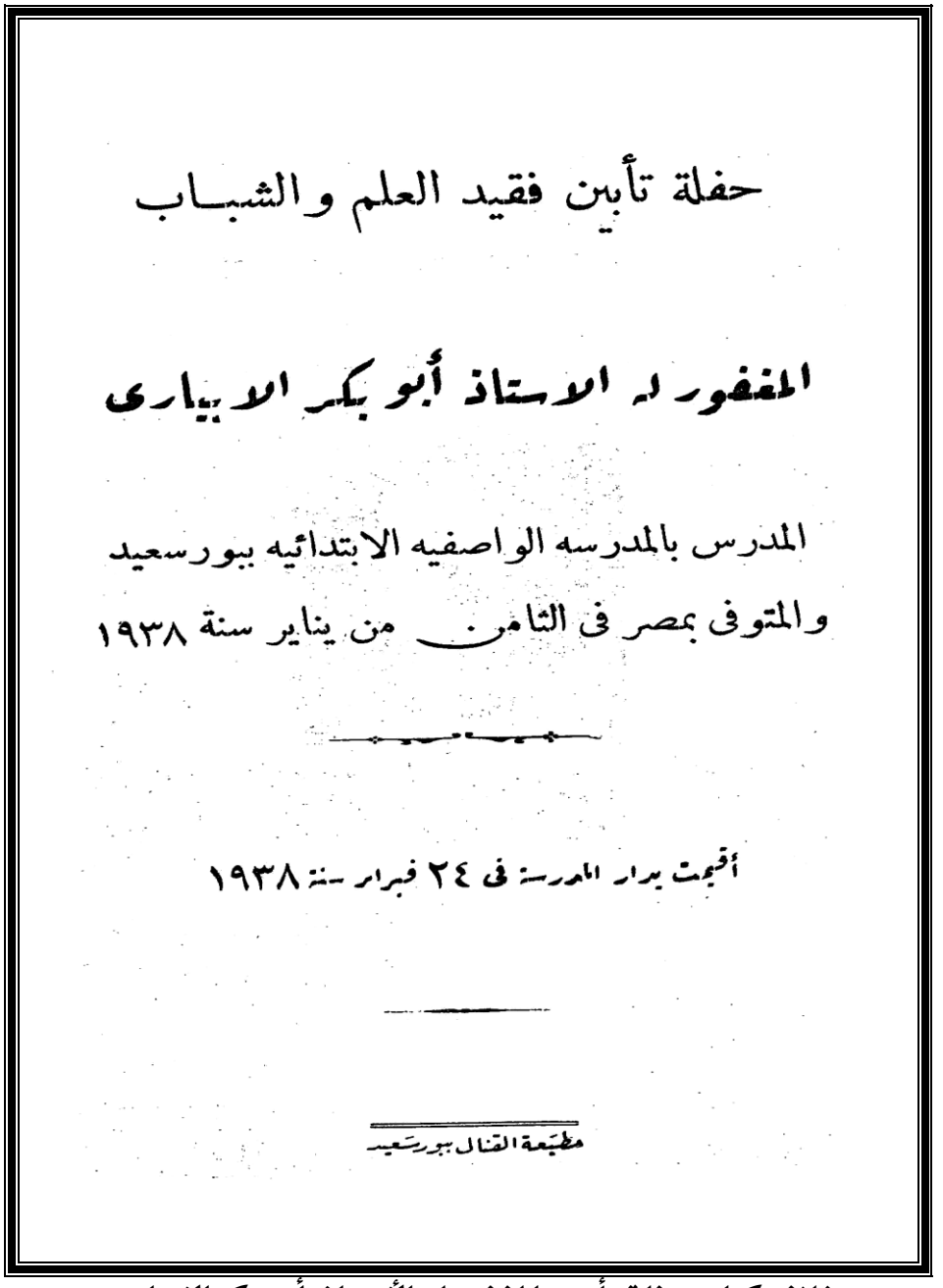
حفلة تأبين فقيد العلم والشباب

المغفور له الاستاذ أبو بكر الابيارى

المدرس بالمدرسه الواصفيه الابتدائيه ببورسعيد

والمتوفى بمصر فى الثامن من يناير سنة ١٩٣٨

أقيمت بدار المدرسة فى ٢٤ فبراير سنة ١٩٣٨

مطبعة القنال ببورسعيد

غلاف كتاب حفلة تأبين المغفور له الأستاذ: أبو بكر الإبياري، وقد شارك فيها الشاعر بقصيدته: عبرة الإخلاص ودمعة الوفاء.

غلاف كتاب: سلسلة الإبداع الشعري، صالون المنصورة الثقافي، محافظة الدقهلية، وقد نشر فيه الشاعر بعض نتاجه الشعري.

ثانيا: نماذج من نتاج الشاعر:

ذكراك يا طه سنا الأعياد [1]

[من الكامل]

أَبِنُـورِ مِشْكاةٍ أضاءَ الوادي ... أم تلك أنوارُ النبيِّ الهادي

سطعت فأشرقت الدُّنا، وبنورها ... وَضَحَ السبيلُ لرائحٍ أو غادي

وَأَتَتْ لآمنةَ الملائكُ أَبْشِري ... فلقدْ حَمَلَتِ بِسَيِّدِ الأَسْيَادِ

يا فرحةَ الدُّنيا به وبيومه ... يَوْمٌ أَغَرُّ على مدى الآبادِ

يزهو لمطلَعِهِ الوجودُ بِأُسرِهِ ... والخَلْقُ من مُتَحَضِّرٍ أو بادِ

الكلُّ يهتفُ من صَمِيمِ فُؤادِهِ ... وافى حبيبُ اللهِ بالإسْعَادِ

هو للذليلِ وللمُذِلِّ رسالةٌ ... مسطورةٌ بالوَعْدِ والإيعادِ

إيوانُ «كسرى» عرش «قيصر» لاتَهُمْ ... خَرَّتْ لهيبةِ ذلك الميلادِ

وُلِدَ النبيُّ فهذِهِ أُمُّ القُرى ... هَتَفَ البشيرُ بها وغَنَّى الحادي

* * * *

قُمْ حَيِّ ميلادَ النبيِّ المصطفى ... مِنْ أَشْرفِ الآباءِ والأجدادِ

وانظمْ له الدُّرَرَ الغَواليَ صُغْتَها ... مِنْ حُسْنِ طارِفَةٍ وخَيْرِ تِلادِ

أَسْمِعْ بها الآفاقَ من أطرافها ... في البيتِ أو في الحَفْلِ أو في النَّادي

فلطالما نادى بأفضلِ دَعْوةٍ ... صَفَتِ النفوسُ بها مِنَ الأحقادِ

---

(١) سلسلة الإبداع الشعري: ٢٧- ٣٠

إنِّي جعلتُ هداهُ حليةَ منطقي ... وتَخِذْتُ منه براعتي ومِدَادي

فإذا نَظَمْتُ فَدُرَّةٌ من بَحْرِهِ ... لاجَهْدَ لي فيها سوى إنشادي

* * * *

يا صفوةَ الرُّسُلِ الذين استُهدفوا ... لرذائلِ الأشرارِ والأوغادِ

جئتَ الجزيرةَ والقلوبُ نوافرٌ ... وعلى عُيونِ العُرْبِ شِبْهَ رُقادِ

تدعو، فإن صافاكَ منهم واحدٌ ... فوراءه بالكَيْـدِ أَلْفُ مُعادي

لكنَّـما جاهدتَهُمْ مُتَحَمِّـلاً ... وَصَبَرْتَ لم تَرَكَنْ إلى الإخلادِ

كنتَ الحكيمَ، عرفتَ من طبع الدُّنا ... أن تُمْسِكَ الأحرارَ في الأصفادِ

وعرفتَ أنَّ الصَّبْرَ خيرُ تجارةٍ ... تستتبعُ النُّعْمَى وخيرُ عَتَادِ

ودعوتَ يا ربي أَعِنِّي واهدني ... فإذا بها اخترقَتْ طِبَاقَ شِدَادِ

إن المحبَّ إذا دعا فدعاؤه ... لا ينثني إلا بنيلِ مُرادِ

وإذا يمين الله ترفد يُتْمَهُ ... ما فوق رِفْدِ الله من إرفادِ

كانت لأمضى سمهريٍّ في الوغى ... يستأصلُ الفوضى، أعزَّ نجادِ

* * * *

يا أصدق الرُّوَّادِ هَوَّنْتَ السُّرَى ... وَهَدَيْتَ من ضَلُّوا سبيلَ رَشَادِ

نَبَّهْتَهُمْ من بعد طُولِ سُباتهم ... وبعثتَهم في زُمْرَةِ الأمجادِ

قد كانت البغضاءُ ملءُ صُدورهم ... فاعتضتَ من بغضائهم بوادِدِ

أَسَّسْتَ من أخلاقهم بقواعدٍ ... ورفعتَ من بُنيانهم بعمادِ

وأتيتَ بالقُرآنِ مبعثِ هديهم ... من بعد ما عكفوا على الأوتادِ
آياتُهُ الشمسُ التي قد أشرقتْ ... فمحت ظلام الشِّرْكِ والإلحادِ
لغةٌ هي الفصحى بحسبك أَنَّها ... رغم القرون قشيبةَ الأَبرادِ
إن الذي صاغ اللغات محاسناً ... جعل الجمالَ وَسِرَّهُ في الضَّادِ

* * * *

اللهُ أكرمَ أُمةً بشمائلٍ ... أُوتِيتَها تربو على التَّعْدَادِ
أدبٌ وإيمانٌ وقلبٌ مشفقٌ ... ويُريك قلبَ اللَّيثِ يومَ جلادِ
وأمانةٌ وقناعةٌ وتواضعٌ ... في هِمَّةٍ وعزيمةٍ وسَدَادِ
نفدتْ بُحور المادحينَ خلالَهُ ... وخلالُهُ ظلَّتْ بغيرِ نَفَادِ
قد حاول النُّقادُ تجريحاً لها ... فتمثَّلَتْ عذراءَ للنُّقادِ
وبهذه الشِّيمِ الوِضَاءِ تَعَلَّقَتْ ... بهوى النبيِّ حواضرٌ وبوادي
وحماه أصحاب أَعَزُّ عليهمُ ... يومَ الوغى من فَلْذَةِ الأكبادِ
من رام نَيْلاً من شريعةِ رَبِّهمْ ... قَطَعَتْ يديهِ براثنُ الآسادِ
حتى تَشَيَّدَ دينه مستشرفاً ... تعلو ذُراه كشامخِ الأَطوادِ
وإذا ابن مكةَ وابن يثربَ أخوةٌ ... جمعتهم السَّمْحا على ميعادِ
وإذا أراد اللهُ نَصْرَ عبادِهِ ... نُصِروا على رغم من الحُسَّادِ

* * * *

يا خيرَ خَلْقِ الله حُبُّكَ ثروتي ... والمدحُ فيك ذَخيرةُ العُبَّادِ

الشَّيْخُ رَتَّلَهُ لدى مِـحْرَابِهِ ... والطَّيرُ غَنَّاهُ على الأَعْوادِ

قالوا: أتعشقُ والغرامُ مَذَلَّـةٌ ... وصحيفةٌ طُوِيَتْ على الأَضْدادِ؟

في بحره أَنْتَ الغريقُ وإنَّما ... حَرَّانُ من نار الصَّبابَةِ صادي

قلتُ اغربوا عني صَدَفْتُ عن الهوى ... وَعَدَتْ على حُبِّ الظِّباءِ عوادي

قد كان لي في حُبِّ «ليلى» جَوْلَةٌ ... وَفُتِنْتُ حيناً في غَرَامِ «سُعادِ»

ولقد صدفتُ عن الفُنونِ لأنني ... أسلستُ في حبِّ النبيِّ قيادي

أهواه من قلبي وملءَ جوانحي ... وبِمُهْجَتِي وحشاشتي وفؤادي

حُبٌّ أُوَرِّثُهُ بَنِيَّ فَإِنْ مَضَوا ... تركوا هواكَ ذخيرةَ الأحفادِ

* * * *

يا والداً للمؤمنين، أُبُوَّةٌ ... زِدْنا بها شرفاً على الأَنْدَادِ

عُذْنا بجاهٍ منك فيما مَسَّنَا ... إِنَّ الأُبُوَّةَ مَفْزَعُ الأولادِ

حسبي وحسبُ المؤمنينَ شفاعةٌ ... هي خيرُ مَأْمُولٍ وأفضلُ زادِ

صَلَّى عليك اللهُ يا خيرَ الورى ... يا صفوةَ الأجيالِ والآبادِ

حَفَّتْ بنا الأعيادُ لم نَحْفِلْ بها ... ذكراكَ يا طه سنا الأعيادِ

في ذكرى الهجرة[1]

[من الكامل]

صُوغُوا النَّضِيدَ من القَصيدِ وأَنْشِدوا ... فاليوم يَحْلَوْلى النَّشِيدُ ويُحْمَدُ

يومٌ أَغَرُّ على الزَّمـانِ مُحَجَّـلٌ ... ومُفَصَّلٌ من بينـه ومُحَسَّدُ

يومٌ يُذَكِّرَنَا الجِهَادَ وَمَالَهُ ... مِنْ نِعْمَةٍ مَأْثُورةٍ لا تُجْحَدُ

أَعْلى بِـهِ اللهُ العَلِيُّ شريعةً ... يَدْعُو لها خيرُ الأَنَامِ مُحَمَّدُ

جَاءَتْ لِتَقْتَلِعَ الفسادَ بأَسْرِهِ ... فكأَنَّها خَلْفَ الفَسادِ مُهَنَّدُ

بُعِثَ النَّبيُّ بِدَعْوَةٍ عُلْوِيَّةٍ ... لقبيلةٍ فيها الغَوِيُّ المُلْحِدُ

فَدَعاهُمُ لعِبادَةِ اللهِ الَّذي ... هُو ربُّ كُلّ الكَوْنِ وهُوَ الصَّمَدُ

فاستنكَروا أن يَتْرُكُوا أَصْنامَهُمْ ... وهي التي من قَبْلُ كانَتْ تُعْبَدُ

كيف التَّحَوُّلُ والعبادةُ عَادَةٌ ... والمرءُ مَرْهُونٌ بما يَتَعَوَّدُ ؟ !

* * * *

آذَوْهُ فاحْتَمَلَ الأَذَى بِتَجَلُّدٍ ... وعَزِيمَةٍ مِنْ عَزْمِهِ تَتَوَقَّدُ

صَبَرَ النبيُّ فما استكانَ لشِرْكِهِمْ ... بل ظَلَّ يَدْعُو للسَّدَادِ ويُرشِدُ

حتَّى إِذَا ضَاقُوا به ذَرْعاً ولَمْ ... يُجْـدِ الأَذى عَادَ الأَذى يَتَوَدَّدُ

---

(١) للقصيدة نسختان مخطوطتان بخط الشاعر لديَّ، إحداهما تقع في خمس صفحات، وعنوان القصيدة فيها: محمد رسول الله ﷺ وخاتم النبيين في ذكرى الهجرة في أفراح الذكرى، والأخرى في أربع صفحات وعنوان القصيدة فيها: محمد رسول الله ﷺ وقد اعتمدت عليهما في تحرير النص، مع الإشارة إلى بعض الخلافات بينهما في الهامش، واخترت لها عنوان: في ذكرى الهجرة.

إِنْ كُنْتَ تَبْغِي المالَ فاحْظَ بمالنا ... حَتَّى يَكُونَ لَكَ الغِنَى والسُّؤْدَدُ

أو كنتَ تبغي المُلْكَ فاملِكْ دُوْنَنا ... ليكونَ فيكَ العاهلُ المتفرِّدُ

أَوْ كان يَسْتَدْعِي الأَطِبَّةَ عِلَّةٌ ... جِئْنا بهمْ إِنْ أَتْهَموا أو أَنْجَدُوا

فَأَجَابَهُمْ يا قَوْمَنا لا تُبْعِدُوا ... شَأْنِي لَدَيْكُمْ فَوْقَ ذَاكَ وَأَبْعَدُ

قالوا: نُدَاوِلُ بَيْنَنَا أَدْيَانَنَا ... وبِدِينِنَا وبِدِينِكُمْ نَتَعَبَّدُ

يا أَيُّها الكفَّارُ[1]: ما أَنَا عابدٌ ما تعبدو ... ن وأَنتُمُ لن تَعْبُدوا ما أَعْبُدُ

اللهُ رَبُّ الخَلْقِ جَلَّ جلالُهُ ... هُوَ مَقْصِدي الأَسْمى ونِعْمَ المَقْصِدُ

اللهُ لا الصَّنَمُ الجَمادُ هُوَ الَّذِي ... عَنَتِ الوجوهُ لهُ وخَرَّتْ تَسْجُدُ

قالوا: تَعِيبُ إلهنا ! وتَوَاعَدُوا ... غدراً به متجمِّعينَ وأَوْعَدوا

في ضَرْبَةٍ مِنْ كُلِّ جَلْدٍ بينهم ... دَمُهُ يَضِيعُ وثَأْرُهُ يَتَبَدَّدُ

أَيخافُ من غَدْرِ الضِّعافِ ومَكْرِهِمْ ... مَـــــنْ كان بالله القَوِيِّ يُؤَيَّدُ؟![2]

أَوْحى إليهِ اللهُ أَنْ قُمْ فاغْتَرِبْ ... وإِلى المَدِينَةِ سِرْ فَأَنْتَ مُسَدَّدُ

* * * *

خرج النبيُّ من البلاد مُهاجراً ... قد ضَمَّهُ غارٌ وأَمْسَكَ فَرْقَدُ

فاستقبلَ الأنصارُ مَقْدِمَهُ كما ... يُسْتَقْبَلُ الأَمَلُ المُعَزُّ المُسْعَدُ

وتوافدوا من كلِّ صَوْبٍ نحوَهُ ... وَفْدٌ يَحُفُّ به وَوَفْدٌ يُرْفِدُ

---

(١) في رواية: ويقول ما أنا عابد.

(٢) في رواية: غدر اللئام... مؤيد.

قال النبيُّ: دعوا الزِّمامَ لناقَتي ... فَهِيَ الدَّليلُ، وحيثُ تَقْصِدُ أَقْصِدُ

يا ناقتي سيري مناخُكِ منزلي ... وعلى طَهُورِ ثَراهُ يُبْنَى المَسْجِدُ

يا أَحمدَ الخيراتِ صِرْتَ بِمَأْمَنٍ ... مِنْ مُشْرِكينَ تَوَعَّدُوكَ وهدَّدوا

الليلُ مُنْذُ قَدِمْتَ «يَثْرِبَ» أبيضٌ ... والصبحُ منذُ تركتَ «مكةَ» أسودُ

إنَّ المدينةَ أصبحتْ بكَ كعبةً ... مِنْ نُورِ وجْهِكَ يجتليها القُصَّدُ

بُشْرَى ليثربَ حَلَّ فيها المُصطفى ... فكأنَّما فيها تلأْلأَ فَرْقَدُ

وإذا ابنُ مَكَّةَ وابنُ يَثْرِبَ إخوةٌ ... آخاهُـــمُ في الله عِنْـدَكَ موعدُ

صافيتَ بينهمُ وآخَوْا بينكم ... وَغَدَتْ جُنُودُ اللهِ تَجْمَعُهُمْ يَدُ

وإذا أَرَادَ الله نُصْرَةَ دينِهِ ... سُرَّ المُعِزُّ له وغِيظَ الحُسَّدُ

* * * *

ودخلتَ مكةَ فاتحاً فاستبشرتْ ... والكعبةُ اعتزَّتْ وَعَزَّ المسجدُ

جَنَّدْتَ من أقطار عَزْمِكَ ثُلَّةً ... خَفَّتْ إليهِ وَحَطَّمَتْ ما يُعْبَدُ

وازدان كالفردوس كُلُّ رحابِهِ ... وجَنَابُهُ مُتَطَهِّرٌ مُتَجَدِّدُ

دَوَّتْ به «اللهُ أَكْبَرُ» رُكَّعٌ ... خَرُّوا بها عِنْدَ الصَّلاةِ وسُجَّدُوا

دَوَّتْ فزلزلتِ العروشَ جميعَها ... وَغَدَا طريدَ القَوْمِ وهُوَ السَّيِّدُ

وَسَمَتْ إلى جَوِّ السَّماءِ مآذنٌ ... ورَسَتْ على رَحْبِ الفَضَاءِ قَوَاعِدُ

وامتدَّ دينُ اللهِ في كُلِّ الوَرَى ... وعلا له في كُلِّ صِقْعٍ مَرْصَدُ

وكذاكَ كُلُّ مُجاهِدٍ مُتَحَضِّرٍ للمَجْدِ إنْ يَصْبِرْ فَثَمَّتَ يَمْجُدُ

* * * *

يا خـادمَ الحَـرَمَينِ تلكَ سيـادةٌ لا يَخْـدُمُ الحَرَميـنِ إلَّا سَيِّدُ

يا حامِيَ البيتِ الحرامِ مُطَهَّراً مِنْ كُلِّ أَصنامٍ تُقَامُ فَتُعْبَدُ

بيتٌ يغيظُ المشركينَ، مَقَامُهُ للهِ، يقصِدُهُ العبادُ القُصَّدُ

ساقوا له في عَهْدِ جَدِّ المُصطفى أفيالَ «أبرهةٍ» فَفَرَّتْ تَرْعَدُ

اللهُ أَدَّبَها وَرَدَّ مَلِيكَها وَضَحُ النَّهارِ عليه ليلٌ سَرْمَدُ

طَيْرٌ رَمَتْ بحجارةٍ يُردِي بهم سِجِّيلُها أو طِينُها المُتَجَمِّدُ

حَصَدَتْهُمُ حَصْدَ الجَرادِ وَمَنْ بَغَى كَيْداً لمسجدنا المُقَدَّسِ يُحْصَدُ

* * * *

والآنَ في الأَمْسِ القَريبِ تَحَرَّكَتْ فِئَةٌ إلى البيتِ الحَرَامِ تُعَرْبِدُ

زَحَفَتْ إلى البيتِ العتيقِ خَنَافِسٌ! ما إنْ رأيتُ خنافساً تَسْتَأْسِدُ !

* * * *

يا أَيُّها المهديُّ هلْ مِنْ آيةٍ تَهْدِي الأُولى انتظروكَ حتَّى يَهْتَدُوا ؟!

هل كان في الآياتِ عُدْوانٌ على الـ بيتِ الحرامِ وَمَنْ به يَتَعَبَّدُ ؟!

في الآمِنِ ارتاعتْ صَلاتُهُمُ كما رِيعَتْ حمائمُ في حماه تُغَرِّدُ

* * * *

يالعنةً للعاثبينَ ولعنةً ... لمُحَرِّكٍ مِنْ خَلْفِهِمْ يَتَرَصَّدُ
قد كانت الأصنامُ أَخْشَعَ مِنْهُمُ ... فيه، فَمَا عاثوا به أو عَرْبَدُوا
وأَحقُّ مِنْ تَحْطيمِهَا تَحْطيمَهَمْ ... شَاهَتْ نواياهُمْ وَشَاهَ المَقْصِدُ

* * * *

يا قـادةَ الإسـلامِ هَيَّـا حاصروا ... مَنْ حاصروا البيتَ الحرامَ وهدَّدوا
يستهدفُ الإسلامَ بَعْضُ مذاهبٍ ... هدَّامَةٍ فيها المُضِلُّ المُفْسِدُ
ويعيثُ فيه المغرضونَ، ذئابُهُمْ ... خُبُثٌ، علي جَنَبَاتِهِ تَتَصَيَّدُ
أَوَ كُلَّمَا أَفْنَى الجهادُ فئاتِهِمْ ... راحتْ فئاتٌ غيرُها تتجدَّدُ ؟!!
لا غَرْوَ فالحشراتُ حين نُبيدُها ... يُجْرَي لها بينَ الجُحُورِ تَوَلُّدِ

* * * *

إِنَّا صَبَرْنا كي يَثُوبَ لِرُشْدِهِ ... غِرٌّ ويُبْصِرُ بالبصيرةِ أَرْمَدُ
عِشْنَا على الصَّبرِ المَرِيرِ لِمَوعِدٍ ... الحِلْمُ وَفَّاهُ وحانَ المَوْعِدُ
وَبِهِمَّةٍ عَرَبِيَّةٍ لم يلبثوا ... عاشَتْ عُرُوبَتُنا وعاشَ المسجدُ

* * * *

يارَبُّ: مسجدُكَ الحرامُ، فَكُنْ لَهُ ... دِرْعاً حصيناً كي يُصانَ المسجدُ
البيتُ بَيْتُكَ فاحمه واثأَرْ له ... مِنْ كُلِّ «أَبْرَهَةٍ» يَعِيثُ ويُفْسِدُ
ولقد حَمَيْتَ، وقد ثَأَرْتَ، وكُبْكِبُوا ... وتَقَطَّعُوا أيدي سبا وتَبَدَّدوا

اللهَ للبُسْلِ الأَشَاوِسِ قَدْ جُزوا بالحُسْنَيينِ وبالمفاخِرِ قُلِّدُ وا
حُسْنُ المآبِ ثوابُ مَنْ قَدْ دافعوا عنه، وطُوبى للذين استُشهدوا

* * * *

يا خيرَ خَلْقِ اللهِ أَنْتَ نَصِيرُنا في كُلِّ مُعْتَرَكٍ وَأَنْتَ المُنْجِدُ
لِهُدَاكَ نُحيي كُلَّ عيدِ نُبُوَّةٍ ذِكْرَى على طُولِ المَدَى تَتَرَدَّدُ
ذكرى يَشِعُّ المَجْدُ في جَنَبَاتِها هَلْ فِيكِ يا دُنيا أَعَزُّ وَأَمْجَدُ؟
ولمطلعِ القَرْنِ الجديدِ تحيةٌ حُبِّي بها للمُصطفى يتجدَّدُ [1]

* * * *

لكَ يا رسولَ اللهِ حُبٌّ غامرٌ وَلَكَ الثَّناءُ الدَّائمُ المتردِّدُ
أَعْليتَ دينَ المؤمنينَ، وإِنَّهُمْ لك يحمدون وإنَّني لك «أحمدُ»
يا مَنْ على الخُلُقِ العظيم خلالُهُ وإلى مكارمها بُعِثْتَ وتُرْشِدُ
زانَتْ شمائِلُكَ الخلالَ بأسرها وشدا بها مُتَرَنِّمٌ وَمُغَرِّدُ
فإذا تَفَقَّدَتِ الأمانَةُ أهلَها قامت «قريشٌ» كلُّها لكَ تَشْهَدُ
وإذا الغِوايةُ ثَبَّتَتْ أَطْنَابَها وضلالها استشرى فأنتَ المُرْشِدُ
وإذا استَعَزَّ ذوو العُرُوشِ بِمَحْتِدٍ فَبِسَيِّدِ الرُّسْلِ اسْتَعَزَّ المَحْتِدُ
وإذا أُولو العَزْمِ انتضَوْا فَمُحَمَّدٌ عَزَماتُهُ عند السُّها أو أَبْعَدُ

(١) البيت ساقط من إحدى النسخ.

وإذَا غَزَوْتَ فإِنَّ بَأْسَكَ في الوَغَى ... سَهْمٌ إلى صَدْرِ العَدُوِّ مُسَدَّدُ

وإذا غَضِبْتَ فَسَيْفُ بَطْشِكَ مُصْلَتٌ ... وإذا عَفَوْتَ فَنَصْلُ ثَأْرِكَ مُغْمَدُ

وإذا استعاذَ بِكَ العِدَا عوَّذْتَهُمْ ... فإذا العَدَاءُ مَحَبَّةٌ وَتَوَدُّدُ

وإذا نهارُ النَّاسِ دُنْيَا، كُنْتَهُ ... دينًا مع الدُّنْيَا، بِهِ تَتَقَيَّدُ

وإذا فَرَغْتَ مِنَ النَّهارِ لليلهِ ... أَمْسَيْتَ في ظَلْمَائِهِ تَتَهَجَّدُ

وإذا العُفَاةُ دَعَوا مَدَدْتَ لهم يدًا ... ما إنْ تُدَانِيها إلى الحُسْنى يدُ

وإذا مَسَحْتَ على الهُمُومِ مَحَوْتَها ... فَتَبَدَّدَ الهَمُّ المُقِيمُ المُقْعِدُ

وإذا عَطُفْتَ فكلُّ ما جَنَّتْهُ في ... أرحامها الدُّنيا بحُضْنِكَ يُولَدُ

وإذا حَكَمْتَ وَكُلُّ حُكْمِكَ عَادِلٌ ... خَضَعَ القويُّ وأَذْعَنَ المُتَمَرِّدُ

وإذا نَطَقْتَ فما نَطَقْتَ عَنِ الهَوَى ... الوَحْيُ يُوحَى والمُعَلِّمُ أَيِّدُ

وإذا استقى العُلَمَاءُ مِنْكَ عُلُومَهُمْ ... فَهُمُ الظِّمَاءُ وَبَحْرُ عِلْمِكَ مَوْرِدُ

* * * *

وَحَدِيثُكَ العَذْبُ الشَّرِيفُ وإِنَّهُ ... دُرٌّ على سَمْعِ الزَّمانِ مُنَضَّدُ

لا تَعْجُبوا مِنْ عِلْمِهِ وهو الَّذي ... ما كان يَعْرِفُ كيف تُقْرَأُ «أَبْجَدُ»

«جبريلُ» بالوحي الكريم مُعَلِّمٌ ... و«حِراءُ» معتكَفُ التَّعَبُّدِ معهدُ

* * * *

خُذْ من صفات المصطفى، لم أَحْصِها ... مَهْمَا عَدَدْتُ فإنَّها تتعدَّدُ

لو أَنَّني أسطيعُ حَصْرَ صفاتِهِ !! كيفَ السبيلُ وَهُنَّ بحرٌ مُزْبِدُ ؟!
يَفْنَى الكلامُ ولا يُحِيطُ بِوَصْفِهِ أَيُحيطُ مايَفْنَى بما لا يَنْفَدُ ؟!

* * * *

شِعْرِي الرقيقُ، إليكَ قد أَطْلَقْتُهُ حُرًّا يُغَرِّدُ في عُلاكَ ويُنْشَدُ
فَجَـرى على أَمْوَاجِ بَحْرٍ«كاملٍ» بِكَمَالِ ذَاتِكَ رَاحَ يُرْغِي يُزْبِدُ
وأنا المُقَيَّدُ في هواكَ، وفي الهوى يزهو الأسيرُ ويمرحُ المُتقيِّدُ
أبدعتُ في حُبَّيْكَ، إلا أَنَّني للمادحينَ المُبدعينَ مُقَلِّدُ
ياليـتَ أَنَّ بلاغـتي كمَحَبَّتي وَمِدَادَ شِعْرِي في مَدِيحِكَ عَسْجَدُ

* * * *

مهما مَدَحْتُكَ يارسولُ فَمِدْحَتي دُونَ المَقامِ وإِنْ عَــكَفْتُ أُجَوِّدُ
مابَعْدَ قَوْلِ الوَحْيِ فِيكَ تَزَيُّدٌ لبلاغَـةِ يأتي بها مُتَزَيِّدُ
اللهُ أَثْنَى والمَلائِكُ أَيَّدوا واللهُ صلَّى والخلائقُ ردَّدوا
واللهُ نادى مَنْ هَدَاهُمْ هَدْيُهُ صلُّوا عليه وسلِّموا يامَنْ هُدُوا
تَتْرَى عليكَ صلاتُنا وسلامُنا مالاح نجمٌ أو تألَّقَ فَرْقَدُ

يارب
ولا بد من يارب في كل شدة [1]

[من الطويل]

لَقَدْ لاحَ لي حَيْني و واللهِ ما أَدْري ... أَيَشْرَحُ صَدْري أَمْ يضيقُ به صَدْري؟
أَحِبَّاي عُـذْراً أَنْ أُفارِقْ فَإِنَّني ... لَأَحْوَجُ مِنْكُمْ في الفِرَاقِ إِلى العُذْرِ
وما كانَ أَمْري في يَدِيَّ فليسَ لي ... لدى حَادِثاتِ الدَّهْرِ شيءٌ مِنَ الأَمْرِ
أَلا مَنْ مُـجيري؟ من مُـجيري ومُنْقِذي ... مِنَ الدَّهْرِ واغوثاهُ مِنْ قَسْوَةِ الدَّهْرِ
وَكُنَّـا كتابـاً حافِلاً بِسُطُورِهِ ... فَصَـيَّرنا سطراً وأَخْنَى عـلى السَّطْرِ
وأَسْلَمْتُ وجْهي للمقاديرِ تاركاً ... أَعِنَّتَها تَـجْري بنا كيفما تَـجْري
مَتَى مِتُّ فانْعَوْني بما أَنا أَهْلُهُ ... فقد كان ذِكْري عِنْدَكُمْ أَطْيَبَ الذِّكْرِ
وشُقِّي عليَّ الجَيْبَ «يا أُمَّ أَمْـجَدٍ» ... وقُولي أَيا عِزِّي وقُولي أَيا فَخْرِي

* * * *

خُذُوني فَشُدُّوني بِثَوبي إِلى الثَّرَى ... فَقَدْ صارَ شَدِّي بَعْدَ عُسْرٍ إِلَى يُسْرِ
وهيَّا فَعُودوا لا تَـخافوا على امْرِئٍ ... تُضِيءُ لهُ أَعْـمَالُهُ ظُلْمَةَ القَبْرِ
دَعُـــونيَ مِـنْ أُوْلَاي للهِ إِنَّـني ... أَرَى عِنْدَهُ أُخْـراي تُشْرِقُ بِالبِشْرِ
وَإِنْ ضاعَ قَدْري في الأَنامِ فَإِنَّني ... لَدَى حَافِظِ الأَقْدَارِ يَـحْفَظُ لي قَدْري
وَيَقْدِرُ لي سَبْقِي وَفَضْلَ مَدَارِسي ... وَيَقْدِرُ لي شِعْرِي ويَقْدِرُ لي نَثْرِي

* * * *

(١) تحت شمس الشعر: ٦٤- ٦٥

أَتَقْضِي مَعِي إِنْ حَانَ حَيْنِي مَعَارِفِي ... وما حُزْتُها إِلَّا بِصَبْـرٍ على صَبْرِ

ويـُحْزِنُـنِـي أَلَّا أُوَرِّثُـها كـما ... يُوَرَّثُ لِلأَبْناءِ ما حَازَهُ غَيْـرِي

ويارَبِّ ماذا بَعْدَ هذا مَصِيرُنا؟ ... وحَقُّكَ ما أَدْرِي فَـأَنْتَ الَّذِي تَدْرِي

وما مِنْ مَصِيري كانَ ذُعْـرِي وَإِنَّـما ... مَصِيرُ حَشاشاتِي يُسَبِّبُ لي ذُعْـرِي

أَخافُ عليهم عَثْـرَةً في حَياتِـهِمْ ... بها خَيْلُـهُـمْ تَكْبُـو على مَسْلَكٍ وَعْـرِ

* * * *

ويَهْدَأُ قَلْبِي بَعْدَ خَوْفِي لِأَنَّنِي ... تَرَكْتُ إِلَيْكَ الأَمْرَ يا صَاحِبَ الأَمْرِ

وفي حُضْنِكَ الواقِي الحِمايَةُ فاحْمِـهِمْ ... وَأَسْبِلْ عَلَيْهِمْ مِنْ عَطائِكَ بالسِّتْرِ

يُعِيدونَ أَمْـجادَ الجُـدُودِ بِعَـزْمَـةٍ ... ويُعْلُونَ للأَوْطانِ أَلْوِيَـةَ النَّصْرِ

وَمِنْ أَجْلِـهِمْ أَدْعُوكَ « يارَبِّ» فاستَجِبْ ... لِمَـنْ عاشَ يسترضيكَ بالذِّكْرِ والشُّكْرِ

وعَلَّمْتُهُمْ «يارَبِّ» دَعْوَةَ عَائِزٍ ... تُـجَنِّبُـهُمْ ما أَضْمَرَ الدَّهْرُ مِنْ غَدْرِ

* * * *

ولا بُدَّ مِنْ «يارَبِّ» في كُلِّ شِدَّةٍ ... فـ « يارَبِّ» فيها راحةُ القَلْبِ والفِكْرِ

في العيد القومي
للدقهلية [1]

[من الرمل]

باسْمِكَ اللّٰهُمَّ رَبَّ العالمينْ ... باسْمِكَ الأعلى وبالعَرشِ المَكِينْ

باسْمِكَ البارئُ كُلَّ النَّسَمِ ... باسْمِكَ المُبدِعُ شَتَّى النِّعَمِ

باسْمِكَ المَعْبودُ نَدْعُو مُخلِصينْ ... وبـهِ لا بِسِـواهُ نَسْتَعِيـنْ

أَنْـتَ رَبُّ الرُّوحِ رَبُّ القَلَـمِ ... عَلَّـمَ الإِنْسَانَ مالَـمْ يَعْلَـمِ

فِـضْ عَلَيْنَا بِفُتُـوحِ العَارِفِيـنْ ... رَبَّنَا وَاكْتُبْ لنا النَّصْرَ المُبِيـنْ

* * * *

نَحْنُ مِنْ أَعْوَادِ واديكَ الحَبِيبْ ... نَحْنُ مِنْ نَبْتِ ثَـرَى مِصْرَ الخَصِيبْ

رِقَّةٌ في السِّلْمِ كالزَّهْرِ الرَّطِيبْ ... يَنْفُخُ العِطْـرِيَّ مِنْ مِسْكٍ وطيبْ

وَلَـدَى الجُـلَّ سِبـاعٌ في الفَـلا

ضَرَبَتْ بالصِّيدِ تُرْدِي المُعْتَدِيـنْ

* * * *

نَحْنُ أَبْنَاءُ الشَّمَالِ السُّعَداءْ ... مُلْتَقَى البَحْرَينِ في غَيْـرِ اعتداءْ

جَوُّنـا صَحْوٌ بأَرْضٍ وَسماءْ ... في السَّحابِ السَّمْحِ في الرِّيحِ الرَّخاءْ

مُزْجِيـاتٍ كُلَّمـا قِيـلَ هَـلا

---

(١) القصيدة مخطوطة لديّ صورة منها.

قالتـــا إنَّـــا أَتَيْنَـــا طائعيـــنْ

* * * *

كانت المنصورةُ الجيشَ الخَمِيسْ اسألوا عنها الفرنسيسَ لويسْ

رامَ دَوْسَ الشَّرْقِ بالغَزْوِ فَدِيسْ وهْوَ في دارِ ابنِ لُقمانَ حَبِيسْ

سائِلُوهـا واسأَلُـوا عَنَّـا العُـلا

فلديهـــا النبـــأُ الحـقُّ اليقيـــنْ

* * * *

واذكـروا بالفَخْـرِ بيـنَ النَّيِّـراتْ شَجَـــرَ الدُّرِّ وشَمْسَ الملـــكاتْ

جَعَلَتْ من زَوْجِهَا وهْوَ رُفَاتْ مَلِـكاً حيـًّا يَجُلُّ المُعْضِلاتْ

وإذا الغـابُ من اللَّيـثِ خلا

فَلِأُمِّ الشِّبلِ أَنْ تَرْعى العَرِينْ

* * * *

قُلْ لمن فَكَّـرَ في نَهْبِ الشُّعُوبْ عُدْ بِسَهْمٍ طاشَ واسْلَمْ مِـنْ شَعُوبْ

نحنُ مَنْ تَعْلَمُ جِـنٌّ في الحُروبْ نَفْتَدِي الغابَ بِحبَّاتِ القُلُوبْ

بُـــوءْ عَنِ الجَنَّـــةِ مَدْحُـوراً ولا

تَقْتَـــرِبْ يانسلَ إِبْلِيـــسَ اللَّعِيـــنْ

* * * *

لكَ يانيــلُ ووادِيــكَ الجُهُــودْ نَحْنُ من حولكَ في عَزْمِ الأُسُودْ
لَنْ نَنَامَ الليلَ لسنا بالهُجُودْ أو نَرَى مِصْرَ سَمَاءً في الوجودْ
بَعَثَــتْ مَجْـدَ الفراعيــنَ الأُلى
شَيَّدوا الأَهْرامَ مَعْدُومَ القَرِينْ

* * * *

خَيَّــمَ الظُّلْــمُ على الوادي وطَــالْ فَأَعَــادَ اللهُ نُوحـاً للقَنَــالْ
يَصْنَعُ الفُلْكَ بأَقْوَاسِ الحِبَالْ وهْيَ تجري فَوْقَ مَوْجٍ كالجبالْ
وقضــى اللهُ فَأَرســاهــا على
شاطئِ الأَمْـنِ وأَخْزَى المُجْرِمِيـنْ

* * * *

أَسْمَعَ الدُّنيا صدى البَعْثِ الجديدْ وشَأَتْ مِصْرُ به عَصْرَ الرَّشِيدْ
هُوَ في أَسْماعِنا النَّشوى نَشِيدْ وهْوَ في التَّاريخ للأَحْرارِ عِيدْ
أَخْصَــبَ الوادي فآتي الأُكُلا
واجْتَنَينــا مِنْ جَنَــاهُ كُلَّ حِينْ

* * * *

أَيُّها الثَّاوونَ بَيْـنَ الشُّهَـداءْ قَدْ بَنَيْتُـمْ ثُمَّ أَتْمَمْنا البِنَـاءْ
حَقَّقَ الشَّعْبُ الأَمانيَّ الوِضَاءْ ثُـمَّ تَوَّجْنَــا الأَمــاني بالجَــلاءْ

سُوِّيَـتْ خَلْقًا وكانَتْ أملا

وعلى القَفْرِ جَرَى الماءُ المعينْ

* * * *

باسْمِكَ اللّٰهُمَّ رَبَّ العالمينْ باسْمِكَ الأعلى وبالعَرشِ المَكِينْ

باسْمِكَ البارئُ كُلَّ النَّسَمِ باسْمِكَ المُبدِعُ شَتَّى النِّعَمِ

باسْمِكَ المَعْبودُ نَدْعُو مُخلصينْ وبهِ لا بِسِواهُ نَسْتَعِينْ

أَنْتَ رَبُّ الرُّوحِ رَبُّ القَلَمِ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مالَمْ يَعْلَمِ

فِضْ عَلَيْنَا بِفُتُوحِ العَارِفينْ رَبَّنَا وَاكْتُبْ لنا النَّصْرَ المُبينْ

* * * *

في عيد الأم [1]

[من الطويل]

أَبَرُّ تَحيَّاتِي وتَقْدِيرِيَ الأَسْمى ... لِـمَنْ فَضْلُها وَفَّى، وَمَنْ فَيْضُها عَمَّ

مُعَلِّمَتِي أُمِّي، تَوَلَّتْ رِبَايَتِي ... وَأَكْرِمْ بمَنْ رَبَّتْ، وَأَنْعِمْ بها أُمَّا

وَمَامَا «ثُرَيَّا» في السَّماءِ مَقَامُها ... تَعالى عُلُوَّ النَّجْمِ أَوْ جَاوَزَ النَّجما

* * * *

مَذَاهِبُ تَرْشِيدِ الطُّفولَةِ كُلُّها ... أُمومَتُكِ المُثْلَى أَحَاطَتْ بها فَهْمَا

لَقَدْ سُسْتِنَا بالقِسْطِ ليناً وَشِدَّةً ... فآوِنَةً حِلْماً، وَآوِنَةً حَزْمَا

وحَبَّبْتِنَا في الدِّينِ وهْوَ فَضَائلٌ ... كَسَبْنَا بها الحُسْنَى ولم نَكْتَسِبْ إِثْمَا

ولَوْلَاكِ لم نَعْرِفْ صَلاةً ولا هُدًى ... ولَوْلَاكِ لم نعرف زَكَاةً ولا صَوْمَا

* * * *

خَضَعْنَا لِمَا يَقْضِي الوفاءُ لها بِهِ ... خُضُوعَ بَصِيرٍ كان من غيرها أَعْمَى

وَنَحْنِي جِبَاهاً للتُّرابِ الَّذي ازْدَهَى ... بِيُمْنِ خُطَاهَا ثم نُشْبِعُهُ لَثْما

فَكَمْ طَهَّرَتْ رُوحاً وكَمْ نوَّرَتْ نُهًى ... وَكَمْ هَذَّبَتْ خُلْقاً وكم أَكْسَبَتْ عِلْمَا

وفي عِطْرِ أَزْهَارِ الرَّبيعِ وعيدِهِ ... عَلَى عِيدِها نُهْدِي لها حُبَّنَا الجمَّا

(١) ابنتك وتلميذتك يا ماما «ثريا»، رشا أحمد عبد المجيد، في عيد الأم عيد الربيع سنة ١٩٨٢م

عيد الربيع[1]

[من الطويل]

ديارٌ لنا بالمَجْدِ تَعْلُو وتَعْظُمُ ... ولَكِنَّ دُورَ العِلْمِ أعلى وأَعْظَمُ

إلى أُمَّهَاتٍ عَلَّمَتْنَا تَحِيَّةً ... تَمَنَّيْتُ لو كانَتْ مِنَ الدُّرِّ تُنْظَمُ

فَمِنْ دُرِّهِنَّ الطَّاهِرِ الثَّرِّ دُرُّنا ... وَمِنْ رَوْضِهِنَّ المُنْتَشِي نَتَنَسَّمُ

وأَسَّسْنَ للتَّعْلِيمِ أَرفَعَ سُلَّـمٍ ... على دَرَجاتٍ فَوْقَهَا نَتَسَنَّمُ

بِقُوَّةِ ما أَسَّسْنَ يَقْوَى أَساسُنا ... وَمِنْ حُلْوِ ما عَلَّمْنَ يَحْلُو التَّعَلُّمُ

أُولئِكَ حَقًّا أُمَّهَاتٌ رَعَيْنَنَا ... وكالوَالدَتِ قَدْرُهُنَّ مُعَظَّمُ

وَمَا الأُمُّ إلَّا للحَياةِ رَبِيعُها ... بها الكَوْنُ زَهْوٌ والرِّياضُ تَنَمْنَمُ

وَنَحْيا مَعَ الأُمَّينِ نَرْضَعُ دُرَّنا ... وَلَسْنا وإِنْ نَكْبُرْ مِنَ الدُّرِّ نُحْرَمُ

إِذَا ما فُطِمْنَا مِنْ رَضاعَةِ هذه ... فلا نَحْنُ من إِرْضَاعِ تِلْكَ سَنُفْطَمُ

هُمَا قُرَّتَا عَيْنِ الحَيَاةِ بأَسْرِها ... هُما خَيْـرُ مَنْ أَحْبَبْتُ ... واللهُ يَعْلَمُ

* * * *

ويَصْفُو كما يَصْفُو الرَّبِيعُ كلاهُما ... كريمٌ له في الكَوْنِ عِيْدٌ مُكَرَّمُ

ربيعٌ وأُمٌّ حَلَّ عيداهُما معاً ... وعِيْدَاهُما في مِهْرَجانٍ يُكَرَّمُ

وجودُهُما أُنْسُ الحياةِ وصَفْوُها ... ويُفْرَقُ فيه كُلُّ أَمْرٍ ويُبْرَمُ

---

(١) عواطفي نحو أُمِّي، ونحو الأمهات المعلمات، يترجمها أبي عني في: «عيد الأم»، لابنته «رشا» سنة ١٩٨٥م

ويُذْكَرُ في التَّقديرِ للفَضْلِ دائماً مع الأُمَّهاتِ أَلرَّسولُ المُعَلِّمُ

وناظرةٌ مِنَّا لِلَأْلائِها الهَوَى يَفِيضُ به قَلْبٌ ويَشْدُو بِهِ فَمُ

* * * *

نُحِبُّكُمُ الحُبَّ العظيمَ وإِنَّنا نُحَيِّيكُمُ مِنْ وَحْيِهِ ونُسلِّمُ

ونُقْسِمُ أَنَّا قد صَدَقْنَا محبةً بياسينَ ... والقُرآنِ ... واللهِ نُقْسِمُ

ونَـخْـفِضُ بالذُّلِّ الرَّحِيمِ جَنَاحَنا لمن ضَمَّنا مِنْهُمْ جَنَاحٌ ومِعْصَمُ

ونَـحْنِي جباهاً للتُّرابِ الَّذي مَشَوا عليه ونَسْتَنْشِي التُّرابَ ونَلْثُمُ

شِعَارٌ على العِرْفانِ بالفَضْلِ عَلَّهُ يُعَبِّرُ عَنْ شُكْرٍ بِهِ نَتَقَدَّمُ

* * * *

تهنئة بعيد القيامة [1]

[من الرمل]

عابدٌ ظَلَّ يُناجي في الضُّلُوعِ ... هَلْ لَهُ فِيمَنْ يُناجي مِنْ سَميع؟!

إِنَّه قَلْبِي وفي قَلْبِي حَياءْ ... يَتَوقَّى الجَهْرَ حَتَّى بالوَفَاءْ

هُوَ كالرَّاهِبِ عِنْدَ الصَّوْمَعَهْ ... صَامِتٌ في صَمْتِهِ ما أَوْجَعَهْ

دَقَّ كالنَّاقُوسِ في بُرْجِ الكَنِيسَهْ ... يا غريباً مُوحشاً يدعو أَنِيسَهْ

تَسْمَعُ العَـذَراءُ مِنْ آيــاتِهِ ... سُورةَ الإِخْلاصِ في دَقَّاتِهِ !!

والمَسِيحُ الطُّهْرُ كَشَّافُ الظَّلامْ ... بَارَكَ الحُبَّ ونادى بالسَّلامْ

عِيْدُ مِيْلادِكَ يا عيسى قِيامَهْ ... أَنْحَنِي مِنْ أَجْلِ ليلاكَ أَمَامَهْ

فيكِ يا ليلايَ مِنْ نُورِ المَسِيحْ ... عَقْلُكِ اللَّمَّاحُ والوَجْهُ المَلِيحْ

اسْطَعِي كالشَّمْسِ في الصُّبْحِ الوَلِيدْ ... واهْنَئِي يا شَمْسُ بالعامِ الجَدِيدْ

---

(١) للمفتشة القديرة لمدارس البنات بالمنصورة، الآنسة: «ليلى زكي»، منطقة المنصورة التعليمية، أهنئك بالعيد ياأخت، وعشت لأمثله وأمثل أمثاله سعيدة.

في جامعة عين شمس
كنا بنـي الشرق للدنيا أساتذة [1]

[من البسيط]

مَنْ لي بِبَيْتٍ ثَرِيٍّ الجَرْسِ والنَّغَمِ ... أَرْضى به مطلعاً يَرْضَى به قَلَمِي؟

يا أَيُّها القَلَمُ العاصي اسْتَكِنْ فَلَقَدْ ... مَضَى الشَّبابُ وأَشْرَفْنَا على الهِرَمِ

أَشْكُو إلي اللهِ مِنْهُ ظامئٌ أَنِفٌ ... لا شيءَ يَرويه إِلَّا أَعْذَبَ الكَلِمِ

الذَّنْبُ ذَنْبي فَقَدْ دَلَّلْتُهُ زَمَناً ... أَسْقِيهِ مِنْ مُهْجَةٍ خَفَّاقَةٍ بِدَمي

* * * *

أَرِقْتُ سَبْعَ ليالٍ لا يُطاوعُني ... فيها القريضُ الذي قَدْ كان ملءَ فَمِي

وأَمْسُ بينَ شُجوني طافَ بي شَبَحٌ ... مِنَ الشَّياطينِ في دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ

وَوَسْوَسَ الخَاسِرُ الخنَّاسُ في أُذُني ... وكنتُ في يَقْظَةٍ ما كُنْتُ في حُلُمِ

إلى مَتَى أَنْتَ في دُنْياكَ كَبْشُ فِدًا ... دَعِ العُلُومَ وعِشْ كالجاهِلِ الضَّرِمِ

فالعِلْمُ غُرْمٌ على أَهْلِ العُقُولِ ومَنْ ... يُلْمِمْ بأَطْرَافِ ذَيْلِ الجَهْلِ يَغْتَنِمِ

يا ليتَ أَنَّكَ جَزَّارٌ أَخُو غِلَطٍ ... يَثْرَى من العَظْمِ مَدْقُوقاً على الوَضَمِ

أَوْ لَيْتَ أَنَّكَ سَمَّاكٌ تَبِيعُ بلا ... تَسْعِيرةٍ عِنْدَهُ الحِيتانُ كالبَلَمِ

أَوْ لَيْتَ أَنَّكَ في الإجْرَامِ ذو خَطَرٍ ... تُحِلُّ سَفْكَ الدِّما في الأَشْهُرِ الحُرُمِ

لا يَنْثِني جَهْلُهُمْ إِلَّا وَقَدْ رَفَعُوا ... عَمَائراً تَزْدَهي تِيهاً على «إِرَمِ»

---

(١) تحت شمس الشعر: ٤٠- ٤٧

فَإنْ أَرَدْتَ الهُدَى فَاتْرُكْ مَدائِنَنَا ... وَعِشْ مَعَ البَدْوِ في بَيْتٍ مِنَ الخِيَمِ

وبينَ كفَّيكَ صُوفٌ رُحْتَ تَغْزِلُهُ ... وَبَيْـنَ عَيْنَيْكَ رَعْيُ الشَّاءِ والنَّعَمِ

كَمْ مِنْ نبيٍّ يُنادى في قَبِيلتِهِ ... يا نَاسِجَ الدِّرْعِ أو يا راعيَ الغَنَمِ

فَقُلْتُ باللهِ مِنْكَ العَوْذُ في أُذُني ... فَإِنَّها عَنْكَ يا خَنَّاسُ في صَمَمِ

إِنْ قَلَّ مالي فَعِلْمِي أَسْتَعِينُ بهِ ... في بَعْثِ أُمَّتِيَ العُظْمَى مِنَ العَدَمِ

بالعِلْمِ والسَّيفِ يَـحْمي النَّاسُ مُلْكَهُمُ ... والنَّصْرُ بالسَّيفِ بَعْدَ النَّصْرِ بالقَلَمِ

ما إِنْ نَدِمْتُ على مَالٍ وفي وَطَني ... ومَجْدُهُ صارفٌ عَنْ عِبْرَةِ النَّدَمِ

إذا دَعَتْ «مصرُ» حينَ البأْسِ قلتُ لها ... يا مصرُ لبَّيْكِ إِنِّي أَطْوَعُ الخَدَمِ

مِنْ أَجْلِ عِزَّتِها عُدْنَا تلامِذَةً ... مِنْ بَعْدِ مالاحَ نُورُ الشَّيْبِ باللَّمَمِ

مَرَّتْ بنا «عَيْـنُ شَمْسٍ» كيفَ لا وَلَنا ... مَـجْدُ المُرَبِّينَ مِنْ كَهْلٍ ومُحْتَلِمِ

يا «عَيْـنُ» قَرِّي وضُمِّينا بأَجْنِحَةٍ ... تَحْنُو علينا كما يُحْنَى على الفَطِمِ

لَأَنْتِ أَقْدَمُ ما في الأَرْضِ جَامِعَةً ... فاسْتَمْجِدي بِجَلالِ العِتْقِ والقِدَمِ

نَشَّأْتِ «مُوسى» كَلِيمَ اللهِ جَوْهَرَةً ... كُلُّ الجَوَاهِرِ من نَادِيكِ والتُّوَمِ

أَخَالُ جَوَّكِ مِنْ أَنْفَاسِهِ عَبِقاً ... وَمِنْ كَلِيمِ الهُدَى رَجْعاً مِنَ الكَلِمِ

* * * *

كُلِّيَةَ الشَّمْسِ حُمْنَا في حِمَاكِ هُنَا ... وَمَنْ يَجِدْ سَلْسَلاً من حِكْمَةٍ يَحُمِ

جِئْنَا طَوائِفَ مِنْ شَتَّى مَدَارِسِنَا ... فَضَمَّنَا نَسَبٌ أَقْوَى مِنَ الرَّحِمِ

أَوَاصِرُ العِلْمِ أَسْمَى في قَدَاسَتِهَا ... عَبْـرَ الزَّمانِ من الأَنْسَابِ واللُّحمِ
السَّابِقُونَ وَكُلٌّ في الثَّرى أُسُدٌ ... والسَّابِقَاتُ وإِنْ أَدْلَلْنَ في الرَّسَمِ
هُنَّ المُضِيفاتُ لو أَحْبَبْتِ كُنَّ هُنا ... لَكِ الجَوارِي وَكُنَّا نَـحْنُ كالحَشَمِ

* * * *

أُمِّي الجَدِيدَةُ عَفْواً إِنْ صُرِفْتُ إلى ... سِوَاكِ في لَفْتَةٍ مِنْ خَاطِرِي وفَمِي
فَفِي جِوَارِكِ أُوْلى الأُمَّهَاتِ لَنَا ... «دَارُ العُلُومِ» الَّتي فيها اسْتَوى قَلَمِي
عَشِقْتُها في شَبَابِي يا فعاً نَهِماً ... وأَبْلَغُ العِشْقِ عِشْقُ اليافِعِ النَّهِمِ
وَرُحْتُ أَسْأَلُ أَيْنَ الدَّارُ؟ أُمْنِيَتِي ... أَيْنَ الَّتي حُبُّها أَكْوَى مِنَ الضِّرَمِ؟
قالوا: «المُنِيْـرَةُ»، قُلْتُ: العِلْمُ نَوَّرَها ... وَالحَيُّ يا كَعْبَةَ الفُصْحَى إِليكِ نَمِي
قَدْ طَالَ شَوْقُكَ يَا صَبَّ العُلُومِ إلى ... «دَارِ العُلومِ» إليكَ الرُّكْنُ فاسْتلِمِ
وَطُفْتُ أَلْتَمِسُ الجُدْرانَ أَلْمَسُها ... طَوَافَ حُجَّاجِ بَيْتِ اللهِ بالحَرَمِ
أَرْنُو إِليها بِوُجْدَاني وعاطِفَتي ... وَأَرْتَقِي بِهِمَا الأَعْلَى مِنَ الأُطُمِ
على شَمِيمِ ثَرَاهَا طَابَ مُلْتَثَمِي ... وَفِي كَرِيمِ حِمَاهَا عَزَّ مُعْتَصَمِي
عَاصَرْتُها حِقْبَةً كالبَرْقِ خَاطِفَةً ... مِنَ رَيِّقِ العُمْرِ لم تَكْدُرْ وَلَمْ تَدُمِ
نَاجَيْتُ أَطْيَافَ أَيَّامٍ قَضَيْتُ بِهَا ... فَأَرْجَعَتْنِيَ مِنْ شَيْبِي إِلى حُلُمِي
إِنَّا كَبِرْنَا وَمَا زَالَ الفُؤَادُ بِهِ ... صَبَابَةٌ طِفْلَةٌ مَكْفُولَةُ الحُرَمِ
يَا عَاذِلاً لامَنِي في حُبِّها عَجَبي ... لَوْ شَفَّكَ الوَجْدُ لَمْ تَعْذِلْ وَلَمْ تَلُمِ

* * * *

قُمْ حَيِّ في سَاحَةِ العُليَا عَبَاقِرَةً ... مِنْ كُلِّ عَلَّامَةٍ في عِلْمِهِ فَهِمِ

صُغْهَا مِنَ الرُّوحِ أو نُورِ العُيونِ لَهُمْ ... تَحِيَّةً كَأَرِيجِ الرَّوْضِ في النَّسَمِ

وَاتْرُكْ خَيَالَكَ في شَتَّى جَوَانِبِها ... يَجْرِي طَلِيقاً مِنَ الأَرْسَانِ والشَّكَمِ

صَوِّرْ بِهَا بَعْضَ ما يَهْتَاجُ جَانِحَتِي ... وَانْشَطْ لتَصْوِيْرِها يا شِعْرُ وابْتَسِمِ

يا شِعْرُ وَأْتِ بها عَصْمَاءَ ساحِرَةً ... غِرِّيدَةً حُلْوَةَ التَّرجِيعِ والنَّغَمِ

إنَّا نُؤَدِّي فُرُوضَ الحُبِّ خاشِعَةً ... في هَيْكَلٍ من جَلَالٍ بَاذِخِ العِظَمِ

وَكَعْبَةٌ للهُدَى قَدْ عَزَّ سَادِنُها ... وَلَيْسَ مِثْلُ «صلاحِ الدِّينِ» في شَمَمِ

جِئْنَا نُؤَدِّي فُروضاً نَحْوَ جَمْهَرَةٍ ... في العِلْمِ أَشْهَرُ مِنْ نَارٍ عَلَى عَلَمِ

هُمُ الصَّحَابَةُ ما مِنْهُمْ سِوَى ثِقَةٍ ... في عِلْمِهِ عَبْقَرِيٌّ رَاسِخُ القَدَمِ

أَمَانَةُ العِلْمِ في أَيْدِيهِمُ وضِعَتْ ... وَمَنْ يُوَفِّ بِهَا يُحْمَدْ ويُحْتَرَمِ

يَسْقُونَنَا العِلْمَ تَسْنِيماً عَنَاصِرُهُ ... مِزَاجُها مِنْ مَعِينِ الظَّرْفِ والحِكَمِ

انْهَلْ مِنَ الفَيْضِ واستَطْعِمْ مناهِجَهُ ... لا تَخْشَ مِنْ شَرَقٍ، ولا تَخْشَ مِنْ تُخَمِ

فَطَالِبُ المَجْدِ مَنْهُومٌ أَخُو شَرَهٍ ... وَطَالِبُ العِلْمِ مَهْمَا عَبَّ فَهْوَ ظَمِي

فِيهِ لِذِي سَغَبٍ، فِيهِ لِذِي ظَمَأٍ ... قُوْتُ القُلُوبِ وَسَلْسَالٌ مِنَ الشَّبِمِ

أَئِمَّةٌ يَسْحَرُ الأَلْبَابَ عِلْمُهُمُ ... فَلُذْ بِهِمْ إنْ أَرَدْتَ النُّجْحَ وائْتَمِمِ

تَزَوَّدُوا بِثَقَافَاتٍ مُنَوَّعَةٍ ... وَاسْتَرْشِدُوا بِعُلُومِ العُرْبِ والعَجَمِ

مِنْ كُلِّ نَدْبٍ حَصِيفِ الرَّأْيِ مُقْتَدِرٍ ... وَكُلِّ أَرْوَعَ صِنْدِيدِ الفُؤَادِ كَمِي

مَنَاهِجُ البَحْثِ قَدْ شَادوا قَوَاعِدَها ... على أَسَاسٍ مِنَ التَّخطيطِ مُدَّعَمِ

رَعَتْنَ في ظلِّهم نُعْمَى رَتَعْتُ بِهَا ... وَكُنْتُ مِنْ قَبْلِهِمْ في مَرْتَعٍ وَخِمِ

يَا وَيْحَ قَلْبِيَ مِنْ حُبِّي شمائِلَهُمْ ... إِنْ قُلتُ هَيَّا استَفِقْ مِنْ حُبِّهِمْ يَهِمِ

وقالَ دَعْنِيَ هَيْمَاناً فإِنَّ لنا ... في ظِلِّهم خَيْـرُ ما في العَيْشِ مِنْ نِعَمِ

إِنْ عَاهَدوا فَوَفَاءُ العَهْدِ شِيْمَتُهُمْ ... أَوْ أَقْسَمُوا قَيَّدَتْهُمْ حُرْمَةُ القَسَمِ

* * * *

أَمَّا العَمِيدُ فَفِي المَيْدَانِ فَارِسُهُ ... إِنْ قِيْلَ هَلْ مِنْ فَتـىً مِنْ حَامِلِ العَلَمِ

للخَيْـرِ مِنْهُ خُطاً سَبَّاقَةٌ وَيَدٌ ... تَنَافَسَتْ في عَطَايَاهَا مَعَ الدِّيَمِ

والمُشْكِلاتُ إِذَا اسْتَعْصَتْ فَعَالجُها ... أَلْقَتْ إِلى رَأْيِهِ الأَسْمَى يَدُ السَّلَمِ

وَمَا تَضَارَبَتِ الآراءُ في جَلَلٍ ... إلا التقتْ عندَهُ في سَاحَةِ الحِكَمِ

له على مَـجْدِهِ ما ازدانَ مِنْ صُوَرٍ ... مَنْ يَلْتَمِسْها يَرَ الأَلْوانَ في الشِّيَمِ

حَدِيثُهُ الشَّهْدُ أَلْواناً، سُلافَتُهُ ... تُحيي القُلُوبَ وتَشْفِيها مِنَ السِّقَمِ

وَعِلْمُهُ الشَّمْسُ في الآفَاقِ مُشْرِقَةٌ ... فَلَيْسَ يُنْكِرُها في الأُفقِ غيرُ عَمِي

وَحَوْلَهُ أَنْجُمٌ زُهْرٌ تُحِيطُ بِهِ ... إحاطةَ الحُلْيِ بالأَجيادِ والعُصُمِ

إِجْلالُهُمْ مُسْتَكِنٌّ في جَوَارِحِنَا ... تَصْوِيرُهُ الحَقُّ لا يَقْوَى عَلَيْهِ فَمِي

خُذْهُ مِنَ الحُبِّ حُبٌّ لا اتِّهامَ بِهِ ... حُبُّ المُرَبِّينَ فَوْقَ الشَّكِّ والتُّهَمِ

* * * *

شِعْرِي بِـجَانِبِ عَلْياكَ التي سَمَقَتْ ... كَجَمْعِيَ الفَارِعَ العِمْلاقَ بالقَزَمِ

يَا لَيْتَ أَنِّيَ زَهْرٌ كُنْتَ تَسْمَعُنِي ... أُثْنِي عَلَيْكَ كَمَا أُثْنِي على هَرَمِ
شَتَّانَ ما بَيْـنَ عِقْدٍ رُحْتُ أَنْظِمُهُ ... وبَيْـنَ عِقْدِ خِلَالٍ فِيْكَ مُنْتَظِمِ

* * * *

لَمْ يَصْطَفِ اللهُ مِنْ هَادٍ لأُمَّتِهِ ... إِلَّا اصْطَفَاهُ لِـحَمْلِ الجَهْدِ والأَلَمِ
وَأَنْتَ كُفءٌ لهذا العِبءِ فَامْضِ بِهِ ... وَاحْسِمْ بِرَأْيِكَ فيه الأمرَ يَنْحَسِمِ
وَأَنْتَ قُطْبُ رَحَاهَا وَهْيَ دَائِرَةٌ ... وَأَنْتَ يُوسُفُهَا المَرْجُوَّ في الغَمَمِ
تَقُودُ قَافِلَةَ التَّعْلِيمِ آمِنَةً ... في فَدْفَدٍ من وِهَادِ الجَهْلِ والأَكَمِ
بِمِثْلِ ما قَادَ رُبَّانٌ سَفِيْنَتَهُ ... في زَاخِرٍ صَاخِبِ الأَمْوَاجِ يَلْتَطِمِ
فَاسْلَمْ بها وَلَنا أَنْتَ النَّجاءُ وَمَنْ ... يَلُذْ بِـحِصْنِكَ بالجُودِيِّ يَعْتَصِمِ

* * * *

أَتى عَلى الشَّرْقِ حِيْنٌ وَهْوَ في سِنَةٍ ... وَأَعْيُنُ الغَرْبِ لَمْ تَغْفَلْ ولَمْ تَنَمِ
كُنَّا بني الشَّرْقِ لِلدُّنْيَا أَساتِذَةً ... وَالغَرْبُ يَرْتَعُ كالقُطْعَانِ في الأَجَمِ
مَا بَالُنَا قَدْ تَخَلَّفْنَا وَهُمْ دَرَجوا ... إلى مَجَالٍ بِرُوحِ السَّبْقِ مُتَّسِمِ
هُمْ فَجَّروا الذَّرَّةَ الصَّمَّاءَ واكْتَشَفُوا ... سِرَّ الوجُودِ فَأَضْحَى غَيْرَ مُنْكَتِمِ
وَانْسَابَتِ الطَّاقَةُ العَشْواءُ جَامِـحَةً ... لولا شَكَائِمُ مِنْ قَيْدٍ ومِنْ لَجَمِ
وأَرْسَلُوها صَوَارِيخاً مُزَمْجِرَةً ... إلى فَضَاءٍ بآي اللهِ مُزْدَحِمِ
وَضَاقَتِ الأَرْضُ إِعْجَازاً بما صَنَعُوا ... فَجَاوزُوها إلى الأَفْلاكِ والسُّدَمِ

تَسَوَّرُوا مَعْقِلَ الجَوْزَاءِ واقْتَحَمُوا ... مَدَارَةَ الشَّمْسِ واجْتَاحُوا حِمَى النَّجِمِ
رَوَائِعُ العِلْمِ في عَصْرِ الفَضَاءِ غَدَتْ ... شَمَّاءُ تَهْزَأُ بالتِّمْثالِ وَالهَرَمِ

* * * *

يَا قَادَةَ الجِيْلِ هَاتُوا مِنْ رَوَائِعِكُمْ ... فَقَدْ صَفَا الجوُّ مِنْ غَيْمٍ ومِنْ غَمَمِ
هَاتُوا رَوَائِعَكُمْ انْجِلْتِـرا انْقَشَعَتْ ... لَقَدْ فَضَضْنا فَمَ الرَّقْشَاءَ بالثُّرَمِ
يَا طَالَـما نَفَثَتْ مِنْ مَكْرِها حِمَمًا ... وَكَمْ أَضَلَّتْ وكَمْ سَامَتْ وكَمْ وكَمِ
قَاسَتْ بِهَا مِصْرُ مِنْ جَهْلٍ وَمَظْلَمَةٍ ... وَعِلْمُها بالدَّخِيلِ المُسْتَشَارِ رُمِي
«دُنْلُوبُ» ذُو الحُمْقِ مَسَّاهَا وَصَبَّحَها ... بِمَا يُرَوِّعُ في الإِصْبَاحِ والعَتَمِ
وَجْهٌ مِنَ الشَّرِّ والكُفْرَانِ رُؤْيَتُهُ ... تُضْوِيْكَ مُلْتَئِماً أَوْ غَيْـرَ مُلْتَئِمِ
«كُرُومَرٌ» سَاقَهُ كي مَا يُجَهِّلُنا ... فَسَاقَنَا بِسِياطِ الجَاهِلِ الغَلِمِ
هَلْ كَانَ يَقْصِدُ تَعْلِيماً وَتَرْبِيَةً ... لَمَّا رَمَى لُغَةَ الإِعْرَابِ بالبَكَمِ
وَزَيَّفَ الكُتْبَ مَا مِنْ مُصْلِحٍ بَطَلٍ ... إِلَّا رُمِي باطلاً بالطَّيشِ واللَّمَمِ
سَعْدٌ عُرَابِيٌّ شَوْقي كُلُّ دَاعِيَةٍ ... لِلْبَعْثِ أَصْلَوْهُ في مَنْفَاهُ بالحِمَمِ
جَوْرٌ مِنَ الجَمْرِ مَا كُنَّا لَهُ نُخْفِي ... إِلَّا بِدَمْعٍ مِنَ الإِشْفَاقِ مُنْسَجِمِ
نَشْكُو وَلَكِنْ إِلى مَنْ رَاحَ يَظْلِمُنا ... شَكْوَى الجَرِيحِ إِلى العِقْبَانِ والرَّخَمِ
فَأَصْلِحُوا اليومَ ما بالجُورِ أَفْسَدَهُ ... وضَمِّدُوا الجُرْحَ بالتَّعْلِيمِ يَلْتَئِمِ
فَأَنْتُمُ رُسُلُ الإِصْلاحِ في بَلَدٍ ... بِوَحْدَةِ الصَّفِّ أَضْحَى غَيْـرَ مُنْقَسِمِ
نَأَتْ بِهِ الثَّوْرَةُ الغَرَّاءُ عَنْ شَبَهٍ ... مِنَ الجُمُودِ وَعَنْ مَعْنًى مِنَ السَّأَمِ

مَحَا سَنَا الفَجْرِ عَنْ آفَاقِنَا ظُلَمًا ... تَخَلَّفَتْ مِنْ بقايا الأَعْصُرِ الدُّهُمِ

أَنْتُمْ أَشِعَّةُ هذا الفَجْرِ فَانْتَشِروا ... على العُرُوبَةِ وامْحُوا داجِيَ الظُّلَمِ

قَوْمِيَّةُ العَرَبِ الأَمْجَادِ مَافَتِئَتْ ... هَتَّانَةَ الخَيْـرِ مِثْلَ العَارِضِ العَرِمِ

قُمْتُمْ دَعَائِمَ مَـجْدٍ في مَعَاهِدِها ... فَشَيِّدُوها على طُهْرٍ مِنَ الذِّمَمِ

مَـجْدٌ جَنَاحَاهُ: تَعْلِيمٌ، وَتَرْبِيَةٌ ... وَقَلْبُهُ المَثَلُ الأَعْلَى مِنَ القِيَمِ

وَالمَجْدُ كالصَّرْحِ تَدْعِيمٌ وَتَعْلِيَةٌ ... إِنْ لَمْ تُقِمْهُ على التَّعْليمِ لَمْ يَقُمِ

النَّاسُ مَرْضَى وفي التَّعْلِيمِ طِبُّهُمُ ... فَالعِلْمُ لِلْجَهْلِ مِثْلُ البُرْءِ لِلسَّقَمِ

وَالنَّاسُ مَوْتَى وَفِي التَّعْلِيمِ بَعْثُهُمُ ... فَابْعَثْ بِهِ كالَّذي يُحْيِي مِنَ الرَّجِمِ

وَأُمَّةٌ دُونَ عِلْمٍ أَيِّمٌ رَمُلَتْ ... لَوْ عَالَـها العِلْمُ لَمْ تَرْمُلْ ولَمْ تَئِمِ

أَشِعَّةُ العِلْمِ تَسْرِي في مَدَارِكِها ... بالفَهْمِ والوَعْيِ مَسْرَى النُّورِ في الظُّلَمِ

* * * *

يَا صَفْوَةَ النَّاسِ أَخْلاقاً وَمَعْرِفَةً ... وَقُدْوَةَ النَّاسِ في الإِيْثَارِ وَالكَرَمِ

بِمِثْلِكُمْ تَهْتَدِي الدُّنْيَا لِغَايَتِها ... وَتَسْتَقِيمُ على مِنْهَاجِها التَّمَمِ

وَرِثْتُمُ أَنْبِيَاءَ اللهِ في جَلَدٍ ... على الجِهَادِ ومَصْدُوقٍ مِنَ الهِمَمِ

مَنْ يَـخْلُقُونَ الرِّجَالَ الخَالِقِينَ لها ... يَسْتَشْرِفُونَ مِنَ العُلْيَا على القِمَمِ

وَلَيْسَ يَعْدِلُ ذُو عِلْمٍ يُعَزُّ بِهِ ... مَنْ بَاتَ يَعْكُفُ مِنْ جَهْلٍ على صَنَمِ

حَقِيقَةٌ خَلَّدَ التَّنْزِيلُ حِكْمَتَها ... وَسَطَّرَتْهَا يَدُ التَّارِيخِ مِنْ قِدَمِ

باسْمِ الَّذِي أَنْزَلَ «اقرأْ» خَيْـرَ فاتِـحَةٍ ... وبِاسْمِ مَنْ عَلَّمَ الإِنْسَانَ بِالقَلَمِ

باسْمِ العَلِيمِ وحَسْبُ العِلْمِ تَكْرُمَةً ... بِأَنَّهُ صِفَةٌ للهِ ذِي النِّعَمِ

بِكُمْ سَنَلْحَقُ بِالرَّكْبِ الأُولى سَبَقُوا ... وَنَسْتَرِدُّ زِمَامَ السَّبْقِ في الأُمَمِ

* * * *

اليَوْمَ نُرسِي عَلاقَاتٍ مُوَطَّــدَةً ... مِنَ التَّعارُفِ والحُسْنَى عَلَى دَعَمِ

عَامٌ بَدَأْنَاهُ بالإِقْبَالِ في أَمَلٍ ... حَقِّقْهُ يَا رَبِّ وامْنَحْ حُسْنَ مُخْتَتَمِ

معلم قبل الغروب [1]

[من الطويل]

ذَرَى العُمْرُ يا صَحْبِي وَوَدَّعَ غالِيَهْ ... وَلاحَتْ على الأُفْقِ القَرِيبِ مَغَارِبُهْ

مَضَى مِنْهُ ما أَمْضَيْتُ في السَّعي واضحاً ... وَيَبْقَى بِهِ في صَفْحَةِ الغَيْبِ غَائِبُهْ

وَلَوْ كانَ مِنْ عِلْمِ الحِسَابِ حَسَبْتُهُ ... وَلَكِنَّ عُمْرَ المَرْءِ يُخْطِئُ حَاسِبُهْ

وما العِلْمُ إلاَّ البَحْرُ كَمْ فِيهِ ما خَفِي ... وَمَنْ خَاضَهُ بالصَّبْرِ تَسْلَمْ مَرَاكِبُهْ

أَتَطْلُبُ مَا يَخْفَى وَعِلْمُكَ قِلَّةٌ ... وَمِنْ أَمْرِ رَبِّي عِلْمُ ما أَنْتَ طالبُهْ

وَلِلْعُمْرُ في أُمِّ الكِتَابِ كِتَابُهُ ... وَلَنْ يَمْحُوَ المُحْتَالُ ما اللهُ كاتِبُهْ

بِحَسْبِكَ مِنْ دُنياكَ عُمْرٌ بَذَلْتَهُ ... جِهاداً على القِسْطَاسِ كانَتْ مَسَارِبُهْ

* * * *

بَدَأْتُ حَيَاتِي في الحياةِ مُعَلِّماً ... على أُسُسِ الأَخْلاقِ دُقَّتْ مَضَارِبُهْ

---

(١) في الشكر على التقدير والتكريم، ولها أكثر من رواية، وبين رواياتها اختلاف كبير، وهي مخطوطة بهذه الرواية بتاريخ فبراير ١٩٨٧م، وقد نشرها الشاعر برواية مغايرة في: مجلة مدرسة دمياط الثانوية، التي تدبجها أقلام الطلبة، برياسة شرف حضرة المربي الجليل: محمود أمين، ناظر المدرسة، وبإشراف الأستاذ: محمد الصعيدي، المدرس بالمدرسة، والأستاذ: جمال الدين عبد الرازق، المدرس بالمدرسة، السنة التاسعة، مكتبة ومطبعة خضير بدمياط ١٣٦٩هـ= ١٩٥٠م ص ص٩٩- ١٠١، ونشر بعضها بعنوان: الشباب، في مجلة: إلى الأمام، التي تصدرها جماعة علم النفس التربوي، معهد المعلمين الخاص بالمنصورة، مطبعة ومكتبة السعادة بالمنصورة، بلا تاريخ ص ص٢٤- ٢٥، ، ويبدو أن الشاعر كتبها في بعض المناسبات العلمية، ثم زاد عليها في مناسبات علمية أخرى، وروايتها هنا هي آخر الروايات التي بين يدي.

يُنَشِّئُ للأَوْطَانِ جيلاً شَبَابُهُ ... أَمَامَ بُـحُورِ العِلْمِ رَاقَتْ مَشَارِبُهْ

شَبَابٌ كَزَهْرِ الرَّوْضِ إِمَّا بَدَا زَكَا ... وَرَاعَتْ عُيُونَ النَّاظِرِينَ عَجَائبُهْ

هُمُ اليومَ في الوادي وُرُودٌ، وإِنَّهم ... غَدَاةَ غَدٍ أَجْنادُهُ وكَتَائِبُهْ

وَقُوَّادُهُمْ نَـحْنُ الَّذِينَ تَعَقَّبُوا ... مِنَ الجَهْلِ جَيْشاً قَدْ تَرَامَتْ جَوَانِبُهْ

وَمِنْ عُدَّةِ العِلْمِ اتَّـخَذْنَا سِلاحَنَا ... فَلَمَّا تَسَلَّحْنَا انْدَفَعْنَا نُـحَارِبُهْ

وَمَنْ رَفَعَ الأَوْطَانَ مِثْلُ مُعَلِّمٍ ... إِذَا سَارَ يَـحْدُوهُ الضَّمِيرُ وَوَاجِبُهْ

لَقَدْ آدَ هَدْيُ النَّشْءِ كاهِلَ غَيْـرِهِ ... فَهَمَّتْ به أَعْضَادُهُ وَمَنَاكِبُهْ

يَـجُودُ علي الطُّلَّابِ مِنْ ذَوْبِ قَلْبِهِ ... وَلَوْ سَأَلُوهُ قَلْبَهُ، فَهْوَ وَاهِبُهْ

ويُزْجِي لَـهُمْ سُحْبَ المَعَارِفِ حُفَّلاً ... وَبِالعَرَقِ القَانِي تَغَمَّسَ رَاتِبُهْ

ويُعْطِي وَفَرْطُ الجَهْدِ يَسْلُبُ رُوْحَهُ ... أَلا في سَبِيلِ اللهِ ما الجَهْدُ سَالِـبُهْ

يُقَابِلُ جَوْرَ الدَّهْرِ بالصَّبْرِ والرِّضَا ... وَيَصْحَبُهُ في عِزَّةٍ لا يُعَاتِبُهْ

وفي النَّاسِ مَنْ تَلْقَاهُ لِلْمَالِ طالباً ... وَمَالُ المُرَبِّي(حِيْـنَ يَعْتَـزُّ) طالبُهْ

لَدَى مَصْرِفِ الأَمْوَالِ تَهْوَى حُظُوظُهُ ... وَفي سَاحَةِ الأَبْطَالِ تَعْلُو مَرَاتِبُهْ

جُهُودٌ بَذَلْتَاهَا فَأَعْقَبْنَ لَـذَّةً ... وَإِنَّ جِهَادَ العِلْمِ تَـحْلُو عَواقِبُهْ

جُهُودٌ تَجَلَّتْ كالكِتَابِ إِذَا بَدَتْ ... مُفَصَّلَةً أَحْكامُهُ وَمَذَاهِبُهْ

* * * *

وَعَلَّمَني دَهْرِي كَثِيراً وإِنَّما ... لأَكْثَـرُ مِمَّا قَدْ عَلِمْتُ نَوَائِبُهْ

دَرَسْتُ طِبَاعَ النَّاسِ مِنْ طُولِ صُحْبَتِي ... مَعَ الدَّهْرِ حَتَّى عَلَّمَتْنِي تَـجَارِبُهْ

تَقَاذَفُنِي هذا الزَّمَانُ كَأَنَّنِي ... سَفِينٌ جَرَتْ فِي المَوْجِ فَاشْتَدَّ صَاخِبُهْ

وَغَرَّبْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ رِيحَ مَشْرِقٍ ... وَشَرَّقْتُ حَتَّى أَنْكَرَتْنِي مَغَارِبُهْ

وَذُقْتُ النَّوَى مُرًّا وصاباً وَعَلْقَماً ... وَعَذَّبني مِنْ شَاحِطِ البَيْنِ وَاصِبُهْ

كُئُوسٌ مِنَ الآلآم أُتْرِعْنَ بالأَسَى ... فَلَوْ مَسَّها طَوْدٌ تَرَنَّحَ غَارِبُهْ

طَلَلْتُ بِهَا نَشْوَانَ فِي غَيْرِ لَذَّةٍ ... يُجاذِبُنِي سُكْرُ الأَسى وأُجاذبُهْ

غِلابٌ مَعَ الأَيَّامِ حتَّى لأَشْتَهِي ... مَعَ الدَّهْرِ يوماً لا أَرانِي أُغالبُهْ

وَلَكِنَّهُ يَأْبَى وَيَفْرِضُ خُطَّةً ... يُطَالِبُنِي فيها بِمَا لا أُطَالِبُهْ

وَلَمَّا بَرَانِي الأَيْنُ أُبْتُ لناظرٍ ... إلي كَوْثَرٍ تُرْوِي العِطَاشَ مَشَارِبُهْ

وَمَنْ طَالَ فِي بِيدِ المَخَاوِفِ ظَعْنُهُ ... إلى وَاحَةِ الأَمْنِ اسْتَقَرَّتْ رَكَائِبُهْ

هُنَا قَرَّ أَمْرِي واسْتَكَنْتُ إلى الرِّضا ... وَعاوَدَنِي مِنْ طَيِّبِ العَيْشِ ذَاهِبُهْ

ومُذْ شَرَّفَ الإِقْلِيمَ «سَعْدٌ» أَعَزَّهُ ... وَلاذَتْ لَهُ آمَالُهُ وَرَغَائِبُهْ

* * * *

لَقَدْ كانَ جَدِّي هَكَذا رَاعِيَ الحِمَى ... وَكَانَتْ على «البُسْتَانِ» تَهْمِي سَحَائِبُهْ

وَجَاءَتْ وفُودُ القَوْمِ تَمْدَحُ فَضْلَهُ ... وَمِنْ أَبْلَغِ الأَشْعَارِ تُطْرِى مَوَاهِبُهْ

وَبُشِّرَ أَنِّي شَاعِرٌ فَاسْتَشَانَها ... أَيَرْكَبُ بَـحْرَ الشِّعْرِ؟! إِنِّي مُعَاقِبُهْ!!

وَحَذَّرَنِي إِيَّاكَ والشِّعْرَ لاتَكُنْ ... لَـهُ تابعاً فَالشِّعْرُ تُرْدِي مَتَاعِبُهْ

ويَتْبَعُهُ الغَاوونَ هَامُوا وما دَرَوا ... بِأَنَّ طَرِيقَ الشِّعْرِ تُخْشَى عَوَاقِبُهْ

وَوَصَّى بِأَلاَّ أُزْجِيَ الشِّعْرَ مَادِحاً ... فَقَدْ خَبَّ فينا المَدْحُ تُزْجَى نَـجَائِبُهْ

وَلَكِنَّما نُبْلُ المُحَافِظِ هَزَّني ... إلى مَدْحِهِ واستعبدَتْني مناقبُهْ

* * * *

أَجِزْ لي ياجدِّي بِأَنْ أَمْدَحَ الَّذي ... مَعَ المُثُلِ العُلْيا تَلاقَتْ مَذَاهبُهْ

فَمَا هُوَ كالحُكَّامِ إِنَّا نَـخَالُهُ ... مَلاكاً أو انَّ الأَنْبِيَاءَ أَقَارِبُهْ

يَفِيضُ على الإِقْلِيمِ عَطْفاً وإِنَّهُ ... بِرَغْمِ هُدُوءٍ صَادِقِ الجَهْدِ دَائبُهْ

دَنُوبٌ فلا تَنْنِيهِ عَنْ شِرْعَةِ العُلا ... صِعَابٌ ولا تَلْوِيهِ عَنْهَا مَتَاعِبُهْ

لَـهُ بَصَرٌ يَرْمِي إلى أَبْعَدِ المَدَى ... فلا الرَّيبُ آتيهِ ولا الغَيْبُ حَاجِبُهْ

وإِنْ مُشْكِلَاتُ الأَمْرِ أَعْيَتْ وأَبْهَمَتْ ... هَدَاهُ إِليها صَائِبُ الرَّأْيِ ثاقِبُهْ

وَكُنَّا نَرَى الأَيَّامَ قَبْلَ لقائِهِ ... مَكَارِهَ حَتَّى جَمَّلَتْها مَنَاقِبُهْ

وَجَدْنَا أَماناً في ظِلَالِ خِلَالِهِ ... وَإِنَّ كَرِيمَ الخَلْقِ يُؤْمَنُ جَانِبُهْ

وَمَا لاحَ في عَيْـنِ المُواطِنِ حاكماً ... وَلكِنَّهُ مِنْهُ أَخُوهُ وَصَاحِبُهْ

وَدِيعٌ يَشِعُّ الطُّهْرُ مِنْ نُورِ قَلْبِهِ ... ويَسْطَعُ مِثْلُ التِّبْرِ يَلْمَعُ ذَائِبُهْ

وَزِيرٌ عَلا بالعِلْمِ والحِلْمِ قَدْرُهُ ... فلا فَضْلَ إلا وَهْوَ بالحَقِّ كاسِبُهْ

وفي النَّاسِ مَنْ يُعْلِيهِ في النَّاسِ مَنْصِبٌ ... وَلَكِنَّهُ تَعْلُو إِليهِ مَنَاصِبُهْ

وَزِيرٌ وَحِيدُ النَّسْجِ إِنَّا نَخالُهُ ... مَلاكاً أَوْ انَّ الأَنْبِيَاءَ أَقَارِبُهْ

إِذَا اتَّـخَذَ النَّاسُ الحِسَانَ صَوَاحِباً ... يُسَامِرْنَهُمْ فالمَكْرُمَاتُ صَوَاحِبُهْ

شَمَائِلُ في لُطْفِ النَّسِيمِ إِذَا سَرَى ... على المَوْجِ هَدَّاهُ وَرَاحَ يُدَاعبُهْ

وَإِقْلِيمُنَا يَزْهُو بِهِ لِنُبُوغِهِ ... نُبُوغاً بهِ تَهْتَزُّ منها جَوَانبُهْ

وَكانَتْ لنا أو نَحْوَنَا مِنْكَ لَفْتَةٌ ... وَرَأْيٌ لِتَكْرِيمٍ وَأَنَّكَ صَاحِبُهْ

حَظِينَا بِتَكْرِيمٍ يُوافي وَلَمْ نَزَلْ ... نَعِيشُ ونَلْقى عَطْفَكُمْ ونُوَاكِبُهْ

وَكَمْ كُنْتُ أَرْثِي للذينَ تَقَدَّمُوا ... ولَمْ يَسْمَعوا عَنْ جَهْدِكُمْ ما يُنَاسِبُهْ

ليُهْنِئْ أَدِيبَ اليومِ هذا الَّذي يَرَى ... ويَسْمَعُ كيما تَسْتَـرِيحَ مَتَاعِبُهْ

يَرَى قَبْلَ أَنْ يَمْضِي وَفَاءً أَعَزَّهُ ... وفي فَيْضِهِ يحيا وتحيا مَذَاهِبُهْ

وَحَفْلاً بَدَا فيه الأَدِيبُ مُكَرَّماً ... وفي أَدَبِ الإِبْدَاعِ صِيْغَتْ مَآدِبُهْ

زَهَا جَانِبَيْهِ الفَخْرُ أَنْ قَدْ رَعَيْتَهُ ... وَمِنْ أَدَبِ التَّكْرِيمِ أَنَّكَ آدِبُهْ

أَلا إِنَّ هذا اليومَ يَوْمٌ مُمَجَّدٌ ... بِتَمْجِيدِنَا الأَمْـجَادِ هَلَّتْ ثُواكِبُهْ

عَرَفْتُ بهِ مِقْدارَ شِعْرِي وَأَنَّني ... نَظَمْتُ مِنَ الآدابِ ما المَجْدُ طالبُهْ

وَكَرَّمْتُمُونا في رِحَابٍ مُكَرَّمٍ ... رِحَابِ «أُمِّ كُلْثومَ» فُسَاحُ رَحَائِبُهْ

ومَنْ كَرَّمُوا يَوْمَ «أُمَّ كُلْثُومَ» قَدْرَهُ ... تُكَرِّمُهُ فيهِ العُلا وتُخاطِبُهْ

* * * *

ويَذْكُرُ فَضْلَ القَصْرِ رِيُّ عِطَاشِنَا ... وَغَيْثُ ثَقافَاتٍ تَوَالَتْ سَحَائِبُهْ

بِهِ مِنْ رِجَالِ الفَنِّ سِرُّ طُمُوحِهِ ... وَكُلٌّ لَـهُ مِقْدَارُهُ ومَرَاتِبُهْ

كَذَلِكَ يَـخْتَارُ الوزيرُ رِجَالَهُ ... لَـدَيْهِمْ سَجَايَاهُ وَفِيْهِمْ مَنَاقِبُهْ

شَكَرْنَا مُدِيراً للثَّقافَةِ حازماً ... تُطِلُّ على كُلِّ القُصُورِ ذَوَائِبُهْ

وَأَنْتَ مُدِيرُ القَصْرِ في الثَّغْرِ ها هنا ... ثناءً على جَهْدٍ تَوَالَتْ مَذَاهِبُهْ

ومَرْحَى وَكِيلَ القَصْرِ يا نُورَ شُعْلَةٍ ... وَكُلَّ فُؤَادٍ أَنْتَ بالضَّوْءِ خَالِيُهْ

«وَرِفْعَتُ نَصْرٍ» فرقدٌ أو«محمدٌ ... خليلٌ» كلا النَّجْمَينِ شَعَّتْ مَوَاهِبُهْ

لنَا فِيْهِمَا الذَّوْقُ اللَّطِيفُ وَمَنْ يَرِدْ ... إِلي وِرْدِ أَيٍّ فَهْوَ باللُّطْفِ جَاذِبُهْ

وَأَهْلاً بِكُلِّ الطَّالِبِينَ ثقافَةً ... وَمَنْ طَلَبَ التَّثْقِيفَ طابَتْ مطالبُهْ

إِلَيْكُمْ جميعاً مَنْ سَمَحْتُمْ تَكَرُّماً ... لتكريمناً شُكْراً تَرُوقُ مَشَارِبُهْ

أَضَأْتُمْ علينا حَفْلَنَا اليومَ فانْثَنَى ... وَضِيئاً كَمِثْلِ التِّبْرِ يَلْمَعُ ذَائِبُهْ

كَأَنَّ بِهِ مِنْ«أَمِّ كُلْثُومَ» شَمْسُهُ ... وَأَنْتُمْ بِهِ أَقْمَارُهُ وكَوَاكِبُهْ

* * * *

أرى كُلَّ وَجْهٍ شَعَّ بالحُبِّ والسَّنا ... وتَهْمِي علينا مِنْ سَنَاهُ سَوَاكِبُهْ

وَمَنْ كانَ يَعْلُو وَجْهَهُ الحُبُّ والسَّنَا ... فلا أَحَدٌ يُغْضِي له أو يُغاضِبُهْ

ويُضْوِيكَ مَنْ تَضْوى لرؤيتِهِ كَمَا ... يُدَاوِيكَ مَنْ أَحْبَبْتَهُ وتُحابِبُهْ

* * * *

هُنا مِنْ« طماي الشَّرْقِ » أَشْرَقَ كوكبٌ ... أَضَاءَ دُجَى شَرْقٍ تَوَالَتْ غَيَاهِبُهْ

وكانَ لهُ في رَبَّةِ الفَنِّ مَأْرَبٌ ... وفي «أَمِّ كُلثومَ» تَهَادَتْ مآربُهْ

وَأَصْبَحَ كُلَّ الشَّرْقِ مِنْ حُسْنِ صَوْتِها يُجَمِّلُ مَجْلاهُ مِنَ الحُسْنِ خَالبُهْ

غِنَاؤكِ ياوَرْقاءُ شَعْشَعَهُ الصِّبا تَشَعْشُعَ خَمْرِ الخُلْدِ يَلْتَذُّ شَارِبُهْ

خَفَفْنَا إلى مَنْ خَلَّفَتْ مِنْ تُراثِنَا غِنَاءً عَلَتْ في الخَافِقَينِ مَذَاهِبُهْ

وجِئْنَا نُؤَدِّي للعَزِيْزَةِ واجباً وَمَنْ قَدَّمَ الإِحْسَانَ يُحْفَظُ وَاجِبُهْ

وَفَاءً لِفَنٍّ في مَلَاكٍ سَمَتْ بِهِ يُسَائِلُهَا فِيهِ المُنى وَتُجاوِبُهْ

سلاماً مَلَاكَ الفَنِّ مِنَّا وَرَحْمَةً بِغَيْثٍ مِنَ الرُّضْوَانِ تَهْمِي سَحَائبُهْ

لَقَدْ كَرَّمُونا في رِحَابِكِ ها هنا رِحَابُ «أُمِّ كُلْثُومَ» فُسَاحُ رَحَائِبُهْ

وأيُّ امرئٍ تَكْرِيمُهُ في رِحَابِهَا تُكَرِّمُهُ فِيهِ العُلا وتُواكِبُهْ

* * * *

أَلا لا تَلُومُوا إِنْ أَطَلْتُ فَإِنَّما حَبِيبُ فُؤادي طُولَ عُمْرِي أُخاطِبُهْ

نَظَمْتُ لَكُمْ عُمْرِي مِنَ الشِّعْرِ مَوْكِباً وفي كُلِّ عامٍ راحَ بَيْتٌ يُواكِبُهْ

فجاءَ كعُمْرِي فَوْقَ سَبْعِينَ سَبْعَةً وفي مِثْلِها الإِنْسَانُ تَصْفُو تَجارِبُهْ

وما زادَ وَصْفٌ للفَتَى «سَعْدُ» الّذي نَظَلُّ عَلَى حَقِّ الوَلاءِ نُكَاتبُهْ

* * * *

بِحَسْبُكُمُ مِنْ رَبَّةِ الشِّعْرِ شَاعِرٌ على صَهَواتِ الشِّعْرِ شَابَتْ ذَوَائِبُهْ

أَرادَ اعتزالَ الشِّعْرِ لَكِنَّ واجباً بِحَقِّ كِرَامٍ كَرَّمُوهُ يُطالبُهْ

وَشُكْرُ كِرَامٍ كَرَّمُونَا تَكَرُّماً مِنَ الفَرْضِ أَنْ يُقْضَى وَيُعْرَفَ واجبُهْ

سَأشْكُرُكُمْ ما يَشْكُرُ البَحْرَ غَيْثُهُ عَلَى قَدْرِ ما يُعْطِي وَتَهْمِي سحائبُهْ

* * * *

تَعَالَوا مَعِي نُزْجِي أَجَلَّ تَحِيَّةً إِلَى حَاكِمٍ جَلَّتْ وَجَمَّتْ سَوَاكِبُهْ

وَيالَيْتَ تَدْنُو لي النُّجُومُ أَصُوغُهَا عَرَائِسَ مَدْحٍ تَسْتَبِيهِ كَوَاعِبُهْ

فَمَا نَظْمِيَ الأَلْفَاظَ فيهِ مُنَاسِبٌ وَلكِنَّما نَظْمُ النُّجُومِ يُناسبُهْ

وإِنْ جاءَ مَدْحِي مِثْلُ حُبِّي لذاتِهِ عَجِيباً وَرَاعَ السَّامِعِينَ عجائبُهْ

فَمَا لِيَ فَضْلٌ في العَجِيبِ وَإِنَّما سَجَايَاهُ تُمْلِيهِ وَإِنِّي لكاتِبُهْ

* * * *

ثَنَاءٌ كَأَنَّ المِسْكَ بَعْضُ عَبِيرِهِ إِلى صَفْوَةِ الحُكَّامِ تُزْجَى نجائبُهْ

محافِظَنَا والخَيْـرُ يتْبَعُ ظِلَّهُ وَبِاليُمْنِ وَالتَّوْفِيقِ تُحْدَى رَكَائِبُهْ

محافِظَنَا شَهْمُ اللِّواءِ وَزِيرُنا وياسَعْدَ إِقليمٍ رَعَتْهُ مناقبُهْ

زَفَفْتُ إِلَيكُمْ مِنْ حِسَانِ قَصائدي عَرَائِسَ مَدْحٍ تَسْتَبِيكُمْ كَوَاعِبُهْ

وَرُحْتُ أُغَنِّي فيكَ مِنْ كُلِّ مَذْهَبٍ وَكُلِّ غِنَاءٍ فِيكَ تَحْلُو مَذَاهِبُهْ

فَمُذْ عُدْتَ للإِقْلِيمِ كُنْتَ رَبِيعَهُ تَرَأَّدَ فِيهِ الدَّوْحُ واخْضَلَّ جانِبُهْ

وَمُذْ عُدْتَ للإِقليمِ أَصْبَحَ رَوْضَةً يُبَاكِرُهَا مِنْ صَيِّبِ الخَيْرِ سَاكبُهْ

سَلَكْتَ بِهِ كالرَّاشِدِينَ إِلى الهُدي طريقاً بِحُسْنِ الذِّكْرِ هُزَّتْ جوانبُهْ

وأَصْبَحَ وَجْهُ البَحْرِ مِنْ نُورِ وَجْهِكُمْ يُغازِلُ مَنْ يَرْتَادُهُ وَيُـجَاذِبُهْ

وَصَيَّـرتَهُ في القُطْرِ كالثَّغْرِ باسِماً يُضَاحِكُهُ صَفْوُ المُنى ويُلاعِبُهْ

عبرة الإخلاص ودمعة الوفاء [1]

[من الكامل]

يا عينُ وَيْحَكِ أَرْسِلِي العَبَرَاتِ ... يا عيـنُ جُودي الدَّمْعَ في المَأْساةِ

يا عينُ إنَّ اليومَ يومُكِ فابعثي ... بالماء يُطفِـئُ من لظـى حَمَـراتي

يا عينُ قد طال السُّهادُ فَجَدِّدي ... بلواي من حُزْني ومِنْ أَذَّاتي

يا قلبُ صبراً، كيف بالصَّبْرِ إذا ... رُكْنُ الفَضِيلةِ دُكَّ في الظُّلُماتِ

ياللشَّبابِ الغَضِّ زالَ جمالُهُ ... وجلالُـهُ في أَيْسَـرِ اللَّمَحاتِ

* * * *

عَلَمٌ تُنَكِّسُهُ المَنُونُ وَلَيْتَها ... ذَهَبَتْ تُقَوِّضُ هامةَ النَّكِرَاتِ

لكنَّها تَدَعُ الغَضَا وَمِرَارَهُ ... وَتَـروحُ تَنْشُقُ في شذا الزَّهَراتِ

لَيْسَتْ تعاويذُ المُشَعْوِذِ كُلُّهَا ... تُجْدِي، وليسَ الطِبُّ فيهِ بآتِ

* * * *

«وإذا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَها» ... أَمْسَى أُساةُ الطِّبِّ غَيْـرَ أُساةِ

قد كان عُنوانَ الفَضَائلِ والتُّقَى ... ومُطَهِّرَ الغَدَواتِ والرَّوَحاتِ

مُتَهَجِّدٌ للهِ يَعْرِفُ حَقَّهُ ... جَمُّ التَّصَدُّقِ دائمُ الصَّلَواتِ

---

[1] في رثاء المغفور له الأستاذ: أبو بكر الإبياري، المدرس بالمدرسة الواصفية الابتدائية ببور سعيد، والمتوفى بمصر في الثامن من يناير سنة ١٩٣٨م، وقد أقيمت حفلة التأبين له بدار المدرسة في ٢٤ فبراير سنة١٩٣٨م، وقد طبعت قصائد الرثاء في كتاب بعنوان: حفلة تأبين فقيد العلم والشباب، في مطبعة القنال ببور سعيد، وتقع هذه القصيدة في ص ص: ١٨- ١٩

النُّورُ يَنْضَحُ من ضِياءِ جَبينِهِ ... طَلْقُ المُحَيَّا مُشْرِقُ القَسَمَاتِ

* * * *

اللهُ في دُنيا تَكَدَّرَ صَفْوُها ... وتَعَثَّرَتْ في سُبْلِهَا خُطُواتي

نَفْدِيكَ لولا الموتُ أَقْبَلَ فَجْأَةً ... في النَّاسِ من يَشْرِيكَ بالمُهُجاتِ

ولو انَّ في وسعي محاربةُ الرَّدى ... ضَحَّيتُ في دَفْعِ الرَّدى بحياتي

* * * *

عَجَبٌ يموتُ اللَّيثُ مِلءُ عَرِينِهِ ... ويعيشُ في الدُّنيا ذرو العَاهَاتِ!

حُكْمٌ لهُ في خَلْقِهِ وشُئونِهِ ... للهِ مِنْ حُكْمٍ لَهُ وعِظَاتِ

نَمْ يا صَدِيقي فالحياةُ حَقِيرةٌ ... كَلِفَ الَّذينَ لها بِحُبِّ الذَّاتِ

نَمْ يا صَدِيقي واسْتَرِحْ مِنْ عالَمٍ ... خُطُواتُهُ مَمْلُوءَةُ العَثَرَاتِ

واذكُرْ رفاقَ الأَمْسِ كُنْتَ تَمُدُّهُمْ ... مِنْ بَحْرِكِمْ بالدُّرِّ والصَّدَفَاتِ

ظَلُّوا طَوَالَ البَيْنِ يَشْكُونَ النَّوَى ... يَتَحَرَّقُونَ أَسىً... وَمِنْ حَسَرَاتِ

غَمَزَتْهُمُ الدُّنيا بِقَاتِلِ نَصْلِها ... هِيَ أَسْهُمٌ مَسْمُومَةُ الطَّعَناتِ

أَدَّيتَ واجِبَكَ العَنِيفَ بِهِمَّةٍ ... وَعَزِيمَةٍ مِنْ أَصْدَقِ العَزَمَاتِ

وَخَدَمْتَ أُمَّتَكَ الكريمةَ مُسْرِعاً ... لا تَرْتَضِي التَّسْوِيفَ في الخَدَماتِ

وقَطَعْتَ عُمْرَكَ جاهداً، هَلْ مُنْصِفٌ ... يجزي على الحَسَناتِ بالحَسَناتِ؟

* * * *

كَمْ مَوْقِفٌ عَلَّمْتَنِي فيهِ الهُدى ... وَغَدَوْتَ تُصْلِحُ فيهِ مِنْ زَلَّاتِي

لولا الحياءُ وأَنَّنِـي مِنْ مَعْشَرٍ ... مَرَنُـوا على الصَّدَمَاتِ والنَّكبـاتِ

لشَقَقْتُ جَيْـبِي وانْثَنَيـتُ مُشَوَّهًا ... وَجْهِـي بآلافٍ مِـنَ اللَّطَماتِ

لكنَّهُ الإسلامُ يَـحْبِسُ مَدْمَعِي ... ويَحُـدُّ مِنْ وَجْدِي ومِنْ زَفَراتِي

* * * *

هَيْهَاتَ بَعْدَكَ أَنْ يَطِيبَ لِجَمْعِنا ... عَيْشٌ وقدْ أَمْسَيتَ في الحُفُراتِ

الشَّمْلُ بَعْدَكَ يا صديقي والهُ ... يَبْكِي عليكَ بأَعْيُنٍ ودِقَاتِ

* * * *

مَنْ لي بِقَبْـرِكَ أَشْتَفِي في قُرْبِهِ ... وأُذِيبُ في أَحْجَارِهِ قُبُلاتي

وأَظَلُّ أَسْكُبُ دَمْعَةً مِهْراقةً ... حَبَسَتْ عَلَيَّ طلاقتي وَلَهَاتي

وأَصيحُ مِنْ حَوْلِ المقابرِ مُسْمِعاً ... مَنْ في الرُّمُوسِ مُصِيبتي وشِكَاتي

* * * *

يا قبرُ هذا كَنْزُ قَوْمٍ زاخرٌ ... بالفَضْلِ والآدابِ والخَيْرَاتِ

أَنْزِلْهُ مَنْزِلَ مُكْرَمٍ مِنْ رَبِّهِ ... واجْعَلْ سبيلكَ مَسْلَكَ الجَنَّاتِ

رَوَّى الإلهُ تُرابَهُ بِسَحَابَةٍ ... فيَّاضَةٍ بِنَسائِمِ الرَّحَمَاتِ

رثاء أمي[1]

[من البسيط]

عَاشَتْ على الحُبِّ مَنْ عاشَتْ لِـدُنْيانا ... بِكُلِّ مَا وَسِعَتْ رُوحاً ورَيحانا

عَاشَتْ وَعَاشَ لنا في قَلْبِها سَكَنٌ ... فيه علينا الرِّضا تُضْفِيهِ أَلوانا

والعَطْفُ يَغْمُرُنا مِنْ كُلِّ ناحيةٍ ... في البُعْدِ وَالقُرْبِ أَقْصَانَا كَأَدْنانا

كُـؤوسُ عَطْفٍ أَدَارتها، فَمَا أَحَدٌ ... إلا وَصَارَ بِـخَمْرِ العَطْفِ نَشْوانا

وُجْدَانُها قَدْ وَجَدْنَا فيه أَنْفُسَنا ... أَعْزِزْ بِوُجْدَانِ قَلْبِ الأُمِّ وُجْدَانا

وُجْدَانُها مَعَنا في كُلِّ ظَاهِرَةٍ ... وَفَوْقَ وُجْدَانِنَا في كُلِّ نَـجْوَانا

* * * *

يا مَنْ رَعَتْنا بِـوُجْدَانِ الحَـنَانِ لَقَدْ ... خَلَّفْتِنَا عَـنْوَةً لِلْهَمِّ يَرْعَانَا

كانتْ وَصَاياكِ أَلحاناً نَبَشُّ لها ... واليومَ أَمْسَى شَجَانَا فِيكِ أَلحانا

وَمُذْ غَدَوْتِ غَدَوْنا دائمي شَجَنٍ ... نَـجْتَـرُّ في عالم الأَشْجَانِ أَشْجانا

نَشْكُو الجَوى من بِعَادٍ شَطَّ شاطئه ... وليس إِلَّا إلى الرَّحْمَنِ شكوانا

عِشْنَا فَكُنَّا سَوَاءً في مَشَاعِرِها ... في الصَّفْوِ حيناً وفي الأَكْدَارِ أحيانا

فَـكُلَّما فَرْحَةٌ سَرَّتْكِ تُفْرِحُنا ... وَكُلَّمَا كَدَرٌ أَبْكَـاكِ أَبْكَـانا

مَا بَالُنَا اليَوْمَ شَتَّى لا استواءَ لنا ... يَا أُمِّ لَيْتَ الَّذي وَافَاكِ وافانا

* * * *

[1] القصيدة مخطوطة وعنوانها: في عيد الأم، ياأُمِّ.

رِفْقاً بِنَا أَيُّها النَّاعِي أَحِبَّتَنَا ... فَمَا تَنْعِيهُمُ بَلْ أَنتَ تَنْعانا

يَا لَيْتَ أَعْيُنَنَا كانَتْ مَنَازِلَهُمْ ... وَخَوْفَ عَيْنِ الرَّدَى أَسْدَلْنَ أَجْفَانا

تَشُدُّنِي نَـحْوَهُمْ أَجْدَائُهُمْ شَغَفاً ... فَأُمْعِنُ العَيْـنَ في الأَجْدَاثِ إِمْعَانا

أَرْنُو إِلَيْها بِوَجْدٍ مُفْعَمٍ ظَمَأً ... وَيَشْمَلُ الوَجْدُ سُكَّاناً وَجُدْرانا

وَقَفْتُ فيها بِتِحْنانٍ أُسَائِلُها ... مِنْ خَلْفِ غَيْبَتِهِ الجُدْرَانَ تَـحْنانا

فَاسْتَعْجَمَ الصَّمْتُ... مَنْ لِي مَنْ يُـبَـيِّـنُـهُ ... قَدْ يُصْبِحُ الصَّمْتُ مِلءَ السَّمْعِ تِبْيانا

أَعُبُّ مِنْ صَمْتِها أَرْوِي بِهِ ظَمأي ... وَأَنْثَنِي بَعْدَ طُوْلِ العَبِّ ظَمْآنا

تَلَفَّتَتْ نَـحْوَها عَيْنِـي فَمُذْ خَفِيتْ ... تَلَفَّتَ القَلْبُ في الأَعْمَاقِ وَلْهَانا

* * * *

وَعُدْتُ لِلدَّارِ (والبُسْتَانِ) صِفْرَ يَدٍ ... كَأَنَّ كُلَّ الَّذِي قَدْ كانَ مَا كانا

لا الدَّارُ مِنْ بَعْدِكُمْ داراً بها سَكَنِي ... يا راحِلِينَ ولا البُسْتَانُ بُسْتَانا

صَارَ الرَّبِيعُ خَرِيفاً بَعْدَ غَيْبَتِكُمْ ... وَصَوَّحَ الرَّوْضُ أَشْجَاراً وأَفْنانا

وَكُنْتُ أَقْوى مِنَ الطَّوْدِ الأَشَمِّ بكُمْ ... هلْ صِرْتُ أَضْعَفَ خَلْقِ اللهِ إِنْساناً ؟!

* * * *

تَحِيَّةً ثَرَّةً مِلْءَ العُيُونِ إِلى ... مَنْ لَوْ على البُعْدِ حَيًّا كان حَيَّانا

فِيْمَنْ على البُعْدِ أَرْحامِي وَمَرْحَمَتِي ... وَالأُمُّ أَقْرَبُهُمْ في البُعْدِ رُحْمانا

الأُمُّ مِنْ رَحْمَةِ الرَّحْمَنِ رَحْمَتُها ... بِالبِـرِّ خُصَّتْ أَحَادِيثًا وقُرْآنا

أُمِّي وَحَقِّ تَراقِي الرُّوْحِ أَنْدُبُها ... يا أُمِّ يا أُمِّ أُمَّاهُ وأُمَّانا

أَبْكيكِ يا أُمَّنَا أَبْكِيكِ مِنْ كَبِدٍ ... ذَابَتْ عَلَيْكِ تَبَارِيحاً وَأَحْزانًا

أَبْكِي على كُلِّ قَبْرٍ قَدْ مَرَرْتِ بِهِ ... أَلَيْسَ في القَبْرِ مَثْوَاها ومَثْوَانا

قالُوا أَنَشْجَى عليها كالصَّغِيرِ وَقَدْ ... غَدَوْتَ كالطَّوْدِ تَأْسِيساً وبُنْيانا

فَقُلْتُ إِنِّي لأَحْرَى مِنْهُ مَعْرِفَةً ... باليُتْمِ حَقًّا وأَوْفى فيه جِرْمَانا

وهَبْكَ أَكْثَرُ مِنَّا يا صَغِيرُ شَجِيَّ ... دَعْنَا نُشَاجِيكَ... ما أَشْجَاكَ أَشْجانا

* * * *

يا كُلَّ مَنْ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا ... لَوْلا المَحَبَّةُ والإِيثارُ ما هَانَا

أَجْزِلْ لأُمِّكَ حَقًّا أَنْتَ تَعْرِفُهُ ... أَجْزِلْ لها حَقَّها بِرًّا وشُكْرانًا

أَجْزِلْ لها حَقَّها لا تَكْفُرَنَّ بِهِ ... أَلَيْسَ نُكْرَانُ حَقِّ الأُمِّ كُفْرَانا ؟!

الأُمُّ مِنْ رَحْمَةِ الرَّحْمَنِ رَحْمَتُها ... بالبِرِّ خُصَّتْ أَحاديثًا وقُرآنا

* * * *

والأُخْتُ أُمٌّ فَإِنْ حَانَتْ مَنِيَّتُها ... فَاعْلَمْ بِأَنَّ اكتمالَ الهَمِّ قَدْ حانا

الخَطْبُ في الأُخْتِ بَعْدَ الأُمِ رَانَ بِهِ ... على القُلُوبِ مِنَ الأَحْزَانِ مارانا

طَغَى علينا الرَّدَى ما للرَّدى كَبِدٌ ... فَمُذْ عَتَبْنَا عليه ازدادَ طُغْيَانَا

وَمَا أَجَدْتُ بُكَاءَ الأُمِّ يَوْمَ نَوَتْ ... إِنِّي أُجِيدُ بُكائِي فَيهِمَا الآنا

وفي شُمُوسٍ وأَقْمَارٍ لنا رَحَلُوا ... إلى المَغِيبِ زُرَافَاتٍ وَوُحْدَانا

هَمِّي عليهم مُقِيمٌ دائماً أَبَدًا وَمَا طَلَبْتُ لهذا الهَمِّ سُلْوَانا

أَكْدَارُهُ قَدْ كَسَتْنِي كَيْ تُذَكِّرَنِي بِمَا مَضَى مَعَهُمْ مِنْ صَفْوِ دُنْيانا

شَتَّانَ ما بَيْـنَ ماضِيْنَا وحَاضِرِنا شَتَّانَ واللهِ يا أَحبابُ شَتَّانا

سُبْحَانَ مَنْ جَمَّعَ النَّجْوَى وَفَرَّقَهَا سُبْحَانَهُ اللهُ سُبْحَاناً وَسُبْحَاناً

* * * *

أُمِّي وَحَقِّ تَراقِي الرُّوْحِ أَندُبُها يَا أُمِّ أُمَّاهُ يا أُمَّايَ أُمَّانا

أَبْكِيكِ يا أُمَّنا أَبْكِيكِ مِنْ كَبِدٍ ذَابَتْ عَلَيْكِ تَبَارِيحاً وَأَحْزَاناً

رَوَّتْكِ في بَرْزَخِ الرُّضْوَانِ غَادِيةٌ عَلَيْكِ يا أُمُّ تُزْجِي الوَدْقَ تَهْتَانَا

وَفَوْقَ قَبْرِكِ رَبُّ الوَدْقِ يُمْطِرُهُ مِنْ فَضْلِهِ رَحْمَةً مِنْهُ وَرِضْوَانَا

وَفِي انْتِظَارِكِ يَوْمَ البَعْثِ جَنَّتُهُ طَافَ السُّقَاةُ بها حُوراً وَوُلْدَانا

وَنِعْمَةٌ مِنْ نَعِيمِ الخُلْدِ خَالِدَةٌ تَـجْزِيكِ يا أُمِّ بالإِحْسَانِ إِحْسانَا

إليك يا شريكة حياتي
في جنة الله[1]

[من البسيط]

في جَنَّــةِ اللهِ يا مَنْ كُنْتِ إيناسي ... أَنْضُو بها وَحْشَتِي مِـنْ جَنَّةِ النَّاسِ

زَكِيَّـةَ الـرُّوحِ، هَلْ تَـدْرِينَ كَـمْ كَمَـدِي؟ ... دَقَّاتُ قَلبِيَ عُدِّيها وَأَنْفاسي!!

قَدْ كُنتِ نِبْرَاسَ هَدْيٍ أَسْتَضِيءُ بِـهِ ... فأَطْفَأَ القَدَرُ الجَبَّارُ نِبْراسي

وكُنْتِ سِرَّ طُمُوحي، كُنْتِ لي أَملاً ... فَبُدِّلَ الأَمَلُ الطَّمَّاحُ بالياسِ

عِشْنَا ثَلاثِينَ لَمْ يُعْقِمْ مَسَرَّتَها ... أَنَّا عَقِمْنَا، ولَمْ نَسْمَعْ لوَسْواسِ

كانت لِيَ الرَّاحُ ... ما أَصْفى!! وكُنْتُ لها ... مِنْ مَـاءِ مُزْنٍ، فَكُنَّا الدَّهْرَ في كـاسِ

وفاؤنا مَضْرِبُ الأَمْثَالِ تَحْسَبُنِي ... مَلْكاً، وَأَحْسَبُها تاجاً علي راسـي

وَاليَوْمَ جُرِّدْتُ مِنْ تَاجِي وَمَمْلَكَتِي ... وَأَلْبَسَ الهَمُّ قلبيَ أَيَّ إلباسِ

كَـفُّ الـرَّدَى استمرَأَتْ لَطْمِي ومـا احْتَشَمَتْ ... واحَرَّ قَلْبَاهُ مِنْ لَطْمِ الرَّدى القاسي!!

لا الأربعونَ ولا أَمْثَالُها مَسَحَتْ ... هَمِّي، فـما أَنـا بالسَّالي ولا القَـاسي

أَرْثِيكِ من ذَوْبِ وُجْدَانِي وَمِنْ كَبِدِي ... قَدْ جَفَّ قَلْبِي وَبَـلَّ الدَّمْـعُ قِرْطاسـي

جَادَتْـكِ مُزْنٌ مِنَ الفِرْدوسِ هاطِلَـةٌ ... في رَوْضَةٍ ضُمِّخَتْ بالـوَرْدِ والآسِ

يانُورَ عَيْنِي ويا أَهلي ويا سَكَنِي ... ويا نَهايَةَ أَعْيادِي وَأَعْراسي

---

(١) في رثاء زوجته الأولى.

أمل جنين الغيب [1]

[من الكامل]

أملٌ جنينُ الغيبِ أو هُـوَ موعدُ ... أَتُـراهُ حانَ له لعَمْرُكَ مولـــدُ؟

دكتور عبد الله أنت مباركٌ ... قد شابَ من بركات وعدك أحمدُ

كَثُـرَتْ وعودٌ، كُلُّ وَعْـدٍ هَدَّهُ ... وعدٌ على أنقاضِهِ يتجدَّدُ

ماذا يضيرُكَ مِـنْ وعـودٍ لاتفي ... مادام لاتُـجْرِي المقاديـرَ اليدُ؟

* * * *

أَأُخَيَّ عبـدُ اللهِ أَنْـتَ منارتـي ... إِنْ غامَ لي أُفُـقِي فأنتَ الفرقدُ

ياناظمَ التِّبيانِ كالأسنانِ، في ... كلتيهـما الـــدرُّ الـــذي يُتَقَلَّـدُ

ومُنَضِّدَ الأسنانِ دُرًّا كالبيا ... ن ، بسحـره في شعـره يتنضَّـدُ

أُفْرِدْتَ في النَّطْسى الأطباءَ الأُلى ... إِنْ يكثُروا عددًا فأنتَ المُفْرَدُ

* * * *

وعيادةٍ لكَ أصبحتْ بك كعبةً ... مِنْ نُورِ علمكَ يجتليها القُصَّدُ

مِنْ حُبِّها ياطالما أسعى إلى ... محرابها، فَكَأَنَّما هِـيَ مَعْبَـدُ

أَسعى إليها بالولاءِ مهرولاً ... حتى غدا منها يغارُ المسجدُ

* * * *

[1] آخر مداعبة إلى صديقي الشاعر النطاسي، الدكتور: عبد الله مبارك.

وغدوتُ أَتَّهِمُ المعاذيرَ التي ... أَشْقَتْ ولاءً كنتُ فيه أَسْعَدُ

نفدتْ أدلةُ الاتهام، ولم تزل ... لك في الدفاع أدلةٌ لاتنفدُ

أَجَّلْتَ كم يوم، وقلتَ إلى غَدٍ ... ياطولَ يومٍ مالآخرهِ غَدُ

أَتُراهُ يوماً عندَ رَبِّكَ، قَدْرُهُ ... ألفٌ مِنْ السنواتِ؟ أَمْ هو أَزْيَدُ؟

وخشيتُ أن يمتدَّ فيما بيننا ... حتى يُواريَ سَوْأَتَيْنا مرقدُ

* * * *

ياربِّ عَجِّلْ بالقيامةِ، رُبَّما ... يومُ القيامةِ قد يحينُ المَوْعِدُ

وعلى مدى الدَّرْبَيْنِ حُبُّكِ لم يَـزَلْ ... ملءَ الفُؤادِ، كَمَا عهدتَ وأعهدُ

* * * *

ياكوكباً يُنْمِـي إلى زيتونـةٍ ... مِنْ زيتـها الصَّافي المباركِ يُوْقَـدُ

إِنِّي لمستُ بكَ النُّبُوغَ يُغِيثُني ... من فيضِهِ، وبفضلهِ لك أشهدُ

إِنْ يَـجْحَدِ الفضلَ الِّلئامُ فإنَّهُ ... عِنْدَ الكِرامِ وَأَهْلِهِ لايُـجْحَدُ

* * * *

سِرُّ النُّبوغِ فريدةٌ أسبابُهُ ... لكنَّها في صاحبي تتعدَّدُ

ويزيدُهُ فَوْقَ النُّبوغِ تألُّقاً ... النُّبْلُ في أعراقِهِ والسُّؤْدَدُ

صفاء... يا حبيبتي!!

[من الكامل]

أَحْبَبْتُ أَنِّي في هَوَاكِ سَقِيمُ ... وعلى تَبارِيحِ الغَرامِ مُقيمُ

أَصَفَاءُ... هَلْ مِنْ قُبْلَةٍ لا تَنْجلي؟ ... برُضَابِكِ الصَّافي... أَبُوكِ كريمُ

القُرْبُ مِنْكِ يَهيجُ وَقْدَ صَبَابَتِي ... والبُعْدُ عَنْكِ كما أُحِسُّ جَحِيمُ

يارَبِّ أشكو قُرْبَها...لا... بُعْدَها ... لا... لَسْتُ أَشْكُو، والبلاءُ عَظِيمُ

لا القُرْبُ يَشفيني، ولا نارُ النَّوى ... بَرْدٌ، ولا قَلْبُ الحَبِيبِ رَحِيمُ

شِئْتِ الفِرَاقَ، وَقَدْ طَرِبْتِ لِقُربهِ ... وفِراقُ صَفْوي يا صَفَاءُ أَلِيمُ !!

ما شِئْتِ يُسْعِدُني ولو أَشقَيْتِنِي ... إِنَّ الشَّقَاءَ بِرَاحَتَيكِ نَعِيمُ

إِنْ كانَ في سُقْمِي هَوَاكِ فَإِنَّنِي ... أَحْبَبْتُ أَنِّي في هَوَاكِ سَقِيمُ

صفـاء

يا أُنس مهجتي...
وياسر بهجتي...
صفاء يا عروسي...
صفاء يا شريكة حياتي...
يا زهر البساتين...

[من الكامل]

الحُسْنُ أَنْتِ بِسِحْرِهِ وجَمَـالِهِ ... حَصَّنْتُ حُسْنَكِ بالنَّبيِّ وآلِهِ
حَلَّى بِكِ الأَرْضَ الذي حَلَّى السَّما ... بِشُمُوسِهِ ونُجومِهِ وهلالِهِ
إِنِّي وَوَصْفُكِ بالقَرِيضِ لعاجزٌ ... بَلْ طامِعٌ مِنْ دَهْرِهِ بمُحالِهِ
لو كُنْتُ مَثَّالاً يُصَوِّرُ حُسْنَها ... أَبْدَعْتُ بالتَّصوير في تِمْثَالِهِ
يَفْدِيكِ أحمدُ ياصفاءُ بِرُوحِهِ ... ويزودُ عَنْكِ بِجَاهِهِ وبِمَالِهِ
والشَّاعِرُ الفَحْلُ الذي غَلَّلْتِهِ ... فَرِحٌ بِرَغْمِ الأَسْرِ في أَغْلالِهِ
بخيالِهِ فَتَنَ الظِّباءَ بأَسرِهَا ... وغَدَوتِ وحدَكِ فتنةً لخيالِهِ
أَلْقَى عَلَيْكِ حِبَالَهُ مُتَصَّيداً ... فاصطدتِهِ يا ظبيةً بحبـالِهِ
وَلَّـهْتِ قَلْباً كان قَبْلَكِ خالياً ... رُحْماكِ مالِكَتي بِقَلْبٍ والهِ
رِقِّي لحالِ مُتَيَّمٍ بكِ مثلما ... رَقَّتْ قُلُوبُ العاشِقِينَ لحالِهِ
ياكُلَّ آمـالي مَلَكْتِ فَأَسْجِعي ... وَدَعِي الأَسِيـرَ يَطِيرُ في آمالِهِ
جُودي عليه بالحَياةِ وإِنَّما ... يُحيي الحَبِيبُ حَبِيبَهُ بِوِصَالِهِ

تهوى المجيءَ رِحَالُهُ ويخافُ أَنْ سيؤوبُ والأشواقُ مِـلءُ رِمَـالِهِ
لا خير في دنيا المُحِبِّ بما حَوَتْ حتى يُرى مُتَمَتِّعاً بحلالِهِ
مُدِّي عليَّ جلالَ ظِلِّكِ رحمةً مَدَّ الإلهُ عليك ظِلَّ جلالِهِ
أَبْقِي نوالَكِ يا صفاءُ فأَعطِنِي أَعْطَاكِ رَبُّكِ من كريم نوالِهِ
وَبَقِيتِ أُنْسِي في الوجودِ، وفي غَدٍ أُمًّا لخيرِ نِسَائِهِ ورجالِهِ

* * * *

يا بِنْتَ أَطْوَلِ والدٍ إِنَّ القَنَا العِزَّةُ الشَّمَّاءُ مِلءُ طُوالِهِ
أهلي وأهلُكِ شَرَّفوا أَحْسَابَنَا وَتَمَسَّكوا بالطُّهرِ في أَذْيالِهِ
يا زهرةَ البُستانِ تِيهي بالَّذي لم يُثمرِ البُسْتَانُ مِنْ أَمْثَالِهِ
وثِقِي به فَغَداً ومـا أَحلى غداً سَتَرِينَ صِدْقَ القَوْلِ في أَفْعَالِهِ
ما اختارَ غَيْـرَكِ للحياةِ شريكةً يا نُورَ عَيْنَيهِ وراحةَ بالِهِ
وسعادتي بك يا صَفَاءُ عَطِيَّةً مِنْ أَنْعُمِ المولى ومِنْ أَفْضَالِهِ

فهرس المصادر والمراجع

(أ)

١. آداب العلاقات الإنسانية في الإسلام، الحقوق والواجبات، الدكتور: نصر فريد محمد واصل، المكتبة التوفيقية، بلاتاريخ.

٢. الاتجاه الإنساني في أدب المنفلوطي، (رسالة ماجستير) إعداد الطالبة: سميرة عدلي محمد رزق، إشراف الأستاذ الدكتور: محمد نبيه حجاب، كلية اللغة العربية جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤٠٢- ١٤٠٣هـ= ١٩٨٢- ١٩٨٣م

٣. أحمد شوقي الشاعر الإنسان، أحمد عبد المجيد، دار المعارف، بلاتاريخ.

٤. أروع ماقيل في الرثاء، إعداد: إميل ناصيف، دار الجيل، الطبعة الثانية، بيروت، بلا تاريخ.

٥. الأسس الجمالية في النقد العربي عرض وتفسير ومقارنة، الدكتور: عز الدين إسماعيل، الطبعة الثالثة، دار الشؤون الثقافية، وزارة الثقافة والإعلام العراق ١٩٨٦م

٦. أسس النقد الأدبي عند العرب، الدكتور: أحمد بدوي، نهضة مصر ١٩٩٦م

٧. الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، الدكتور: أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٦م

٨. الأصول الفنية للأدب، للدكتور: عبد الحميد حسن، مكتبة الأنجلو المصرية ١٣٦٨هـ= ١٩٤٩م

٩. الأعلام، خير الدين الزركلي، الطبعة الثامنة، دار العلم للملايين ١٩٨٩م

(ب)

١٠. البارودي رائد الشعر الحديث، الدكتور: شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الثانية ١٩٦٤م

١١. ببليوجرافيا الرسائل العلمية في الجامعات المصرية منذ إنشائها حتى نهاية القرن العشرين، الأدب العربي والبلاغة والنقد الأدبي، الدكتور: محمد أبو المجد علي البسيوني، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ= ٢٠٠١م

١٢. بحوث في النص الأدبي، الدكتور: محمد الهادي الطرابلسي، الدار العربية للكتاب ١٩٨٨م

١٣. البناء الفني للقصيدة العربية، الدكتور: محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الأولى، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة، بلاتاريخ.

١٤. البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ١٤١٨هـ= ١٩٩٨م

(ت)

١٥. تحت شمس الشعر، إعداد وتقديم: ممدوح طه، مديرية الثقافة بالدقهلية، سلسلة الإبداع الثقافي، بلا تاريخ

(ح)

١٦. حافظ إبراهيم شاعر النيل، الدكتور: عبد الحميد سند الجندي، دار المعارف، الطبعة الرابعة ١٩٩٢م

١٧. الحيوان، للجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الثانية ١٣٨٤م= ١٩٦٥م

(خ)

١٨. خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي (المتوفى سنة ٨٣٧هـ)، شرح: عصام شعيتو، الطبعة الأولى، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٧م

(د)

١٩. دراسات في الأدب المعاصر، الدكتور: محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الأولى، دار الطباعة المحمدية القاهرة، بلا تاريخ.

٢٠. ديوان الفرزدق، تحقيق: علي فاعور، دار الكتب العلمية ١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م

(ر)

٢١. الرثاء، الدكتور: شوقي ضيف، الطبعة الرابعة، دار المعارف ١٩٨٧م

(ز)

٢٢. زهر الآداب وثمر الألباب، لأبي إسحاق إبراهيم الحصري القيرواني (المتوفى سنة ٤٥٣هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي، الطبعة الثانية القاهرة ١٣٨٩هـ= ١٩٦٩م

(س)

٢٣. سلسلة الإبداع الشعري، إعداد: رفعت نصر، محمد خليل، صالون المنصورة الثقافي، محافظة الدقهلية، بلا تاريخ.

٢٤. أبو سلمى الأديب الإنسان، (رسالة ماجستير) أعدها: مصطفى محمد الفار، أشرف عليها الأستاذ الدكتور: أسعد أحمد علي، جامعة القديس يوسف، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فرع الآداب العربية ١٩٨٠م

(ش)

٢٥. الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية، الدكتور: إبراهيم عبد الرحمن محمد، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ١٤٠٠هـ= ١٩٨٠م

٢٦. الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، اليزابث دور، ترجمة: محمد إبراهيم الشوشي، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بيروت ١٩٦١م

٢٧. شوقي شاعر العصر الحديث، الدكتور: شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة السادسة ١٩٧٥م

(ع)

٢٨. عالمية الأدب وإنسانيته في إطار التوجه الغربي، الدكتور: محمود عباس عبد الواحد، مستلة من مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية، جامعة الأزهر، العدد السادس عشر ١٤١٨م= ١٩٩٨م ص ص ٢٤٣- ٣١١

٢٩. علي محمود طه الشاعر والإنسان، تأليف: أنور المعداوي، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، بالاشتراك مع دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد ١٩٨٦م

٣٠. العمدة في محاسن الشعر ونقده، تأليف: أبي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق د. النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي ١٤٢٠هـ= ٢٠٠٠م

(غ)

٣١. علم اللغة العام، تأليف: فرديناند دي سوسور، ترجمة الدكتور: يوئيل يوسف عزيز، مراجعة النص العربي د. مالك يوسف المطلبي، سلسلة آفاق عربية، بغداد ١٩٨٥م

٣٢. الغزل، الدكتور: محمد سامي الدهان، سلسلة فنون الأدب العربي، الفن الغنائي، دار المعارف، الطبعة الثالثة ١٩٨١م

(ف)

٣٣. فصول في الشعر ونقده، الدكتور: شوقي ضيف، الطبعة الثالثة، دار المعارف ١٩٨٨م

٣٤. الفكاهة في مصر، الدكتور: شوقي ضيف، دار المعارف ١٩٨٥م

٣٥. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، ومحمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الرابعة المكتبة السلفية ١٤٠٨هـ

٣٦. في النقد الأدبي، الدكتور: شوقي ضيف، الطبعة السادسة، دار المعارف ١٩٨٨م

٣٧. في محيط النقد الأدبي، الدكتور: إبراهيم علي أبو الخشب، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م

٣٨. في الميزان الجديد، للدكتور: محمد مندور، الطبعة الأولى نهضة مصر ١٩٨٣م

(ل)

٣٩. اللغة الشاعرة، عباس محمود العقاد، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٠م

(م)

٤٠. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت لبنان ١٤١١هـ= ١٩٩٠م

٤١. المحاسن والمساوئ، للبيهقي، دار صادر بيروت ١٩٧٠م

٤٢. محمد (ﷺ) في الشعر العربي الحديث، الدكتور: حلمي القاعود، الطبعة الأولى، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة ١٤٠٨هـ= ١٩٨٧م.
٤٣. المدائح النبوية في الأدب العربي، الدكتور: زكي مبارك، دار الشعب بلاتاريخ.
٤٤. المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب، الطبعة الثالثة الكويت ١٤٠٩م= ١٩٨٩م
٤٥. معالم العلاقات الإنسانية في الإسلام، الدكتور: أحمد عبد الرحيم السايح، مطابع رابطة العالم الإسلامي، بلاتاريخ.
٤٦. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، تأليف: مجدي وهبة، وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية١٩٨٤م
٤٧. المعجم الأدبي، تأليف: جبور عبد النور، الطبعة الثانية دار العلم للملايين ١٩٨٤م
٤٨. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م
٤٩. موسيقى الشعر، الدكتور: إبراهيم أنيس، الطبعة الرابعة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٢م
٥٠. منهج التربية الإسلامية أصوله وتطبيقاته، الدكتور: علي أحمد مدكور، مكتبة الفلاح، الكويت ١٩٨٧م

(ن)

٥١. النبي الإنسان ومقالات أخر، محمد تيمور، مكتبة الآداب، بلا تاريخ.

(و)

٥٢. الوصف، الدكتور: سامي الدهان، سلسلة فنون الأدب العربي، الفن الغنائي، الطبعة الثالثة دار المعارف ١٩٨١م
٥٣. الوصف في الشعر العربي، الوصف في العصر الجاهلي، تأليف: عبد العليم قناوي، طبع مصطفى الحلبي ١٣٦٨هـ= ١٩٤٩م

فهـرس الموضـوعـات

الموضوع	الصفحة
المقدمة.....	١٥
التمهيد: لقاء على غير موعد!!!.....	١٩
الفصل الأول: أحمد عبد المجيد: سيرته وإنسانيته.....	٢٥
الفصل الثاني: اتجاهات الإبداع في شعر أحمد عبد المجيد.....	٣٦
الفصل الثالث: خصائص التعبير الفني في شعر أحمد عبد المجيد.....	٩١
الخاتمة: أهمية جمع أشعار المنسيين.....	١٢٢
ملحق: وثائق ونماذج من سيرة الشاعر وأشعاره.....	١٢٤
أولاً: وثائق من سيرة الشاعر.....	١٢٤
ثانياً: نماذج من نتاج الشاعر.....	١٤٧
فهرس المصادر والمراجع.....	١٩٩
فهرس الموضوعات.....	٢٠٤